اشتريته من مصطفى جده
قيمته
٣٨٥٠
٣٥٠٠

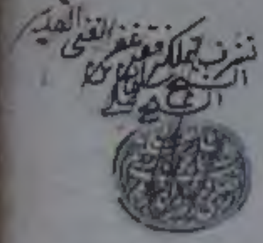

تشرف بملكه الفقير السبحانه
محمد ابن ابي احمد حنفي الذي
عقولها
١٠٦٢

تاريخ وفات ابي حنيفة رحمه الله في ورق ١١٨
في ان العرش جعل قبلة عند الدعاء في ورق ١٤١
عليكم بالسواد الاعظم في ورق ١٦
في بيان مولد ابي حنيفة ولقاء الصحابة رضي الله عنهم في ورق ١٥٦
في مناقب ابي منصور الماتريدي وسائر تلامذة ابي حنيفة رضي الله عنهم ١١٦
في بيان كرامات الاصحاب في رؤية القوم في الطبق الطفل واستماع تسبيح الطعام ٢٥٦
في بيان كرامات سلمان الفارسي وابي الدرداء رضي الله عنهما ٢٧٩

الله حسبي
رب تكلمه عوامله العلي الله محمد علي
برضاي عنه وغفر له ولوالديه والمسلمين
آمين والسلام

كتاب ٨٦١

النور اللامع والبرهان الساطع

في شرح عقائد أهل السنة والجماعة رواية أبي جعفر الطحاوي عن فقيه الملة أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعليق الشيخ الامام الأجل العالم البارع الورع المحقق المتقن المتقي النحرير العلامة نجم الملة والدين ضياء الاسلام ركن الشريعة قطب الائمة مفتي الفرق سيد العلماء تاج الفضلاء رئيس الاصحاب ابي شجاع بن منكورس ابن عبد الله الامامي النبوي الناصري ابقاه الله تعالى وايده بنصره بمحمد وآله وصحبه اجمعين

هذا الكتاب هو الذي قد عز على في الدنيا نظيره

فعلى نذر واجب لله اني لا اجيره

ترجمة المصنف قدس سره

بكبر سو ويقال منكورس ابو الفضائل وابو شجاع نجم الدين التركي مولى الامام الناصر لدين الله فقيه عارف بالفقه والاصول وكان يلبس بزي الاجناد والقضاء والترسل وعرض عليه الخليفة المستنصر قضاء القضاة فامتنع ومات ببغداد بعد الخمسين وستمائة وله كتاب الحاوي في الفقه نحو مختصر القدوري وله شرح عقيدة الطحاوي سماه النور اللامع وحدث عنه الحافظ الدمياطي وقت ارخ منتصف صفر الزجي وفاته سنة اثنين وخمسين وستمائة

فهرس الكتاب انتهى

التاج التراجم

في القول في تجديد العلم ٣
في الكلام في اثبات الخالق والكلام ٥
في القول في طرق العلم ٨
في القول في انواع الخبر ١١
في القول في اقسام الخبر ١٥
في القول في بيان حد الكتاب وكونه حجة ٢٠
في القول في تجديد المتواتر وكونه حجة ٢٨
في القول في الفرق بين الحجة والشبهة والحجة والمحنة ٣٠
في القول في تجديد الاجماع وكونه حجة في هذه الامة شرعا ٣٢
في القول في انواع الخبر الشرعية ٢٤
في القول في تجديد الاجماع ٣٥
في القول في اقسام الاجماع ٣٧
في بيان التوحيد ٣٨
في بيان رسالة نبينا محمد عليه السلام ١٤٣
في بيان ما يتعلق بالقرآن العظيم ١٥١
في بيان رؤية الله تعالى في الجنة لاهل الجنة ١٦٤
في بيان معراج النبي عليه السلام ٢٠٤
في بيان حوض النبي عليه السلام ٢٠٥
في بيان شفاعة نبينا محمد عليه السلام ٢٠٦
في بيان المنافق الذي وجده الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته ٢٠٦
في بيان علامة الساعة فيما نزل عدد في يوم الجنة ويوم النار ٢١٠
في بيان اصول الفرق الثلاثة ٢١١
في بيان الفوز والغنائم وجميع ما فيه قدر لم ٢١٤
في بيان الشيء والنبيين ٢١٧
في بيان عدم جواز تكفير اهل القبلة وما يتعلق بهذا ٢٢٣
في بيان الايمان بالاول والآخر والمسائل والقدر بالحق بالحق الخ ٢٣٥
في بيان ابراهيم خليلا وموسى كليما ٢١٩
في بيان الايمان بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على الرسل الخ ٢٢١
في بيان اهل القبلة من المسلمين وعدم جواز الخوض في ذاته عز وجل ٢٢٣
في بيان جواز الصلوة خلف كل بر وفاجر من اهل القبلة ٢٤٦
في عدم جواز الشيء على المسلمين الخ ٢٤٦
في بيان الايمان بالكرام الكاتبين وملك الموت وعذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير الخ ٢٥٤
في عدم جواز الخروج على الائمة وولاة الامور وان جاروا ٢٤٨
في بيان الايمان بالبعث وجزاء الاعمال يوم القيمة والعرض والحساب والكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان ٢٥٦
في بيان الايمان بالقدر خيره وشره ٢٤٧
في بيان الايمان بالجنة والنار ٢٥٩
في بيان الله يغضب ويرضى لا كالبشر ٢٦١
في عدم فناء الجنة والنار ابدا ٢٥٩
في كون الجر والنهر مقدرا على العباد ٢٦١
في كون الاستطاعة مع الفعل الخ ٢٦٢
في دعاء الاحياء وصدقتهم ينفعهم للاموات والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ٢٦٧
في بيان حب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٦٩
في نبوت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابي بكر الصديق ثم دوام الى اليوم ٢٧٣
في استحباب ذكر السلف بالخير ٢٧٨
في من احسن القول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دار واحد وذريته ٢٧٦
في عدم جواز تفضيل الولي على الانبياء وما يتعلق بالاولياء ٢٧٨
في خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الارض ٢٨٠
في عدم جواز تقديم الاقتداء والتواف ٢٨٤
في بيان ان دين الله عز وجل في السماء والارض واحد وهو الاسلام الخ ٢٨٦

ملك هذا الكتاب اسماعيل ابنه يوسف ابنه الله نسأل الله بوجه انه اقره لهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله
وسلم قال الشيخ الامام العالم العلامة البارع
المحقق المتقن المتقي ابو شجاع نجم الملة والدين ايده الله تعالى
اعلم بان العلم اول اللوازم وبه يكون اخلاص الدين لصانع العالم
ثم الدين يشتمل على اعتقاد الصواب واداء الواجب وهذا
الكتاب يتضمن شرح عقايد اهل الحق الذي رواه الامام
ابو جعفر الطحاوي عن ابي حنيفة النعمان بن ثابت وابي
يوسف يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني
وما يعتقدون من اصول الدين ويدينون به رب العالمين
وقد تصدى لتمهيد قواعد الاصول على مذهبهم كثير
من ائمة الاسلام وفرسان علم الكلام من اهل السنة
والجماعة فمنهم من بسط واطنب ومنهم من توسط واقتصد
وحذر عن الاطناب ومنهم من اوجز واقتضب وبغية
الكل دحض الباطل ونصرة الحق والصواب ثم سمى بعضهم كتابه

كتابه بالسواد الاعظم لما روي عن ابي غالب عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقت بنو اسرائيل على
اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الامة على ثلث وسبعين
فرقة كلها في النار الا السواد الاعظم وسمى بعضهم كتابه
بالسنة والجماعة لما روي عن صفوان بن عمرو عن عوف بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود
على احدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسبعون في النار
وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة واحدة في
الجنة واحدى وسبعون في النار والذي نفس محمد بيده
لتفترقن امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان
وسبعون في النار قيل يا رسول الله من هم قال هم الجماعة
وعن عائشة بنت سعد عن ابيها سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بني اسرائيل افترقوا
على اثنتين وسبعين فرقة ولن تذهب الايام والليالي حتى
تفترق امتي على ثلث وسبعين كل فرقة في النار الا واحدة

وهي الجماعة وعن ابي سلمة عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق
امتي على ثلث وسبعين فرقة وعنه صلى الله عليه وسلم انه
قال افترقت امة اخي موسى احدى وسبعين فرقة واحدة
في الجنة والباقون في النار وافترقت امة اخي عيسى اثنتين
وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار وستفترق
امتي على ثلث وسبعين واحدة في الجنة والباقون في النار
قيل يا رسول الله ومن هم قال من كان على ما انا عليه واصحابي
وهذه الاحاديث معانيها متفقة وهي من اكبر المشاهير
الموجبة للعلم واجمع العلماء على قبولها وهي من اخبار اعلام
النبوة ودلائل الرسالة اذ اخبر عما سيكون في المستقبل
فتحقق على ما اخبر حتى خافت الصحابة من الحدث في الفروع
فضلا عن العقائد والاصول ثم سلك التابعون سبيلهم
حتى صار اجماعهم حجة كآية من القرآن وحتى صار كل معقول

خالف

خالف الكتاب او السنة المتواترة او اجماع السلف باطلا
اذ العقل الصحيح حجة من حجج الله تعالى على ما يأتي بيانه من بعد
ان شاء الله تعالى وحجج الله تعالى تتعاضد ولا تتضاد وقد
سمى ابو جعفر الطحاوي كتابه في العقائد ببيان السنة
والجماعة ذكر الامام ابو المعين النسفي في اصوله فقال
ان ابا جعفر الطحاوي ممن احتوى على علوم سلف الامة على العموم
وعلى علوم ابي حنيفة واصحابه على الخصوص قال في كتابه الذي
افتتحه في العقائد صح عندي مذهب فقهاء الملة ابي حنيفة
النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله
محمد بن الحسن الشيباني وما يعتقدون من اصول الدين
ويدينون به رب العالمين وقال هذا بيان السنة والجماعة
ثم شرع في بيان اقاويلهم على ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله
ونقدم على الشروع في شرح العقائد فصولا في ذكر تحديد
العلم واثبات الحقائق والعلوم وذكر التقليد والاستدلال

اسم كتاب الطحاوي بيان السنة والجماعة

ابو المعين النسفي

وبقيا

وذكر انواع الحجج الموجبة للعلم قطعا ليكون نور الحجة
للمهتدين ظاهرا لامعا وبرهان الحق للمستبصرين ساطعا
وذلك كله من كلام ائمة كتاب السواد الاعظم كالامام
ابي حفص الكبير وابي القاسم اسحاق بن محمد الحكيم السمرقندي
وابي عبد الرحمن بن ابي الليث البخاري ومن كلام رئيسهم
امام الهدى ابي منصور محمد بن محمد الماتريدي في كتاب التاويلات
ومن كلام الاستاذ الاجل سيف الحق النسفي في اصوله ومن كتاب
تجديد ادلة الشرع للقاضي ابي زيد الدبوسي ٥

القول في تحديد العلم

قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله تعالى زعم
ابو القاسم الكعبي ان حد العلم اعتقاد الشيء على ما هو به ولم يرض
به غيره من المعتزلة وزعموا انه باطل باعتقاد العامي حيث
اعتقد حدوث العالم وثبوت الصانع على ما هو به وليس ذلك
بعلم لما انه لا دليل معه وقال ابو هاشم منهم حد العلم اعتقاد
الشيء

الشيء على ما هو به مع سكون النفس اليه ولم يخلص هو ايضا عن
الزامهم لما ان العامي ساكن النفس مطمئن القلب وليس ذلك
بعلم على مذهبهم لما لا دليل معه وزعم ابنه ابو علي الجبائي
انه اعتقاد الشيء على ما هو به عن ضرورة او دليل قال سيف
الحق وهذا ايضا فاسد اذ هو تقسيم للعلم المحدث وليس
بتحديد لان من شرط الحد ان يوجد جميع صفات الحد
في كل فرد من افراد المحدود وفيما قسم لا يوجد ذلك فان
ما كان من العلم ضروريا فهو خارج عن الاستدلالي وما
كان منه استدلاليا فهو خارج عن الضروري وقد وقعت
المعتزلة في هذه الحدود الثلاثة في المناقضة بتحديدهم
العلم بالاعتقاد لان العامي معتقد حدوث العالم ووحدانية
الصانع وقدمه وذلك ليس بعلم عندهم لما لا دليل معه فصاروا
مناقضين حيث جعلوا العلم اعتقادا الشيء على ما هو به ثم
لم يجعلوا اعتقاد العامي للشيء على ما هو به علما وانما وقعوا
في المناقضة والفساد لامتناعهم عن اثبات العلم صفة

لله تعالى كما هو مذهبهم في نفي الصفات الذاتية والفعلية
وقد ثبت بالدلائل الموجبة ان الله تعالى له علم ازلي قائم بذاته
على ما نذكره في فصل الصفات ان شاء الله تعالى ٥ وذكر
ابو بكر بن الطيب الباقلاني ان حد العلم هو معرفة المعلوم
على ما هو به وهذا ايضا فاسد لان المعرفة اسم للعلم المستحدث
قال عنترة في شعره

ام هل عرفت الدار بعد توهم وقال بعضهم
ان حد العلم هو درك المعلوم على ما هو به وهذا ايضا فاسد
لان لفظة ادرك مشتركة يقال ادرك اذا احاط به وادركت
الثمار اذا نضجت وكذي الله تعالى يعلم ولا يدرك وقال
بعض المشايخ انه تبيين المعلوم على ما هو به وهو فاسد
لان الله تعالى يقال له عالم ولا يقال بانه متبين قال
الشيخ الامام نجم الملة والدين ابده الله والذي قرره سيف
الحق هو ان هذه الحدود المذكورة فيها اثبات العلم
المبهم والتحديد لم يوضع لاثبات العلم المبهم اذ هو حاصل

لمن لا

لمن لا علم له بالحد وانما وضع التحديد لاثبات حقيقة العلم
الذي بها يمتاز عن غيره من صفات المعلوم ولهذا يحصل به
جميع اجزاء المحدود ويمتنع غيره عن مشاركته فوقعت
الحاجة الى بيان تلك الحقيقة فقلنا لحن حقيقة العلم انه
يوجب كون من قام به عالما او الوصف الذي من قام به كان
عالما وهذا لانا عرفنا العلم والعالم على الاطلاق غير انا
جهلنا الحقيقة التي بها يمتاز كل واحد منهما عن
اغيارهما فتاملنا فعلمنا ان زيدا ما كان عالما لكونه اسود
وقيام السواد به لانا نشاهد السواد في اجسام ليست
بعالمة وكذا في البياض والحركة والسكون والاجتماع
والافتراق والطول وكذي في الطعوم والروائح كلها
فعلمنا انه ما كان عالما الا لقيام العلم به فكان هذا حقيقة
وكذي العلم تاملنا فيه فعلمنا انه لا يوجب كون من قام
به متحركا ولا ساكنا ولا مجتمعا ولا مفترقا ولا اسود
ولا ابيض فعلمنا ان حقيقته انه يوجب كون من قام به

حد العلم

عالماً اذ لا اثر له الا هذا ان ومن اصحابنا من قال ان العلم
صفة ينتفي به عن الحي الجهل والشك والظن والسهو قال سيف
الحق وهذا التحديد اخف مؤنة واقطع لشغب الخصوم

الكلام في اثبات الحقائق والعلوم

قال الشيخ ايده الله تعالى قال ابو المعين النسفي حقائق الاشياء
ثابتة وهو مذهب جميع العقلاء سوى طائفة تجاهلت
فزعمت ان لا حقيقة لشيء وانما هي ظنون وحسبانات
وراموا بهذه المقالة دفع الاوامر والنواهي عن انفسهم
واجمع العقلاء ان لا مناظرة بيننا وبين من هذا قوله لان
فائدة المناظرة ان تثبت بالدلائل صحة قول واحد وبطلان
قول آخر والعلم الحاصل عن النظر في الدلائل وان كان يبلغ
النهاية في القوة فطريقه اخفى من طريق علم الحواس وبدايه
العقول ومن بلغ في الوقاحة والعناد مبلغاً لا يبالي من
انكار ما ثبت من العلوم والحقائق بالحواس وبداهة العقول
لا

لا يرجى منه قبول العلم الثابت بالاستدلال ولذلك
استوصلت الكفرة المعاندون عند انتهاء العناد والمكابرة
بالعذاب كقوم نوح وقوم لوط وقوم شعيب وكفرعون
وقومه وعاد وثمود حيث نفوا حقائق الآيات والحجج
وكابروها ولان المناظرة تكون بين اثنين بينهما اصول مسلمة
قد اجمعا على اثبات حكمها واصول مسلمة قد اجمعا على نفي
حكمها ثم اختلفوا في فرع له شبه بكلي النوعين بوجه
من الوجوه فيختلفان بان الحاقه باي الاصلين اولى فيلحق بالاصل
الذي يشاركه في الوصف الموجب للحكم لا باصل الذي يشاركه
في الوصف الذي وجد اتفاقاً فيتناظران لتظهر علة الحكم
من الوصف الاتفاقي واذا لم يكن لهؤلاء اصل مجمع عليه
لانكارهم حقيقة الاشياء كلها لا تتصور مناظرتهم
قال سيف الحق رحمه الله ولكن ينبغي ان يعاقبوا
بقطع الجوارح والضرب المبرح ومنع الطعام والشراب
فاذا استغاثوا وضجروا وطلبوا الطعام والشراب قيل لهم

لا حقيقة للقطع والضرب والجوع والعطش انما ذلك
كله حسبان وظن منكم وهو في الحقيقة ايصال الراحة
اليكم وانعام عليكم الى ان تتركوا العناد ويقروا بالحقايق
ولان مقالتهم هذه مظهرة انهم يعلمون الحقايق حيث يجتلبون
اسباب البقا بتناول الاغذية ولباس الثياب الدافعة
لمعرة الحر والبرد وكذي اجتنابهم لاسباب الهلاك
بتحرزهم عن اقتحام النيران المضطرمة ومنع انفسهم عن
السقوط من الامكنة المرتفعة وتوقيهم عن مقاربة الافاعي
الناهشة والعقارب اللادغة اذ لو لم يكن لهم علم باسباب
البقا لما اجتلبوها وباسباب الهلاك ما اجتنبوها ولولا
علمهم بحقايق الاشيا لما تصور بقاؤهم بل تلفوا باول هبي
مدة واسرع وقت فدل بقاؤهم الى هذه المدة على علمهم
بحقايق الاشيا ثم من خبث سريرتهم وعظيم مكابرتهم
اعتلوا بالشبهة فقالوا ان اعلى اسباب العلم عندكم الحواس
الخمس وهي حاسة السمع وحاسة البصر والشم والذوق
واللمس

واللمس وهذه الاشيا لا تصلح سببا للعلم لان قضاياها
متناقضة فان الممرور وهو من به صفرا غالبة يجد العسل
مرا وغيره يجده حلوا والاحول يرى الشي شيئين وغيره
يراه واحدا وكل ذلك عمل الحس وما تناقضت قضاياه
هذا التناقض لا يصلح دليلا قال سيف الحق
رحمه الله فهذه الشبهة هتكت استارهم وكشفت عنادهم
وانهم ليسوا بجاهلين فيعذروا بل تجاهلوا عن علم بالحقايق
فانهم لو لم يعرفوا الحواس حقيقة انها ما هي وان قضاياها
ما هي وان التناقض ما هو وان الدليل ما هو وان القضية
ما هي وان العسل ما هو وان الممرور من هو وان المرارة
ما هي وان الاحول من هو وان الرؤية ما هي وانه يرى الواحد
اثنين وان الواحد ما هو وان الاثنين ما هو ولو لم يعلموا
بحقايق هذه الاشيا لما اشتغلوا بايراد هذه الشبهة
فعين ما استدلوا به دليل بطلان قولهم وهتك استارهم
ثم يقال لهم انا معشر العقلاء اجمعنا على كون الحواس من اسباب

العلم في حال سلامتها عن الآفات وقط لا تتناقض قضاياها
عند سلامتها وانما تختل ادراكها عند اعتراض الآفات
ولا كلام في تلك الحالة وقد ابطلوا شبههم باختلافهم
حقايق الاشيا النافعة وتحرزهم عن حقايق الاشياء
الضارة فظهرت مكابرتهم فينبغي ان يعاقبوا بقطع
الجوارح والضرب المبرح وبمنع الطعام والشراب وان
يمشوا بالسياط المؤلمة ويقربوا من الافاعي اللاسعة
والعقارب اللادغة حتى يتركوا العناد والمكابرة او
يتلفوا بالكلية وهؤلاء المجاهلة طايفة من الدهرية
يسمون السوفسطايية وهم انواع احدها هؤلاء ونوع
آخر متشككة يقولون لا ندري هل للاشيا حقيقة ام لا
ونوع آخر يقولون حقايق الاشياء تابعة لاعتقادات
المعتقدين ومن سوى هؤلاء من الدهرية اقروا بالعالم
وادعوا قدمه وجحدوا الصانع مع معاينتهم حدوث
العالم وما فيه من التغير والزوال والقديم لا يتغير

ومع

ومع معاينتهم شهادة خلقة العالم بما فيه من التاليف
والتركيب والتسخير على ثبوت الصانع القديم اذ لا تاليف
الا بمؤلف ولا تركيب الا بمركب ولا تسخير الا بمسخر

القول في طرق العلم

قال الشيخ الامام ايده الله واذ قد ثبتت الحقايق والعلوم
فنقول ان اسباب العلم للمخلوقين انواع ثلثة احدها علم
الحواس السليمة وهي حاسة السمع وحاسة البصر وحاسة
الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس فالعلم بحاسة السمع
بالمسموعات وبحاسة البصر بالمبصرات وبحاسة الشم
بالمشمومات وبحاسة الذوق بالمذاقات وبحاسة اللمس
بالملموسات ضروري لا انكار في كون هذه الحواس موجبة
للعلم بمحسوساتها قطعا وقد جعلها الصانع الحكيم
طرقا للعلم لينتفع الممتحن بها في تحصيل منافع العاجلة
والآجلة وليكتسب بها الحواس الباقية في دار العاقبة

وقد انكرتها السوفسطائية المتجاهلة والنوع الثاني العقول
المستقيمة وذهبت الملحدة وجماعة المشبهة الى القول
ببطلان النظر وخروج العقل من ان يكون من اسباب
المعارف وقالت اهل الحق كون العقل من
اسباب المعارف يعلم بالضرورة فان العلم الثابت
ببديهة العقل ضروري كالعلم الثابت بالحواس
فان العلم بان كل شيء اعظم من جزئه وان جزءه اصغر
من كله ضروري فان زيدا بكليته اعظم من يده
اذ في كله وزيادة ويده اصغر من كله وكذا من
علم ان ولادة زيد وعمرو كانت في ساعة واحدة ثم علم
ان احدهما ابن عشرين سنة علم ضرورة كون الآخر
ابن عشرين سنة حتى لا يعتريه في ذلك شك ولو اراد
تشكيك نفسه لعجز كما في العلم الحاصل بالحواس فمن انكر
كون العقل من اسباب العلم على الاطلاق فقد انكر العلم
العلم الضروري والتحق بالسوفسطائية فيعامل بما يعامل به

به السوفسطائية كذى ذكره ابو المعين رحمه الله ولان كل
احد من البشر يفزع الى النظر بعقله عند اشتباه الامر
على ذلك جبل الخلق كما يفزعون الى الحاسة المعدة
لادراك ذلك النوع من المحسوس فدل ان العقل من طرق
المعارف قال الله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض
والذي ينظر في هذه الاشياء هو العقل ولان من نفى كون
العقل سببا للعلم فانما ينفيه بالنظر بالعقل فكان
في نفيه اثباته اذ ليس شيء دليل سوى النظر فانه لو ادعى
معرفة صحة نفيه بحاسة من الحواس يظهر عند المطالبة
بتعيين تلك الحاسة بطلانه وتعنته ولو احال ذلك
الى الخبر يظهر بطلانه ايضا اذ الخبر يثبت وجود العقل
وكونه طريقا للعلم **فان قيل** ان قضايا العقل
متناقضة قيل له قضايا العقل قط لا يكون متناقضة والوقوع
في الخطا يكون لتقصير الناظر في بعض المقدمات بهواه
فيقع له نوع ظن فيعتقد ذلك ويظنه علما فاما اذا استوفى

شرائط النظر في كل مقدمة علم وصحتها فلا يقع في ضلال
مثاله المجوسي نظر في أقسام العالم فوجدها محدثة بدلالة
التغير والزوال ووجود أشياء لم تكن وزوال أشياء
كانت فاعتقد حدوثها وهو صحيح ووجد في العالم الشرور
والقبائح والأقذار والأنتان فاعتقد حدوثها وهو صحيح
ثم اعتقد أن المحدث لا بد له من محدث أحدثه وهو صحيح
ثم اعتقد أن صانع العالم حكيم وهو صحيح ثم اعتقد أن
لإيجاد الشرور والقبائح والأقذار والأنتان سفه وهذا
خطأ واعتقد أنها لما كانت محدثة لا بد لها من محدث
سفيه يتولى تخليق هذه الأشياء فوقع في الباطل لنظره
في مقدمة بهواه دون عقله ولو تأمل بعقله لعرف
أن إيجاد هذه الأشياء حكمة إذ القدرة على الإيجاد
المتضادين من كمال القدرة وكذي فيه كمال الاستغناء
إذ فيه أنه لا يخلق الأشياء لمنفعة نفسه وفيه كمال التعالي
إذ فيه أنه لا يضره الأشياء وكذي فيه دلالة الوحدانية إذ

إذ فيه الاستقلال بالملك والتفرد بالصنع ونفي الشركة
ولو نظر في هذه الوجوه لم يقع في الباطل فثبت أن لا تناقض
في قضايا العقل وأن النظر يكون مفضيا إلى العلم فيما يدرك
بالعقل عند وجود شرطه ﴿ والنوع الثالث الأخبار
الصادرة عن الصدق وقد أنكرت السوفسطائية والسمنية
والبراهمة كون الخبر من أسباب المعارف وقالوا الخبر
قد يكون صدقا وقد يكون كذبا فكان في نفسه مختلفا
ولا يدري الصدق من الكذب فلا يثبت به العلم
فيقال لهم قولكم إن الخبر ليس من أسباب المعارف خبر
منكم وقد أقررتم ببطلان الخبر فكان هذا إقرارا ببطلان
مقالتكم ولا يمكنهم أن يقولوا عرفناه بالحواس إذ يظهر
بطلان دعواهم عند المطالبة بتعيين تلك الحاسة
لأنهم تكلموا بلغة من اللغات ومعرفة اللسان واللغة
ليست بالحس ولا بالعقل إذ لو فرض خلقة الله تعالى عقلاء
وأذكاء جسما لو سمع لغة لم يبلغه لا يعرف معناها وإنما يعرف

ذلك باخبار المتلقن وكان نفس الكلام دليلا انهم عرفوا
بالخبر شيئا فيبطل انكارهم للخبر وقولهم ان الخبر يتنوع الى صدق
وكذب فنقول ما يحتمل الكذب لا يوجب العلم وانما يوجب
العلم ما لا يتصور كونه كذبا وهو خبر الرسل المعصومين
عن الكذب والباطل لقيام المعجزات على كونهم رسل الله تعالى
وكذى ما تواتر عنهم على السنة قوم لا يتصور منهم التواطي
على الكذب موجب للعلم ؟

القول في انواع الحجج في انفسها

قال الشيخ الامام العالم فخر الملة والدين ايده الله وبدا بالحجج
العقلية اذ العقل آلة لدرك سائر الحجج ذكر القاضي
ابو زيد رحمه الله في كتاب تجديد ادلة الشرع فقال
الحجج نوعان عقلية وشرعية وكل نوع قسمان موجبة
للعلم قطعا ومجوزة وهي ما جوزت اطلاق اسم العلم على
موجبها بغالب الراي ثم العقلية هي ما عرفت حججا بالاستدلال

بمجرد العقول كدلالة البناء على البانى وحدث العالم على
الصانع والشرعية ما لم تعرف حججا الا بوحي من الله تعالى
وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال وهذه جملة لا نعرف
فيها خلافا ثم كل من قال بحرمة الكفر والشرك واضافة
الولد الى الله تعالى قبل ورود الشرع فان العقل عندهم
حجة من حجج الله تعالى ويجب الاستدلال به قبل ورود
الشرع واحتجوا في ذلك بما اخبر الله تعالى عن ابرهيم
صلوات الله عليه انه قال لابيه وقومه اني اراك وقومك
في ضلال مبين ولم يقل اوحي الي فثبت ان العقل مما
يهدي اي يرشد ويدل وكذلك الله تعالى اخبر عن
ابرهيم عليه السلم انه استدل بالنجوم وعرف ربه
بها وكان حجة على قومه فقال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه وليس في الآية من باب الوحي ذكر وقال تعالى
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به الاية ولم يقل
ومن يدع مع الله الها اخر بعد ما اوحي اليه او بعد ما بلغته

الدعوة فثبت أن العذر ينقطع بالعقل وحده ولو لم تكن به
كفاية لما انقطع به العذر ولأن الحجج السمعية لم تكن
حججا إلا باستدلال عقلي فلا يقع الفرق بين المعجزة والمخرقة
وبين النبي والمتنبي إلا بنظر عن عقل ولأن المعجزة بعد الدعوة
لا تعرف إلا بدليل عقلي وآيات الحدث في العالم أدل على
الصانع من علامات المعجزة على أنها من الله تعالى فلما كان
بالعقل كفاية معرفة المعجزة والرسالة كان به معرفة الله
تعالى من طريق الأولى ولما ثبت أن بالعقل كفاية كان في نفسه
حجة في معرفة حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته
وقدمه ولزم العمل به فيما يدرك به كما يجب بالشرع وبسائر
الحجج إذا قامت ولأن الله تعالى نصب دلائل وحدانيته
وهستيته والوهيته في أقسام العالم قبل ورود الشرع
فلا يتصور أن لا تكون آية على حدث العالم للمستدلين ولا حدث
العالم يتصور أن يكون دلالة على المحدث قال الله تعالى
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار إلى

إلى قوله والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون
وقال أفلا تعقلون وقال أولم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض **فإن قيل** إن الله تعالى لم يدعنا والعقول
فلا معنى للاشتغال بشيء لم نبتل به قيل له إن الله تعالى لم يدعنا
والعقول حتى أرسل الرسل وأنزل الكتب رحمة منه أو نقول
حتى أرسل الرسل لبيان ما لا ينال بالعقول من أنواع العبادات
والحدود أو لما كان أمر البعث والجزاء مما يشكل مع العقل
وجده الأبعد تأمل فيه حرج بعد الإنسان بمثله ولا إيمان
بدونه فكان حقا على الله تعالى بعث الرسل لبيان
ما به تتمة الدين لا لنفس معرفة الخالق ويقال له أيضا
إن الله تعالى لم يدعنا ورسولا من أول الأمر إلى آخره والحجة
كانت قائمة بالواحد كما بقيت محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم
القيامة ولم يدل ذلك أن الأول لم يكن حجة كافية
وكذلك الله تعالى لم يدعنا والبيان بآية واحدة بل بآيات
متكررة ولا يدل أن الآية الواحدة لم تكن حجة كافية

وإن قيل لو كان بالعقل كفاية لما اختلف العقلاء
فيه قبل إن ذلك الاختلاف لاختلافهم في جهات الاستعمال
من ترك العمل بالعقل على وجهه وشرطه بهواه وهذا كما
اختلفوا بعد دعوة الرسل فالمقصر في اجتهاده لا ينال
الحقيقة وكذلك الغالي بتعداها وكما اختلفوا في معرفة
الرسل والعذر ينقطع بهم فإن قيل إن الهوى غالب
في الإنسان وطرق الدين خفية تحت غلبة الهوى ومنام
القلب بالغفلة عن دلائل العقل وفي تنبيهه عن نوم الغفلة
بلا شرع حرج عظيم أكثر مما يحرج الصبي العاقل
بسبب نقصان عقله لإدراك ما يدركه البالغ من الخطاب
المسموع وقد أخبر الله تعالى أن لا حرج في الدين قيل له
وفيما ذكرت من غلبة الهوى ومنام القلب بالغفلة ضرب
تقصير في الأعذار لمن بلغ أشده وأدرك غامضات أمور
الدنيا برأيه وهي لا تنال إلا بجد تأمل وحرج عظيم ولم يعرف
لنفسه خالقا وأنه يبال ببدائه العقول فإنه لا يرى بناء إلا

الأعرف له بانيا ولا نقشا إلا الأعرف له ناقشا ولا صورة جماد
إلا الأعرف له مصورا فكيف يعذر بعد رؤيته صورا حية في
جهله بمصورها وإذا لم يعذر ولا بد أن تقع له المعرفة
بفاعل الصورة فقد تنبه بعقله للنظر فيلزمه من النظر
ما يتم به المعرفة فأشبه تنبهه ببديهة عقله التنبه بدعوة
النبي التي هي كلام نص على التنبه وكيف ينكر هذا والله تعالى
أخبر عن الكفرة ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وكذلك
لا نرى أحدا من الكفار إلا وهو يخبر عن الصانع وإنما كفرهم
بوصفهم الله تعالى بما لا يليق به من الولد والشريك وبقولهم
يد الله مغلولة وقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء وقولهم
إنه على صورة البشر وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه والعذر
بلا خلاف منقطع عن مثله أو كان الكفر بإنكارهم البعث
للجزاء وكلامنا في نفس الجهل بالصانع عن ذكره وكيف يعذر
والجهل حاصل من قبل استخفافه بالحجة بعد ما لاحت له بلا تمثيل
كالبناء في الشاهد يدل على الباني بلا تمثيل في العقول أي بلا تردد

والاستخفاف بالحجة فوق الغفلة عن سكر يقع بالخمر وانه
لم يجذ ربه فهذا اولى والدليل عليه قول الله تعالى اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر ولم يذكر الوحي وقال اولم يتفكروا
في انفسهم ما خلق الله ولم يذكر الوحي بل عاتبهم على ترك التفكر
فدل ان التفكر في خلق السموات والارض وفي خلق نفسه
لازم قبل ورود الشرع ۞ فان قيل قوله تعالى خبرا
عن خزنة النار الا هلها اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
ولم يقولوا اولم تكونوا عقلا قيل له قولهم ذلك كلام توبيخ
على ما صنعوا فيكون باظهر الامور واعلاها وحجج الشرع
اظهر من حجج العقل فوبخهم بالاظهر وذلك لا يدل
على ان الاخر ليس بحجة فان قيل قوله تعالى ذلك ان لم
يك ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون وكذى قوله
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فيهما دلالة ان قطع
العذر يكون بالسمع لا بالعقل قيل تاويل قوله ذلك ان لم يك
ربك مهلك القرى هو عذاب الاستيصال في الدنيا الا ترى انه ذ

انه ذكر القرى ولا قرى في الاخرة وعذاب الدنيا جزاء على
تكذيب الرسل زجرا لمن بعدهم عن تكذيب الرسل لا جزاء
على الكفر اذ جزاء الكفر بالنار على التابيد في دار الجزاء وتاويل
قوله وهم غافلون اي غفلة اهمال الحجة او غافلون بسبب
خفاء وضوح الحجة مع وجود الحجة والذي معه عقله غير
فاقد للحجة وقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل اي لئلا تكون لهم حجة تقال لا حجة تقبل اي لئلا يكون
لهم الاحتجاج بان يقولوا هلا ارسلت الينا رسولا والله اعلم
وقوله بظلم اي بظلم من الكفرة اي لم نهلكهم بظلم حتى ارسلنا
الرسل وظهر تعنتهم فكان اخبارا عن تاخير العذاب الى
حين بعث الرسل تفضلا منه ولو اهلكهم بظلم كفرهم
قبل ورود الرسل كان عدلا ۞ ومن الدليل على كون العقل
حجة قوله تعالى خبرا عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع او
نعقل ما كنا في اصحاب السعير اخبروا انهم انما صاروا في
النار لتركهم الانتفاع بالسمع والعقل وفيه انهم لو انتفعوا

بالعقول في معرفة الصانع قبل ورود الشرع لم يصيروا
في النار بدليل دخول حرف او بين العقل والسمع يحققه
قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير فكان
فيه دليل ان ترك الاستدلال بدليل العقل لمعرفة
الخالق عز اسمه موجب للنار كترك السمع ولان دعا جميع
الكفرة الى دين الاسلام واجب على الامة ومعلوم ان
الدهرية خذلهم الله يعتقدون قدم العالم وتعطيل
الصانع ومن هذا شانه لا يناظر بدليل النقل لانه لا يثبت
المرسل فكيف يحتج عليهم بالرسول والتنزيل فلم يبق الا
حجج العقول فثبت ان العقل حجة من حجج الله تعالى ولذلك
تصدى اهل الحق لالزامهم حدوث العالم وثبوت الصانع
ووحدانيته وقدمه بادلة العقول ولذلك سمى ابرهيم
صلوات الله عليه ابا الحجة لكثرة محاجته مع قومه
بحجج العقل وكذلك سائر الرسل حاجوا قومهم بدلائل حدث
العالم وثبوت الصانع ووحدانيته على ما اخبر الله تعالى بقوله

بقوله قالت لهم رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض الاية

القول في ايمان المقلد

قال الشيخ الامام العالم نجم الدين ايده الله تعالى قال الشيخ
الامام ابو المعين النسفي في اصوله ان الايمان هو التصديق
على قول ابي حنيفة قدس الله روحه كذي ذكره في كتاب العالم
والمتعلم من املائه وهو اختيار امام الهدى ابي منصور
الماتريدي واليه ذهب عامة المتكلمين وهو على تحقيق
التحصيل تصديق محمد صلوات الله عليه بما جاء به من عند
الله تعالى اذ في هذه الجملة تصديق بجميع ما يجب الايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبجميع
ما يجب الايمان على التفصيل وكذي في كل رسول مع
امته وذكر الامام ابو الحسن علي بن محمد الرستغفني في كتابه
المسمى ببيان مذهب اهل السنة والجماعة فقال ان الايمان
هو التصديق والاعتقاد دون سائر العبادات لان الله

كتاب العالم والمتعلم لابي حنيفة رحمه الله

كلام الامام

تعالى سمى من صدق بما جاء عنه مؤمنا بقوله آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله الآية وهذا عبارة عن الاعتقاد دون غيره
من الافعال ثم امرهم بعد صحة الاعتقاد ان يشهدوا لانفسهم
بالايمان والاسلام من غير استثنا بقوله تعالى قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومدح من يشهد
بذلك لنفسه بقوله تعالى ربنا انا سمعنا منادياً ينادي
للايمان ان آمنوا بربكم واخبر تعالى انهم بصيرون مؤمنين
بهذا بقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا
ثم قال ابو الحسن رحمه الله وهذا كله راجع الى التصديق
دون غيره من الافعال وروى بن زياد عن ابي حنيفة
رحمه الله انه قال الايمان قول والعمل موظف عليه قال
القاضي ابو العلا صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد من نالبفه معنى

معنى قوله الايمان قول يريد به في احكام الدنيا ولذلك
نسمي الناس مؤمنين بما يظهر لنا من اقرارهم ثم قال وما روي
عن ائمتنا الايمان اقرار وتصديق فقد عنوا بذلك في نفع
الايمان في حق الآخرة وقال سيف الحق رحمه الله في اصوله
ان من وجد منه الايمان عند رؤية البأس او عند معاينة
العذاب او في الآخرة لا يكون ذلك ايمانا نافعا يعني
لا ينال ثواب الايمان ولا تندفع عنه عقوبة الكفر
ثم تكلموا في المعنى الذي به زال عنه نفع الايمان ذكر ابو منصور
الماتريدي في تاويل قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل فقال لان ذلك
الوقت وقت نزول العذاب فلا يقدر ان يستدل فيه
بالشاهد على الغائب ليكون قوله قولا عن معرفة وعلم
قال سيف الحق رحمه الله فعلى هذا لا بد من ان يكون التصديق
مبنيا على الدليل لينال الثواب بتحمل المشقة بالاستدلال
ودفع الشبهة المعترضة بادمان النظر وانعاب الفكرة

للتمييز بين الشبه والحجج فاذا تحمل ذلك في ذات الله تعالى
وابتغاء مرضاته نال الثواب الموعود على الايمان واذا جعل
همته الوصول الى اللذات الحاضرة ثم آمن بلا تحمل مشقة
وكلفة فلا ثواب له ولا ينال نفع الايمان كالذي آمن عند
معاينة البأس لانعدام الاستدلال من قبله ثم قال
سيف الحق رحمه الله ولا فرق بين حصول الايمان بعد
التأمل في اجرام العالم فاعتقد حدوثها وثبوت صا
نعها وثبوت صفاته ورسالته وبين حصوله بالتأمل في
اعلام الرسل ومعجزاتهم فينال ثواب الايمان عقيب التأمل
في معجزاتهم وان لم يتأمل في اجرام العالم وقيل لا ايمان
نال ثواب الايمان عمن آمن عند نزول العذاب لانه ايمان
دفع العذاب لا ايمان طلب القرب فلم يكن معتبرا
لانه كان محمولا على الايمان عند نزول العذاب به او لانه
عند تعلق العذاب الدنيوي وهو مقدمة لعذاب
الآخرة اذ يموت بعذاب الدنيا فينتقل الى عذاب الآخرة فقد

نفسه من يده وشيء من هذه المعاني لم يوجد
في حق المقلد اذ ايمانه كان تقربا الى الله تعالى وطلبا
لمرضاته لا لدفع عذاب متوجه اليه فيكون متشبثا
بالايمان وكذلك لم يكن ملجأ الى ايمانه مضطرا لانعدام
سببه وهو معاينة العذاب وكذلك كانت نفسه
في يده لم تخرج منها وقد حصل منه الايمان والله تعالى
وعد الثواب على الايمان والثواب ينال بفضل الله تعالى
ووعده والمقلد آمن بالله وبما جاء عنه فينتظر له مطلق
الوعد قال الامام سيف الحق ابو المعين ثم المذهب
ان المقلد الذي لا دليل معه مؤمن وحكم الاسلام له لازم
وهو مطيع لله تعالى باعتقاده وسائر طاعاته وان كان
عاصيا بترك النظر والاستدلال وحكمه حكم غيره
من فساق اهل الملة من جواز مغفرته او تعذيبه بقدر
ذنبه وعاقبة امره الجنة لا محالة وهذا القول يحكى
عن ابي حنيفة والثوري ومالك والاوزاعي والشافعي

واحمد بن حنبل واهل الظاهر ومن المتكلمين عن عبد الله
بن سعيد القطان والحارث بن اسد وعبد العزيز بن يحيى
المكي وتلخيص مذهب ابي حنيفة واصحابه على ما بينت فصار
هذا قول عامة الفقهاء ومتكلمي اهل السنة قال سيف الحق
وذهب اكثر المتكلمين الى انه لا بد لثبوت الايمان وكونه
نافعا من دليل بني عليه اعتقاده غير ان ابا الحسن الرستغفني
صاحب الامام ابي منصور الماتريدي قال اذا بنى اعتقاده
على قول الرسول وعرف انه رسول وانه ظهرت على يده
المعجزات ثم قبل منه القول في حدث العالم وثبوت
الصانع ووحدانيته من غير ان عرف صحة كل من ذلك
بدليل عقلي كان كافيا وبعض اهل الحديث اكتفوا بذلك الدليل
المقترن بالتصديق ان يكون اجماعا والمشهور عن ابي الحسن
الاشعري انه قال لا يكون اجماعا مؤمنا ما لم يعتقد كل
مسئلة من مسائل الاصول عن دليل عقلي وانه لم يجعل قول
الرسول دليل حدوث العالم وثبوت الصانع قال لان قول الرسول

الرسول لا يكون حجة ما لم تثبت رسالته ولا وجه الى القول
برسالته الا بعد معرفة مرسله ولن يتهيأ معرفة مرسله
الا بعد ثبوت المعرفة بحدث العالم فجعل الاشعري
صحة معرفة قول الرسول مترتبة على معرفة حدث
العالم الذي ذكره ابو المعين عنه في اصوله فتعطل على قول
الاشعري فائدة الرسالة والمعجزة جميعا اذ الرسالة
جعلها الله تعالى فيمن اختاره من بريته لدعوة عباده
الى توحيده واثبات حدث ما سواه اولا ثم الى عبادته وجعل
المعجزة آية لرسوله ليعلموا ان ما يقوله حق وصدق ومعلوم
بالكتب السماوية على ما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وكذلك
الاخبار تواترت ان الرسل عليهم السلام اول ما دعوا
الخلق الى توحيد الله تعالى وخلع الانداد فاذا لم يكن قولهم
حجة في اثبات حدث العالم ووحدانية صانعه على قول
هذا القائل واتباعه مع شهادة المعجزات الخارجة عن

عن وضع الخلائق على ثبوت رسالتهم وعصمتهم عن الباطل
فقد تعطلت فائدة الرسالة والمعجزة وكل معقول يؤدي
الى ابطال فائدة حجة من حجج الله تعالى فهو باطل اذ العقل
الصحيح حجة من حجج الله تعالى وحجج الله تتعاضد ولا تتضاد
واما المعتزلة فقد قال عامتهم في هذا المعتقد لا عن دليل
انه ليس بمؤمن وقال ابو هاشم منهم انه كافر
كذي حكي عنهم عبد القاهر البغدادي ذكره النسفي في اصوله
ثم عند جميع المعتزلة انما يحكم بايمانه اذا عرف ما يجب
اعتقاده بالدليل على وجه تمكنه مجادلة الخصوم وحل
جميع ما يورد عليه من الاشكال حتى انه لو عجز عن شيء
من ذلك لم يحكم باسلامه قالوا لان الراي المبني على ما تصور
عند التامل انه دليل لن يكون علما ما لم يقدر على دفع
الشبه المعترضة على الدليل بل يكون ظنا اذ العلم انما
يمتاز من الظن بالقدرة على دفع ما يوجب ضد هذا الراي
ويكذبه فان ثبتت القدرة على دفعه كان ذلك علما وان لم تثبت كان

كان ظنا وبهذا تمتاز المسائل الاعتقادية عن المسائل الاجتهادية
ويجري التضليل على من خالف في المسائل الاعتقادية دون
الاجتهادية وبها يمتاز الحق عن الباطل لان الحق ما غلبت
حججه واظهرت اسباب التمويه في غيره قال النسفي رحمه الله
هذا هو زبدة كلام المعتزلة واما الذين شرطوا لكون
الايمان نافعا اقتران الدليل به غير ان ذلك الدليل قد يكون
كلام الرسول الذي عرف المعتقد قيام المعجزات على يده
فيثبت له العلم بخبره بجميع ما يجب اعتقاده من حدوث
العالم وثبوت الصانع وغير ذلك اذ خبر من تاييد بالمعجزة
من اسباب العلم فكان اعتقاده مبنيا على الدليل الموجب
للعلم فانهم يقولون ما ورد الرسل عليهم السلم به من الشرعيات
فهو على نوعين احدهما ما يوقف عليه بالعقول ويوصل
اليه بالتامل كمعرفة حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته
واتصافه بصفات الكمال وتنزيه عن سمات النقص وثبوت
النبوات واشباه ذلك والنوع الثاني ما لا يتبين في العقول

امكان الوقوف عليه ككيفية العبادات وشروط
جوازها واوقات اداءها وتقدير الحدود والكفارات
واشباه ذلك وطبقات الناس اقسام ثلثة الاول فرقة
موصوفة برجاحة العقول موسومة بجودة الخواطر
وحدة الاذهان وهي المتفرغة للتامل والتفكير والبحث
عن الحقايق سمت بهم همتهم الى استخراج ودايع العقول
وخزاين الافهام يرومون الوقوف على ما به الفوز لهم بالسعادة
الابدية والوصول الى مرضاة خالق البرية جل وعلا والقسم
الثاني ايضا فرقة موصوفة برجاحة العقول وجودة الخواطر
لكنها مشتغلة باكتساب اسباب المعاش معرضة عن
التامل في المعالم النظرية راضية لنفسها بدرجات البهايم
لاقتصار همتها على استجلاب اللذات الحاضرة مقبلة على
تكثير الاموال بانواع التجارات وصنوف الزراعات
والثالث موصوف بغلظ الافهام وبلادة الخواطر ثم ان الله
تعالى ترحم على الناس كافة ببعث الرسل وبيان ما يحتاجون

اليه في الدارين فكانت مرحمته تعالى في حق القسم الذي
لا يوقف عليه بالعقول باثبات طرايق الوصول في حق
طبقات الناس كلهم ومرحمته وتفضله في حق القسم الذي
يوقف عليه بالعقول في حق الموصوفين بكمال العقول
المتفرغين للبحث عن الحقايق بتسهيل الوصول والتنبيه
لكيفية الاستدلال وفي حق الموصوفين بالبلادة باثبات
طرايق الوصول وكذى في حق المعرضين عن طلب الحقايق
باكتساب الاموال فمن ثبتت من هولاء في حقه معجزة الرسول
بالمشاهدة او بالنقل المتواتر الذي يضاهي المتصل بالمشاهدة
كان قول الرسول في حقه طريق الوصول الى ثبوته عنده
وان لم يوجد منه الاستدلال العقلي لجعل الله تعالى
ذلك الطريق في حقه كجعله دلايل العقول سببين
الوصول في حق غيرهم مرحمة منه على هولاء الضعفة
تخفيفا للمؤنة عنهم وان كان في الجملة في اصل عقولهم
امكان الوقوف على ذلك فمن لم يرض بهذا وشرط الاستدلال

العقلي معه فقد عارض الله تعالى في حكمته ونازعه فيما
أنعم به على الضعفة من عباده من آثار رحمته والدليل
على أن الله تعالى جعل قول الرسول في حق هؤلاء طريق الوصول
إلى اعتقاد الصواب وإن لم يوجد منهم الإسناد لأن
العقلي صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم وصنيع الخلفاء
الراشدين بعده وصنيع جميع أئمة المسلمين وسلاطينهم
إلى يومنا هذا أما صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه
بعث في الأمة الأمية الخالية عن صناعة الإسناد لأهل
والعلم بشرائطه كانوا يعبدون ما ينحتون ويعتقدون
أن ما نعبده قبيلته من الصنم المنحوت من الصخر والخشب
شريك لله تعالى وكانوا يتعجبون من تجريد التوحيد
وخلع الأنداد ويقولون للرسول أجعل الآلهة إلها
واحدا إن هذا لشيء عجاب وكانوا ينكرون بعث الله من البشر
رسولا مستحيلا على ما أخبر الله تعالى عنهم قالوا أبعث الله
بشرا رسولا وكانوا ينكرون البعث والنشور ممتنعا حتى قالوا من

من يحيي العظام وهي رميم ثم إن واحدا منهم إذا عاين معجزة
ناقضة للعادة أو سمع القرآن وعرف وجه إعجازه لمعرفته
بجواهر الكلام وصنوف البلاغة وضروب النظم
ثم رأى القرآن باين كلا في النظم وفاق جميعها في الفصاحة
والبلاغة فاعترف برسالته وأقر لإخباره بوحدانية
الله تعالى وخلع الأنداد وأعرض عما كان يعتقده من
الوهية الأوثان والأصنام وآمن بالبعث والحشر في القبور
من غير امتداد زمان يتمكن فيه من إحالة الروية والرجوع
إلى قضية العقل الدليل بل في أسرع من لمح البصر كان
الرسول صلى الله عليه وسلم بعده مؤمنا موقنا ولا يشتغل
بتعليمه من الدلائل العقلية في كل مسألة من المسائل الاعتقادية
مقدار ما يصير به مستدلا ولا مقدار ما يناظر الخصوم
ويذب عن حريم الدين ويفند رأي ما يرد عليه من الإشكالات
ولا بتعليمه كيفية تركيب القياسات العقلية وطريق الإلزام
والالتزام وكذي الخلفاء الراشدون فإن الصديق رضي الله عنه

قبل إيمان من آمن من أهل الردة من غير اشتغال بتعليمه إياهم
من الدلائل ما يصيرون به مستبصرين من طريق العقل
وكذي عمر رضي الله عنه لما فتح سواد العراق قبل هو وعماله
إيمان من كان بها من الزط والأنباط مع قلة أذهانهم
وبلادة أفهامهم وتزجية عمرهم في الفلاحة وعمارات
الأراضي وكري الأنهار وكذي قبلوا إيمان غيرهم من أهل
القرى والرساتيق من المجوس وغيرهم مع معرفتهم بخلوهم
عن صناعة الاستدلال لما أنهم رأوهم قد صدقوا رسولهم
بعد ما بلغهم بطريق التواتر ظهور المعجزات على يده ولو لم يكن
ذلك إيمانا لفقد شرطه وهو الاستدلال العقلي لاشتغلوا
بأحد أمرين إما بالإعراض عن قبول إسلامهم فحكموا ببقائهم
على ما كانوا عليه من الكفر وضربوا الجزية على جماجمهم
والخراج على أراضيهم وعاملوهم بمعاملة أهل الذمة وإما
بنصب متكلم حاذق بصير بالأدلة عالم بكيفية المحاجة
ليعلمهم جميعا صناعة الكلام إلى أن يبلغوا في العلم مرتبته ثم

ثم بعد ذلك يحكمون عليهم بالإيمان وعند امتناعهم وامتناع
كل من الأئمة في البلاد أجمع إلى زماننا هذا عن ذلك ظهر
أن ما ذهب إليه الخصوم خلاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخلفائه وصحابته وجميع المسلمين وما هذا سبيله
فهو باطل يحقق هذا أن هذا الصنيع من الرسول صلى الله
عليه وسلم وخلفائه وأئمة أمته على رأي الخصوم داخل
في حيز السفه وبقيت على الرسول صلى الله عليه وسلم
عهدة التكليف بتعليم نهاية علم الأصول لمن بلغ إليه
الرسالة فإذا فارق الدنيا ولم يفعل ذلك وحكم
بإيمانهم كان مخطئا في الحكم بإيمانهم مقصرا في أداء ما
أمر بتبليغه إلى الناس غير مبلغ ما وجب عليه تبليغه
على قول الخصوم وكل قول هذا عقباه فقساده
مما لا يخفى على الجانبين فضلا عن العقلاء وكذي قولهم
إن قول الرسول لا يصلح دليلا لثبوت الصانع وحدوث
العالم يفضي إلى هذه المعاني المستحيلة وكل معقول

يؤدي أن هذا فهو باطل ۞ وأما عامة أهل السنة والجماعة
من الفقهاء والمتكلمين فإنهم قالوا إن هذا الرجل مأمور
بالإيمان وقد آمن إذ الإيمان هو التصديق وقد وجد
منه التصديق فنال الثواب الموعود إذ الثواب ينال
بفضل الله تعالى ووعده فينال من وعد له سواء
لحقته المشقة أو لم تلحقه قال الله تعالى سابقوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماء والأرض
أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء وقول المعتزلة إن هذا التصديق ليس بإيمان
لأن إدخال النفس في الأمان من أن يكون مكذوبا
أو مخدوعا أو ملبسا عليه لم يوجد هذا منهم قول
باطل لأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق من غير
أن يكون مأخوذا من الأمان يقال آمن به وآمن له
أي صدقه وإن واحدا من عرض الناس لو أخبر بخبر
محتمل فصدقه من لا عهد له به لم يمتنع أحد من أهل اللغة أن

أن يقول آمن له وإن لم يعرف دليل صحته ولم يدخل نفسه
في الأمان بل يطلقون ذلك لوجود نفس التصديق منه إياه
يدل عليه أنه يقال آمنت لفلان أو آمنت به ولو كان
هذا إدخال النفس في الأمان لكان يعلق بنفس السامع
لأنه لا دخل نفسه في الأمان إلا المخبر فينبغي أن يقول آمنت
نفسي لا أن يقول آمنت بفلان فإذا قيل آمنت به دل أنه
عبارة عن التصديق قال سيف الحق أبو المعين
في أصوله ثم هذه المسألة بيننا وبين الأشعري في حق
من نشأ في قطر من الأقطار النائية أو نشأ هو في جبل لم تبلغه
الدعوة ولا علم له بثبوت الملة فشاهده مسلم فدعاه
إلى الدين وبين له ما يجب اعتقاده وأخبره أن رسولا لنا بلغ
هذا الدين عن الله تعالى ودعانا إليه وقد ظهرت على يده
المعجزات الناقضات للعادات فصدقه هذا الإنسان
في جميع ذلك واعتقد الدين من غير سابقة تأمل وتفكر
هذا هو الذي اختلفوا فيه ۞ فأما أهل دار الإسلام

عوانهم وخواصهم نسوانهم وصبيانهم العاقلون أهل الأمصار
والرساتيق والقرى وسكان الصحاري والبراري فكلهم
مؤمنون مسلمون عارفون بالله تعالى ووحدانيته وغير
ذلك لن يخلوا أحد منهم عن ضرب استدلال وإن كان
لا يهتدي إلى العبارة عن دليله ولا يقدر على دفع الشبه
المعترضة حتى أن واحدا منهم متى عاين هولا من الأهوال
كرعد هائل أو هبوب ريح عاصفة أو ظلمة راكدة يسبح
للحال ويصف الله تعالى بكمال القدرة ونفاذ المشيئة
وتمام العلم والحكمة علما منه أن لا نعلق لهذه الأفراع
إلا بقدرته التامة ومشيئته النافذة وهو الذي خلق
السموات والأرض بلا عمد ممدودة وأطناب مشدودة
وجعل فيها الأفلاك الدائرة والنجوم السائرة وخلق
الأرض وجعل فيها الجبال الراسية وشق فيها الأنهار
الجارية على هذا جميع أهل الأسواق والنواحي والقرى
والرساتيق والنسوان والعقلاء من الصبيان فلم يكن بيننا

بيننا وبين الأشعري في هولاء خلاف وإنما الخلاف بيننا
وبين المعتزلة على ما نقدم بيانه

القول في أنواع الحجج الشرعية الموجبة

قال الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين أيده الله ذكر القاضي
أبو زيد رحمه الله في كتاب تحديد أدلة الشرع الموجبة للعلم
أربع كتاب الله تعالى وخبر رسوله المسموع منه والمروي
بالتواتر عنه والإجماع وطريق ذلك كله واحد وهو خبر
الرسول صلى الله عليه وسلم لأنا لم نعرف الكتاب كتاب الله تعالى
إلا بخبر الرسول وكذلك الإجماع ما ثبت حجة قاطعة
إلا بالكتاب والسنة والمروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالتواتر كالمسموع منه على ما يأتيك كل قسم في بابه فثبت أن
مدار الكل على خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وخبر الرسول
صدق حق لدلالة قامت على أن رسول الله لا يكون رسولا
حتى يكون معصوما عن الكذب وتلك الدلالة هي قيام المعجزة

الخارجة عن وسع المخلوق شاهدة على صدق مدعي الرسالة إذ الله
تعالى قادر حكيم فلا يقيم تلك الدلالة على يدي الكاذب
في دعوى الرسالة وبيان ذلك أنا نعلم أن الله تعالى سامع
لما يقوله هذا المدعي فإذا ادعى الرسالة وقال إن الله تعالى
أرسلني وآية صدقي في دعوى الرسالة أن الله تعالى يفعل
كذا وذكر ما يخرج عن قدرة المخلوق في العادات ففعل الله
تعالى ذلك كان ذلك من الله تعالى تصديقا فيما يدعي
من الرسالة بما فعل من الناقض للعادة فيكون ذلك كقوله
صدقت أنت رسولي وذلك يوجب العلم قطعا ويقينا
ثم ظهور مثل ذلك على يدي الكاذب في دعوى الرسالة
ممتنع قال سيف الحق أبو المعين في أصوله
إن وجه امتناع ذلك عند جماعة من أئمتنا هو أن قول
المدعي خبر يحتمل الصدق والكذب والنبي والمتنبي في الجوهر
واحد ولا دليل يفرق بينهما إلا المعجزة الناقضة للعادة
فلو جاز ظهورها على يدي الكاذب في دعوى الرسالة لكان

لكان فيه التسوية بين الصادق والكاذب والحق والباطل
وسد لطريق الوصول إلى الحق وذا سفه خارج عن الحكمة
والله تعالى حكيم يتعالى عن السفه ولهذا المعنى لم يمتنع ظهور
الناقض للعادة على يدي مدعي الربوبية كفرعون في دعوى
الألوهية لنفسه والسامري في دعوى الوهية العجل
لظهور دلائل كذبه في ذلك لما في جوهره من التأليف والتركيب
والتغيير وظهور وجوده بعد أن لم يكن وتقدم غيره على
وجوده فلم يكن في ظهوره سد لطريق الوصول إلى الحق
وليس فيه إيجاب التسوية بين الحق والباطل بخلاف المتنبي
فإن قوله خبر وهو يحتمل وليس في شخصه وجوهره ما يدل
على كذبه في دعوى الرسالة فلا فرق بينه وبين الصادق
إلا ظهور المعجزة فلذلك امتنع ظهورها على يدي الكاذب
فهذه هي الدلالة على أن رسول الله لا يكون رسولا حتى يكون
معصوما عن الكذب وأكثر المحققين على هذا القول
وذهب بعض متكلمي أهل الحديث وغيرهم إلى أن جهة

امتناع ظهور المعجزة على يدي المتنبي أن ظهورها على يده يوجب
تعجيز الباري عن إقامة الدلالة على صدق الصادق في دعوى
الرسالة وإثبات التفرقة بين الحق والباطل إذ كلما جاز ظهور
الناقض للعادة على يدي النبي جاز مثله على يدي المتنبي وذا يؤدي
إلى تعجيز الباري وتعجيز الباري تعالى محال وإذ قد ثبت هذا
يحتاج إلى بيان تحديد الحجج المذكورة فأول ذلك

القول في بيان حد الكتاب

وكونه حجة ع

قال الشيخ الإمام نجم الملة والدين أيده الله قال القاضي أبو زيد
رحمه الله كتاب الله تعالى ما نقل إلينا بين دفتي المصاحف على
الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا لأن ما دون المتواتر
من الأخبار لا يبلغ مرتبة العيان على ما يذكر في تحديد المتواتر
فلا يوجب الإيقان وكتاب الله تعالى ما علم يقينا وأوجب
علم اليقين لأنه أصل الدين وبه ثبتت الرسالة وقامت الحجة على

على الضلالة قال الشيخ الإمام نجم الدين أيده الله
وفي قوله إنه أصل الدين وبه ثبتت الرسالة وجهان أحدهما
ما ذكر علماء الأصول أن القرآن متضمن نصا وإيداعا للشريعة
بأصولها وفروعها والثاني أنه معجز للخلائق بنظمه الخارج
عن جميع أقسام كلام الخلق إذ كلام البشر أقسام منها
الشعر والسجع والخطب والنثر والرسائل فإذا عورض القرآن
بسائر أقسام كلام البشر كان نظم القرآن خارجا عن جميع الأنواع
وفاق جميعها في الفصاحة والبلاغة فلما كان خارجا عن أنواع
كلام الخلق دل أنه كلام الخالق جعله معجزة لإثبات
رسالة محمد صلوات الله عليه وسلامه ولأن الكلام
عند الخلق من أسهل الأشياء عليهم حتى لو أن واحدا في وقت
جواز الرسالة ادعى أنه رسول من عند صانع العالم وقال
آية صدقي في دعوى الرسالة أنكم لا تستطيعون أن
ترفعوا أيديكم لتمسوا بها رؤوسكم فأرادوا أن يرفعوا أيديهم
ليمسوا بها رؤوسهم فلم يستطيعوا لكان ذلك آية واضحة

والكلفة في رفع الأيدي فوق الكلفة في التكلم وقد تحداهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكلم بمثل سورة
مما أتى فعجزوا عن ذلك فكان عجزهم عن ذلك فوق
كل عجز في معارضة سائر آيات الرسل لكنه آية
ومعجزة عقلية يدرك كونها معجزة بالتأمل والنظر
بالعقول ۞ ثم فيه آيات على إثبات رسالة نبينا محمد
صلوات الله عليه من وجوه كثيرة منها أن فيه قصة
آدم صلوات الله عليه من مبدأ وجوده إلى أن اهبط هو
وزوجته من الجنة وهي آية لرسالة نبينا صلوات الله
عليه لأنه ولد من قوم أميين لا يعرفون الكتب والرسل
ولا يؤمنون بهما ولم يختلف إلى معلم من البشر ومكث بين
ظهراني قومه ولم يفارق عشيرته ولم يكن يحسن أن
يقرأ كتابا ولا خط بيمينه وهذه القصة كانت في الكتب
السماوية وهي عند أهل الكتاب بغير لسانه وهو لا يعرف
لسان تلك الكتب ولم يتعلم منهم فأخبر بالقصة على وجهها

بما فيها من الكلية والجزوية حتى بالشجرة التي امتحنا
بها وحتى بقوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
على وجه لم يقدم أهل الكتاب على رد شيء منها فكان
دلالة ظاهرة على أنه علم ذلك بالله تعالى بالوحي السماوي
وهكذا ذكر قصة نوح عليه السلام ومدة لبثه في قومه
وهلاك قومه بالتكذيب والعناد بما تضمنت من الكلية
والجزوية وكذا كل قصة ذكرت فيه من قصص الأنبياء
المتقدمة والأمم السالفة والكتب المنزلة فهي آية
على رسالته ومنها ما تضمن القرآن من الأخبار عما سيوجد
في زمن رسالته كإخباره عن غلبة الروم فارس في بضع
سنين وكإخباره بقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وإخباره بفتح مكة وما تضمن من الأخبار بالفتوحات
واختلاف الذين آمنوا به بعد وفاته وظهور دينه
فتحقق كل ذلك على ما أخبر وأما وجه تضمنه للشريعة
فإن سائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم لم تكن

مُتَضَمِّنَةً لِشَرَائِعِهِمْ بَلْ كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلَى كَوْنِهَا آيَاتٍ عَلَى إِثْبَاتِ
نُبُوَّتِهِمْ وَالْقُرْآنُ مَعَ كَوْنِهِ مُعْجِزَةً أَعْجَزَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَنْ إِتْيَانِ
مِثْلِ سُورَةٍ مِنْهُ هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِأُصُولِ الدِّينِ مِنَ التَّوْحِيدِ
وَالْإِيمَانِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ وَالْحُدُودِ وَأَحْكَامِ
سَائِرِ مَا يَقَعُ وَيَحْدُثُ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
ابْتِدَاءً وَهَذِهِ الْوُجُوهُ مِنْ كِتَابِ التَّأْوِيلَاتِ لِإِمَامِ الْهُدَى
أَبِي مَنْصُورٍ وَكِتَابِ تَجْدِيدِ أَدِلَّةِ الشَّرْعِ ه

فَإِنْ قِيلَ إِنَّ كَوْنَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مُعْجِزًا بِالنَّظْمِ
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَلِمَ شَرَطْتُمُ النَّقْلَ الْمُتَوَاتِرَ فَقَدْ
أَجَابَ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ هَذَا فَقَالَ إِنَّ كُلَّ آيَةٍ مِنْهُ
لَيْسَتْ مُعْجِزَةً يَعْنِي لَمْ يَقَعِ التَّحَدِّي بِكُلِّ آيَةٍ مِنْهُ بَلْ بِسُورَةٍ
مِنْهُ وَإِذَا لَمْ يَقَعِ التَّحَدِّي بِكُلِّ آيَةٍ مِنْهُ لَمَا قَدْ تَكُونُ بَعْضُ الْآيِ
قَصِيرَةً وَهِيَ حُجَّةٌ قَطْعًا فَلَا يَثْبُتُ كَوْنُهَا مِنَ الْكِتَابِ
إِلَّا بِالسَّمَاعِ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ نَقْلٍ عَنْهُ
بِالتَّوَاتُرِ **فَإِنْ قِيلَ** فَإِذًا الدَّلِيلُ عَلَى الْقُرْآنِ النَّقْلُ الْمُتَوَاتِرُ

الْمُتَوَاتِرُ لَا ذَاتُ الْمَصَاحِفِ أَجَابَ عَنْهُ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
فَقَالَ إِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ضَمُّوا الْمَصَاحِفَ إِلَى الْقُلُوبِ
مُبَالَغَةً فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ فَأَثْبَتُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ بَعْدَ
الْقُلُوبِ لِيَصُونُوهُ عَنِ النُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ حَتَّى كَرِهُوا التَّعَاشِيرَ
وَأَمَرُوا بِالتَّجْرِيدِ فَأَثْبَتُوا فِيهَا مَا تَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ نَقْلُهُ وَاطَّبَقَ
عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَشَهِدَتْ بِهِ نُسْخَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَنَظْمُهُ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ حُجَّةٌ فَلِأَنَّهُ كَلَامُ
اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُ بِالْبَاطِلِ
لِأَنَّهُ عَالِمٌ فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَحَكِيمٌ فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ السَّفَهُ
وَصَادِقٌ فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ ه

الْقَوْلُ فِي تَجْدِيدِ الْمُتَوَاتِرِ وَكَوْنِهِ حُجَّةً

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ نَجْمُ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ أَيَّدَهُ اللَّهُ قَالَ
أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ تَجْدِيدِ أَدِلَّةِ الشَّرْعِ
اخْتَلَفَتِ الْعِبَارَاتُ فِي حَدِّ الْمُتَوَاتِرِ وَالْمُخْتَارُ عِنْدَنَا مَا تَوَاتَرَ

نقلة أي اتصل بك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتتابع النقل يقال تواترت الكتب أي اتصل بعضها
ببعض بتتابع الورود ولا تثبت حقيقة الاتصال حتى
ترتفع شبهة الانفصال وهو أن يتصل بك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتصالا لا تبقى لك فيه شبهة كأنك
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاها وذلك
بأن ينقله اليك قوم لا يتوهم في العادات منهم التواطئ
على الكذب لكثرتهم وبعد أماكنهم عن قوم مثلهم
حتى يكون أوله كآخره وأوسطه كطرفيه وحكمه
أن يوجب العلم يقينا كما يكون بالسماع كذا ذكره
أبو زيد رحمه الله وذكر بعض المشايخ في أصوله في حد
المتواتر أنه كعدد نقلة القرآن والصلوات الخمس
وغسل الجنابة وهذا في معنى الحد الأول وذكر أبو زيد
رحمه الله في فصل أقسام الصحيح من الأخبار عقيب
ذكره حد المتواتر فقال وحكمه أنه يوجب العلم يقينا و

وذكر فيمن زعم أن المتواتر لا يوجب العلم يقينا بأنه يكون
قد زعم أنه لم يعرف رسولا من الرسل ولا عرف كتاب الله
تعالى ولا عرف أباه ولا أمه قال لأنه ما يوصل إلى علمهم إلا
بالخبر ثم قال ومن قال هذا فقد أبطل دينه قبل كل شيء
ثم أبطل عقله لأنا إذا رجعنا إلى قلوبنا التي هي معدن
المعرفة وجدناها عارفة بالآباء والأمهات عن خبر متواتر
مثل معرفتنا بالبنين والبنات عن عيان ووجدناها
تعرف أنهم مولودون عن أصول كما تعرف أنهم بلدون
فروعا ويعرف كل مسلم جهة مكة بالخبر المتواتر كما يعرف
جهة بيته بالعيان وهذا كما عرفنا الله تعالى بحدنا للعالم
بالاستدلال كما نعرف أولادنا بحادثة بالعيان فصير
إنكاره بعد ثبوت حد المعرفة على الحقيقة كمن
أنكر العيان ولأن الله تعالى خلق الخلق أطوارا على هيئة
شتى وطبائع متباينة فصارت بحكم الجبلة عللا باعثة
على حسب اختلافها فلا يصدر منهم فعل أو قول على سنن

واحدٍ بل يكون الحدوث على اختلافٍ بحسب هممهم وهواجس
نفوسهم لأن الحوادث عن علل مختلفة لابد أن تكون
مختلفة فلما أخبروا خبرًا واحدًا علم أن الأخبار لم يكن
من قبل اختراعهم بل عن أصل جمعهم على ذلك وذلك سماع
اتبعوه أو اتفاق صنعوه فلو كان اتفاقًا صنعوه
لم يتصور انكتام ذلك التواطي مع اختلاف هممهم
وكثرة عددهم وبعد أمكنتهم في العادات الجارية
بين الخلق فلما لم يظهر التواطي انقطع توهم الاتفاق
فإذا انقطع وهم الاتفاق تواضعًا تحقق السماع ولأن
انكتام التواطي من جماعة كثيرة نادر خارج عن العادات
فلا يتوهم كتمان الاتفاق بعد مرور الزمان من جمع
عظيم ولأن الإنسان قد يتعذر عليه كتمان سره في نفسه
فيفشيه إلى صديق له ثم يضيق عنه صدر صديقه فيفشيه
إلى ثالث فيصير السر فاشيًا فلا يتوهم المواضعة من الجمع
على امتداد المدة وفي الجمع المؤمنون والمنافقون والجواسيس

لأهل الكفر فبطل توهم الاتفاق تواضعًا لعدم تصور
الانكتام في العادات فصار المتواتر موجبًا للعلم كالآية الناقضة
للعادات حيث صارت حجة موجبة للعلم لخروجها
عن وسع الخلق على نقض العادة ولهذا قال العلماء إن من جحد
ما ثبت بالسنة المتواترة يصير كافرًا كما لو رد على النبي صلى
الله عليه وسلم مواجهة وذكر أبو المعين النسفي في
أصوله بأن لزوم المعجزات للخلق بالخبر المتواتر كلزومها
إياهم بالمشاهدة فقال إن المعجزات الناقضات للعادات
كخروج الناقة من الصخر لصالح عليه السلام وصيرورة النار
بردًا وسلامًا لإبراهيم عليه السلام وقلب العصا حية
لحمًا ودمًا وتلقف حبال السحرة وعصيهم لموسى عليه
السلام وتسخير الريح والجن والشياطين لسليمان عليه
السلام وتسبيح الجبال والآنة الحديد من غير آلة ومباشرة
النار لداود عليه السلام وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام
وحنين الأسطوانة وشكاية الناقة وكلام الشاة المشوية

وانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع لنبينا محمد صلوات
الله عليه آيات على ثبوت رسالتهم ويثبت ذلك لاهل زمانا
بهم بالمشاهدة ولمن بعدهم بالخبر المتواتر الذي يوجب
العلم قطعا ويقينا كما يثبت العلم بالبلدان النائية كمكة
والمدينة ومصر عن الخبر المتواتر مثل ما يحصل العلم بها
لمن رآها عيانا وكذي ثبت العلم بالملوك الماضين كسليمان
وذي القرنين والفياصرة والاكاسرة عن الخبر يقينا كما ثبت
العلم بهم لمن رآهم عيانا فكذلك يثبت العلم بمعجزات
الانبياء صلوات الله عليهم عن الخبر يقينا كما ثبت العلم
بها لمن شاهدها عيانا والله الموفق

القول في التفرقة بين الحجة والشبهة والمعجزة والمخرقة

من اصول سيف الحق وغيره قال الشيخ الامام
نجم الدين ايده الله فنقول وبالله التوفيق ان الفرق بين المعجزة والمخرقة

والمخرقة موان الشعبذة والمخرقة شبهة وهي تزداد
ضعفا واضمحلالا وتلاشيا عند البحث عنها والتأمل
فيها لان المخرقة تمويه محض والشعبذة مبنية على
شغل اعين الناظرين بشيء واخراج غيره بخفة يد ودقة
حيلة واما الحجة فهي اسم ماخوذ من حج اذا غلب
يقال حاججته فحججته اي غلبته اي الزمته بالحجة حتى
صار مغلوبا حتى قال الله تعالى في غلبة حجة موسى فرعون
وقومه فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين فسميت الحجة
حجة لان حق الله تعالى يلزم العباد بها ويجعلهم مغلوبين
في المناظرة مع الله عز وجل بانقطاع العذر بها وكذلك البينة
والبرهان في معنى فقيل البرهان مقلوب بهر يقال بهر
اذا ظهر وكذلك البينة وهي ماخوذة من البيان قال
الله تعالى فيه آيات بينات اي ظاهرة وهذا لان الحجة
انما يجب العمل بها اذا ظهر للقلب وجه الالزام منها
فان ظهر من كل وجه اوجب العلم والعمل جميعا كما في المعجزات

وَالْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ يُوجِبُ التَّصْدِيقَ بِالْقَلْبِ وَالْانْقِيَادَ بِالْبَدَنِ
وَإِنْ ظَهَرَ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ اَوْجَبَ الْعَمَلَ كَمَا فِي خَبَرِ الْوَاحِدِ
وَالْقِيَاسِ وَاَمَّا الْاٰيَةُ فَاسْمٌ عَلَى الْاِطْلَاقِ لِمَا اَوْجَبَ عِلْمَ
الْيَقِينِ وَلِذٰلِكَ سُمِّيَتْ مُعْجِزَاتُ الرُّسُلِ اٰيَاتٍ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى
وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسٰى تِسْعَ اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَهِيَ الْمُعْجِزَاتُ وَتَفْسِيرُهَا
لُغَةً الْعَلَامَةُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى فِيهِ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ
اَيْ عَلَامَاتٌ فَالْمُعْجِزَةُ تُوجِبُ عِلْمَ الْيَقِينِ بِنُبُوَّةِ الرَّسُولِ بِوَاسِطَةِ
التَّاَمُّلِ وَتَرْكِ الْاِعْرَاضِ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا وَاِنَّمَا جَهِلَ مَنْ
جَهِلَ بَعْدَ ظُهُورِ اٰيَاتِ الرُّسُلِ بِتَرْكِ التَّاَمُّلِ وَلَمْ يَعْذُرْ
بِالتَّرْكِ لِاَنَّ الْعَقْلَ مِمَّا يُلْزِمُهُ التَّاَمُّلَ فِيهَا لِاَنَّهُ حُجَّةٌ مِنْ حُجَجِ اللّٰهِ
تَعَالٰى وَهِيَ تَتَعَاضَدُ وَلَا تَتَضَادُّ وَلَوْ كَانَتِ الْحُجَجُ مُوجِبَةً
لِلْعِلْمِ جَبْرًا لَمَا تَعَلَّقَ بِهَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ فَالْمُعْجِزَةُ رَأْسُ
الْحُجَجِ وَهِيَ تَزْدَادُ عِنْدَ الْبَحْثِ وَالتَّاَمُّلِ اِيضَاحًا وَاسْتِنَارَةً
وَقُوَّةً وَوَكَادَةً وَعَلَى مَرِّ الْاَيَّامِ ثَبَاتًا وَدَوَامًا وَالْمُخَرِّقَةُ
شُبْهَةٌ وَهِيَ تَزْدَادُ عِنْدَ التَّاَمُّلِ فِيهَا وَالْبَحْثِ عَنْهَا ضُعْفًا

وَتَلَاشِيًا وَلِذٰلِكَ ظَهَرَ عَمَلُ الْحُجَّةِ فِي سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ حَيْثُ كَانُوا
عَالِمِينَ بِالشُّبْهَةِ وَهِيَ مَا اَتَوْا بِهِ مِنَ السِّحْرِ اَزْجَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ
كَانَتْ تُخَيَّلُ لِلنَّاسِ بِسِحْرِهِمْ اَنَّهَا تَسْعٰى وَهُمْ يَعْلَمُونَ اَنَّهَا حِبَالٌ
وَعِصِيٌّ حَقِيقَةً لَمْ تَحْدُثْ فِي ذَوَاتِهَا اَثَرُ الْقَلْبِ عَنْ حَقِيقَتِهَا
فَلَمَّا اَلْقٰى مُوسٰى عَصَاهُ بِاَمْرِ اللّٰهِ تَعَالٰى اِيَّاهُ بِالْاِلْقَاءِ صَارَتْ
ثُعْبَانًا لَحْمًا وَدَمًا تَتَلَقَّفُ مَا كَانُوا يَاْفِكُونَ اَيِ ابْتَلَعَتْ حِبَالَهُمْ
وَعِصِيَّهُمْ فَلَمْ تُرَ بَعْدَ الْاِبْتِلَاعِ فَلَمَّا رَاَوْا ذٰلِكَ اَثَرَ ظُهُورِ الْحُجَّةِ
فِيهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْقِيَامَ عَلٰى اَقْدَامِهِمْ لِعَظِيمِ عَمَلِ الْحُجَّةِ
فِي قُلُوبِهِمْ فَوَقَعُوا سَاجِدِينَ كَاَنَّهُمْ اُلْقُوا جَبْرًا وَقَسْرًا
لِعَظِيمِ ظُهُورِ اٰيَةِ الْحَقِّ وَعَلَامَةِ الصِّدْقِ وَقَالُوا اٰمَنَّا
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ لِاَنَّهُمْ تَبَيَّنُوا بَيْنَ الْحُجَّةِ وَالشُّبْهَةِ وَكَانُوا اَعْرَفَ
بِذٰلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ حِينَ عَايَنُوا انْقِلَابَ عَصَى مُوسٰى صَلَوَاتُ
اللّٰهِ عَلَيْهِ حَيَّةً ثُعْبَانًا لَحْمًا وَدَمًا عَلِمُوا اَنَّ ذٰلِكَ صُنْعُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ وَعَلٰى هٰذَا جَمِيعُ اٰيَاتِ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ
عَلَى الثَّبَاتِ وَالْوُضُوحِ وَلِذٰلِكَ يَكُونُ الْمُعْرِضُ عَنْهَا مُعَانِدًا

مكابرا حيث علم وكابر فالـــــــ سيف الحق رحمه الله
ولو ادعى احد من المتعبدة والسحرة النبوة واراد اظهار
ما هو ناقض للعادة ليكون دلالة على صدق مقالته
لاعجزه الله تعالى عن ذلك وابطل سحره وكيده في الحال
صيانة للحجج عن ان يعارضها باطل او يقاومها فاسد

القول في تجديد الاجماع وكونه

حجة من هذه الامة شرعا

قال الشيخ الامام نجم الملة والدين ايده الله قال القاضي ابو زيد
رحمه الله اجماع هذه الامة حجة موجبة للعلم شرعا
كرامة على الدين الحق وانما قلنا شرعا لان المجوس اجتمعت
على اشياء كانت باطلة وكذلك النصارى واليهود وساير
الكفرة وهم اكثر منا عددا لان كون الاجماع حجة ليس
لعينه بل لمعنى في اهله وهو كون اهله على دين قامت الحجج
والدلايل على حقيته وهو دين الاسلام اذ الاسلام جعل العبد

العبد نفسه مع جميع اقسام العالم ملكا لله تعالى
لا يجعل لغيره فيها شركة اذ البرهان القطعي قام على ذلك
من كل وجه وبيان ذلك ان التغيير والتسخير والتاليف
والتركيب معاين مشاهد في العالم فدلت هذه الادلة
على كونه محدثا اذ ذات ما لا يقتضي تغيير نفسه ولا زواله
فدل ان ذلك فعل الغير فكان العالم محدثا لا قديما
لان القديم لا يتغير وكذلك التاليف لا يكون الا بمولف
والتركيب لا يكون الا بمركب فثبت ان العالم محدث مصنوع
وله صانع صنعه ومحدث احدثه ثم لا يجوز ان يكون
الصانع عددا اذ لو كان عددا لوقع التدافع والتمانع
بينهما طلبا للكمال اذ الناقص لا يصلح ان يكون الها وفي
التدافع تعطل المصنوع عن الوجود لان احدهما اذا اراد
ايجاد العالم واراد الاخر منعه عن ذلك طلبا للكمال
فلا يتصور ان ينفذ ارادتهما جميعا معا اذ لا واسطة
بين الوجود والعدم وفي القول بالتساعد بطلانهما

جميعًا للزوم الحاجة الى المساعد وذلك نقص والناقص
لا يصلح الهًا وفي الممانع تعطل الوجود حتى يظهر الغالب
منهما فلما تحقق وجود العالم ثبت وحدانية الصانع
جلت عظمته وثبت براءته عن الحاجات الى الصاحبة والولد
والشريك فالمجوس اثبتوا للعالم صانعين واليهود وصفته
بالولد وانه على صورة البشر وهذا وصف بالحاجة وبسمة
الحدث والمحتاج ناقص والناقص لا يصلح ان يكون الهًا
وصانع العالم كامل وكذلك النصارى وصفته بالولد
والصاحبة والشريك وكذلك سائر الكفرة وصفته
بما لا يليق به فكان اجماعهم في اصل الدين على باطل فانعدم
فيهم اهلية الاجماع وشرط صحته فسقط اعتبار الاجماع
منهم واما هذه الامة فقد دانوا بالدين الذي قامت على
حقيته البراهين والحجج فانهم اثبتوا وحدانية الصانع
عز ذكره وشهدوا بتعاليه عن حاجة الولد والصاحبة
والشريك وعن سائر معاني الخلق وصدقوا جميع الكتب

السماوية

السماوية وبجميع الانبياء والرسل وبمعجزاتهم اذ التكذيب
بواحد منهم تكذيب للكل والرد لمعجزة واحد منهم رد على
الله تعالى فخرج من الدين الذي امر الله عباده فدل ان اجماعنا
جعل حجة شرعًا كرامة للدين وذلك لقوله تعالى الله
ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اخبر انه
يخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والباطل الى نور
الايمان والحق ولو جاز اجماعهم على باطل لكانوا في ظلمته
فيكون خلاف ما اخبر الله تعالى وانه ممتنع وقال تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وكلمة خير بمعنى افعل فتدل على نهاية
الخيرية ونفس الخيرية في كينونة العبد مع الحق والنهاية
في كينونته مع الحق على الحقيقة فدل صفة الخيرية
التي بمعنى افعل على انهم مصيبون لا محالة الحق الذي هو
حق عند الله تعالى اذا اجمعوا على شيء وان ذلك الحق لا يعدوا
اقوالهم اذا اختلفوا وكذلك قوله تامرون بالمعروف يتناول

ما كان معروفا عند الله وكذلك قوله وتنهون عن المنكر
يتناول ما كان منكرا عنده تعالى بدليل قوله كنتم خير امة
حيث اخبر انهم كانوا خيرا بهذه الصفة وهو اصابة
المعروف المطلق ظاهرا وباطنا اذا امروا وكذلك
اذا نهوا عن المنكر ان يكون ما نهوا عنه منكرا ظاهرا
وباطنا لا ما يكون معروفا ومنكرا في راي المجتهد حالة
الانفراد فانه قد يجوز ان لا يصيب ما هو عند الله لان الدليل
الموجب لاصابة ما هو حق عند الله تناول جماعتهم
فبقي الواحد تحت الاحتمال **فان قيل** معنى قوله
تامرون اي يامر كل واحد منكم والواحد منهم يجوز ان لا
يكون مصيبا قلنا نعم فيجب اذا امر كل واحد منهم بمعروف
ان يكون المعروف المطلق في جملة ما امروا وقال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط هو العدل واجماع
العدول حجة ولان الوسط في اللغة من يرتضى بقوله
قال الله تعالى قال اوسطهم اي ارضاهم قولا ومطلق الارتضاء

في اصابة الحق عند الله تعالى وقال تعالى لتكونوا شهداء على الناس
والشاهد اسم لمن ينطق عن علم ولم يكون قوله حجة فدل النص
على ان لهم علما بما على الناس من احكام الله تعالى وان اقوالهم حجة
في حق الله تعالى فلا تثبت الحجة في حقه على حكمه الا ما اوجب
العلم قطعا وكذلك خبر الله تعالى عن علمهم لا يقع الا على الحقيقة
لان الله تعالى شبه شهادتنا على الناس بشهادة الرسول علينا
بقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا وشهادة الرسول موجبة
للعلم فكذلك شهادتنا ولان شهادتنا لو لم تكن موجبة علما يقينا
لصارت كشهادة غيرنا بارائهم فلا تبقى حجة فدل ان شهادتنا
موجبة للعلم **فان قيل** ان الاية وردت في امور
الاخرة قلنا لا تفصيل في الاية بين احكام الدنيا والاخرة
ولان شهادة الاخرة شهادة اداء ليحكم بها بما علمنا في الدنيا
ولو لم تكن شهادتنا موجبة للعلم لما طلب القضاء بها والقاضي
علام الغيوب لا يقضي الا بالثابت حقا ومتى احتمل علمنا
الخطا في الدنيا لم تكن شهادة موجبة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول

مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى
وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَلَوْ جَازَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى الضَّلَالَةِ لَمَا كَانَ مُخَالَفَتُهُمْ
نَظِيرَ الْمُشَاقَّةِ الرَّسُولِ فَلَمَّا جُعِلَ مُخَالَفَتُهُمْ أَحَدَ شَطْرَيْ اسْتِيجَابِ
النَّارِ عُلِمَ أَنَّهُ مِثْلُ الشَّطْرِ الْآخَرِ وَقَدْ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالٍ
وَجَاءَ الْوَعِيدُ فِي مُخَالَفَةِ الْجَمَاعَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ

الْقَوْلُ فِي تَحْدِيدِ الْإِجْمَاعِ

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ نَجْمُ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ أَيَّدَهُ اللَّهُ قَالَ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
حَدُّ الْإِجْمَاعِ الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ إِجْمَاعُ عُلَمَاءِ عَصْرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَدَالَةِ
وَالِاجْتِهَادِ عَلَى حُكْمٍ ثُمَّ ثُبُوتُ الْإِجْمَاعِ مِنْهُمْ قَدْ يَكُونُ بِنَصِّ الْكُلِّ عَلَيْهِ
وَقَدْ يَكُونُ بِنَصِّ بَعْضِهِمْ وَسُكُوتِ الْبَاقِينَ ثُمَّ حَدُّ السُّكُوتِ
الَّذِي هُوَ حُجَّةٌ السُّكُوتُ عِنْدَ عَرْضِ الْفَتْوَى عَلَيْهِمْ أَوْ عِنْدَ اشْتِهَارِ
الْفَتْوَى فِي النَّاسِ مِنْ غَيْرِ ظُهُورِ رَدِّ أَحَدٍ مِنْ أَقْرَانِ الْمُجْتَهِدِينَ وَذَلِكَ

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحُكْمُ عِنْدَهُ بِخِلَافِ مَا سَمِعَ لَمْ يَسَعْهُ السُّكُوتُ
عَنْ ذِكْرِهِ لِأَنَّ تَغْيِيرَ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ وَقَدْ وُصِفُوا بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ
تَعَالَى يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَدُلُّ حَالُهُ عَلَى
سُكُوتٍ يَحِلُّ وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَسْمُوعُ حَقًّا هَذَا إِذَا دَامَ عَلَى
السُّكُوتِ إِلَى مُدَّةٍ تَنْقَضِي فِي مِثْلِهَا الْحَاجَةُ إِلَى النَّظَرِ لِإِصَابَةِ
الْحَقِّ لِأَنَّ نَفْسَ السُّكُوتِ قَدْ يَكُونُ لِلنَّظَرِ وَطَلَبِ الصَّوَابِ وَلَا عِبْرَةَ
بِقِلَّةِ الْعُلَمَاءِ وَكَثْرَتِهِمْ وَلَا الثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتُوا وَلَا عِبْرَةَ
بِمُخَالَفَةِ الْعَامَّةِ الَّذِينَ لَا رَأْيَ لَهُمْ فِي الْبَابِ وَلَا عِبْرَةَ بِخِلَافِ
الْمُتَّهَمِينَ بِالْهَوَى فِيمَا خَالَفُوا فِيمَا نُسِبُوا بِهِ إِلَى الْهَوَى لِأَنَّهُ لَا يُنْسَبُ
إِلَى الْهَوَى إِلَّا إِذَا خَالَفَ فِيمَا يَجِبُ الْفَتْوَى بِهِ بِدَلِيلٍ يُوجِبُ
الْعِلْمَ يَقِينًا فَيَصِيرُ خِلَافُهُ ذَلِكَ الدَّلِيلَ بِرَأْيِهِ سَاقِطًا كَخِلَافِهِ
نَصًّا يُرْوَى لَهُ فَيَصِيرُ هَوًى أَمَّا الْإِجْمَاعُ مِنَ الْكُلِّ نَصًّا فَلَا
إِشْكَالَ فِي كَوْنِهِ حُجَّةً مُوجِبَةً لِلْعِلْمِ لِلدَّلَائِلِ الَّتِي جَعَلَتِ الْإِجْمَاعَ
حُجَّةً وَأَمَّا كَوْنُهُ حُجَّةً إِذَا نَصَّ بَعْضُهُمْ وَسَكَتَ الْبَاقُونَ فَلِأَنَّ
السَّامِعَ مَا يَحِلُّ لَهُ السُّكُوتُ عَنْ بَيَانِ الْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ فِي خِلَافِهِ

فندل عدالته على أن سكوته على سبيل تحمل له وهو في كون المسموع
حقا وإنما شرطنا مدة التأمل لدرك الحق لأن الحق لا ينال بالاجتهاد
إلا بعد نظر في أشباه الحادثة وتمييز الأشبه من الجملة
ولا بد لهذا من مدة ثم المدة لمثله في العادات لا تمتد إلى الموت
بل إلى حين يتبين له الوجه فيه إما على الموافقة فلا يلزمه النطق
به فسكوته عن الرد دليل الوفاق أو على المخالفة فيرده لأن
رد الباطل واجب وفي حمل سكوته على المخالفة تفسيقه وذلك
حرام فوجب حمله على سكوت تحمل أو تعارض عليه الأشباه
فيلزمه الفتوى بأي الأشباه كان فيصير سكوته فتوى بما ظهر
من الأول ولا يشترط لصحة الإجماع الثبات على الفتوى
منهم ما لم يموتوا لما ثبت أن الحق لا يعدو إجماعهم فيعلم يقينا
بعد الإجماع إصابتهم الحق بعينه فلا يجوز بعد ذلك من واحد
منهم ولا من جماعتهم خلافه كما لا يسعهم خلاف كتاب الله تعالى
ولا يجوز حمل سكوت من سكت على المصابة منهم لأنهم أهل
العدالة والانقياد للحق وما روي عن ابن عباس حين قيل له في

في إنكاره القول في الفرائض هلا ذكرت حجتك لعمر فقال مهابة
لا يصح هذا عنه عندنا لأن عمر كان يقدمه ويستحسن اجتهاده
وعمر رضي الله عنه كان أبين للحق من غيره وكان يحرضهم على القول
له ويقول لا خير فيكم ما لم تقولوا ولا خير في ما لم أسمع وتأويل
قوله مهابة إن صح عنه أن يكون هابه لسبقه عليه في الدين
والفقه والرأي فمنعته عن المبالغة في المناظرة لا أنه سكت عن نفس
الرد فيكون سكوته تسليما هذا كله من كتاب تجديد أدلة الشرع

القول في أقسام الإجماع

قال الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين أيده الله قال أبو زيد رحمه الله
أقسام الإجماع أربعة إجماع الصحابة نصا وإجماعهم بنص البعض
وسكوت الباقين وإجماع أهل عصر بعدهم على حكم لم يتقدمهم فيه
قول وإجماعهم على أحد أقوال اختلف فيها السلف ومن الناس
من قال لا إجماع لمن بعد الصحابة ومنهم من قال لا إجماع إلا
لأهل المدينة ومنهم من قال لا إجماع إلا لعترة الرسول صلى الله عليه

لان الامام منهم والامام معصوم عن الكذب ومنهم من قال
لا اجماع اذا كان في السلف من خالفهم قال ابو زيد رحمه الله
والصحيح هو القول الاول لان الدلائل التي جعلت الاجماع
حجة لم تخص قوما بنسب ولا مكان ولا قرن والاقوال
الاربعة الاخيرة مهجورة وقد حكى مشايخنا عن محمد بن الحسن
رحمه الله نصا ان اجماع اهل كل عصر حجة الا انه على
مراتب اربع فالاقوى اجماع الصحابة نصا لانه لا خلاف
فيه بين الامة لان العترة يكونون فيهم وكذلك اهل المدينة
ثم الذي ثبت بنص بعضهم وسكوت الباقين لان السكوت في
الدلالة على التقرير دون النص ثم اجماع من بعد الصحابة
على حكم لم يظهر فيه قول ممن سبقهم لان الصحابة كانوا خلفا
الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم كانوا خلفا الصحابة
فيقع بينهم وبين خلفهم من التفاوت قرب ما يقع بينهم وبين
الرسول صلى الله عليه وسلم ثم اجماعهم على حكم سبقهم
فيه مخالف لان هذا فصل اختلف فيه الفقهاء قال

قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله وانما
قدمنا ذكر اصول الحجج الموجبة للعلم على هذا الترتيب لان
العقائد لا تبنى الا على ادلة توجب علم الشهادة اذ الاعتقاد
شهادة بتحقيق ما وقع عقد القلب وليعلم ان اهل الحق بنوا
عقائدهم على الحجج القاطعة والبراهين الساطعة وقد سبق
في صدر الكتاب ذكر بعض الائمة الاعلام ممن شرح كتاب
السواد الاعظم وهم الصحابة والتابعون وان بعضهم سماه
كتاب العقائد وبيان السنة والجماعة وهذا هو كتاب العقائد
الذي تقدم الوعد بشرحه فنبدأ بتوفيق الله ومنه بذكره
فصولا على سياق اصله ثم بشرح كلمات فصوله على نسجه
ومنواله ان شاء الله تعالى واصل شرحه على الاختصار للامام
القاضي اقضى القضاة ابي حفص عمر بن ابي بكر بن محمد الغزنوي
رحمه الله وقد ذكر الامام سيف الحق الشفي رحمه الله في
اصوله في الابانة عن جلالة قدر هذا الكتاب والكشف
عن علو رتبة راويه وتبحره في علوم الملة فقال ان ابا جعفر

الطحاوي ممن احتوى على علوم سلف الائمة على العموم وعلى
علوم اصحاب ابي حنيفة فنور الله روحه على الخصوص
وذكر في كتاب العقايد الذي افتتحه فقال صح عندي مذهب
فقهاء الملة ابي حنيفة النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب
ابن ابرهيم وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني وما يعتقدون
من اصول الدين ويدينون به رب العالمين ثم شرع في
ذكر اقاويلهم فقال نقول في توحيد الله تعالى معتقدين
بتوفيق الله ان الله تعالى واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء
يعجزه ولا اله غيره قديم بلا ابتداء دايم بلا انتهاء لا يفنى
ولا يبيد ولا يكون الا ما يريد لا تبلغه الاوهام ولا تدركه
الافهام ولا يشبه الانام حي لا يموت قيوم لا ينام خالق
بلا حاجة رازق بلا مؤونة مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة
ما زال بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن
قبلهم من صفته وكما كان بصفاته ازليا كذلك لا يزال عليها
ابديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية

البرية استفاد اسم الباري له معنى الربوبية ولا مربوب
ومعنى الخالق ولا مخلوق كما انه يحيي الموتى بعد ما احيا استحق
هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم
ذلك بانه على كل شيء قدير وكل شيء اليه فقير وكل امر
عليه يسير لا يحتاج الى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
خلق الخلق بعلمه وقدر لهم اقدارا وضرب لهم اجالا لم يخف
عليه شيء من افعالهم قبل ان خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل
ان يخلقهم وامرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وكل شيء يجري
بقدرته ومشيته ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد الا ما
شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لهم لم يكن يهدي من يشاء ويعصم
ويعافي من يشاء فضلا ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي من يشاء
عدلا وكلهم يتقلبون في مشيئته وعدله وهو متعالي عن
الاضداد والانداد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا غالب
لامره امنا بذلك كله وايقنا ان كلا من عنده اما قول
الطحاوي رحمه الله في افتتاح العقايد هذا ذكر بيان السنة

والجماعة فانما قال ذلك لقوله تعالى لنبيه صلوات الله عليه
قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فالسنة
عبارة عن الطريقة والملة التي امر الله تعالى رسوله عليه
السلام بالكون عليها وعلى حقيتها فامت الحجج الواضحات
والبراهين القاطعات وذلك معنى قوله تعالى على بصيرة
اي انا على علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان وقوله ومن
اتبعني اي ومن اتبعني ايضا على حجة وبرهان واما قوله
رحمه الله والجماعة فهم الذين اتبعوه على ملته ودانوا بها
ودعوا اتباع الامم اليها حتى صار اجماعهم حجة من حجج
الله تعالى موجبة للعلم قطعا واما قول
فقهاء الملة رحمهم الله نقول في توحيد الله تعالى معتقدين
بتوفيق الله تعالى فانما قالوا بتوفيق الله لان الوصول الى توحيد
الله يكون بتوفيق الله وهدايته وهو مذهب اهل السنة
والجماعة على ما قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا اي الى توفيقنا وهدايتنا وقال تعالى يهدي الله لنوره

بيان اهل السنة والجماعة

قول اصحابنا

من يشاء

واما قولهم معتقدين

فانما قالوا ذلك نفيا للنفاق وتحقيقا للايمان اذ الايمان
هو التصديق والاعتقاد وذلك يكون بالقلب قال الله
تعالى فيمن اقر باللسان دون القلب قالوا آمنا بافواههم ولم
تؤمن قلوبهم

واما قولهم نقول في توحيد

الله تعالى فانما ابتدوا بالتوحيد لانه اول خطاب يجب
على المكلفين واليه دعت الانبياء والرسل عليهم السلام
وبه نزلت الكتب السماوية وبه شهد خلقه اقسام العالم
بالدلائل المنصوبة فيها اما دعوة الرسل عليهم السلام فان
الانبياء والرسل الذين قامت على ايديهم المعجزات الخارجة
عن وسع الخلائق كصيرورة النار بردا وسلاما على ابرهيم
وانقلاب العصا ثعبانا يسعى وتلقف على يدي موسى وتسخير
الريح والجن والشياطين والطيور لسليمان وتسبيح الجبال

والانة لحديد لداود وخروج الناقة من الصخر لصالح
واحياء الموتى لعيسى وانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع
وكلام الشاة المشوية وشهادة الضب والذئب وتسبيح
الحصا في الكف لمحمد صلوات الله عليهم فهؤلاء وغيرهم
من الانبيا كلهم دعوا الى توحيد الله تعالى قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا
انا فاعبدون اخبر الله تعالى انه لم يرسل رسولا من قبل
رسوله محمد صلوات الله عليه الا بتجريد الالوهية
والوحدانية له وقال تعالى ينزل الملائكة بالروح من
امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
قال المفسرون الروح الرسالة والنبوة والكتب المنزلة
سمي هذه الاشيا روحا لانه تحصل بها حيوة الدين وقوله
ان انذروا فيه اضمار اي انذروا وقولوا انه لا اله الا انا
فاتقون وهذا اخبار انه بعث الانبيا والرسل داعين
الى تجريد الالوهية والوحدانية لله تعالى وقال تعالى ولقد

ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
قال ابو منصور الماتريدي رحمه الله فيه اضمار كانه قال
ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقلنا لهم قولوا ان اعبدوا
الله واجتنبوا الطاغوت وعلى ذلك بعث الانبيا والرسل
جميعا الى اقوامهم بالدعاء الى توحيد الله تعالى وجعل
العبادة له وبالنهي عن عبادة غيره وقال تعالى ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قال المفسرون
معناه اي وحدوا الله لان العبادة لا تصح الا بالتوحيد
قال الامام ابو منصور رحمه الله قوله ما لكم من اله غيره
اي ما لكم من اله ثبتت الوهيته وربوبيته بالدليل والحجج
والبراهين غيره ثم قال تعالى فكذبوه فانجيناه والذين
معه يعني نوحا والذين امنوا به واتبعوه ثم اخبر تعالى
ما فعل بالمكذبين فقال واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
وهي حجج الله تعالى على الوحدانية والالوهية وحجج الرسالة
ثم ذكر رسالة هود وصالح ولوط وشعيب وموسى في هذه

السورة ودعوتهم الى التوحيد وذكر هلاك المكذبين
بالتوحيد والرسالة وذكر تعالى في رسالة محمد لدعوة
الناس الى التوحيد فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو
يحيي ويميت قال امام الهدى رحمه الله في هذا النص حجة
قاطعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس
كافة وكذلك المتواتر عنه انه قال بعثت الى الناس كافة
وفي الاية انه لما خاطب الله تعالى رسوله ان يقول اني رسول
الله اليكم جميعا وانه لا سبيل له الى ان يخاطب جميع الناس
بنفسه كان ذلك على ما في وسعه وطاقته وهو ان يبعث
الرسل اليهم فيقول انه رسول الله اليكم فخاطب صلى الله
عليه وسلم من حضر بنفسه ودعاهم الى توحيد الله تعالى
وعبادته وارسل الى من بعد منه الرسل والكتب يدعوهم
الى توحيد الله تعالى وعبادته وترك عبادة غيره فانتشر
ذلك بتبليغ الرسل وبلوغ الكتب وصار صلى الله عليه وسلم

بذلك مبلغا وقد استقبل صلى الله عليه بالدعوة الجبابرة
والفراعنة وقال لعمه ابي طالب قل معي كلمة احاج لك بها
عند الله عز وجل وهي كلمة لا اله الا الله وقال لكفار
قريش اريد منكم كلمة تدين لكم بها العرب وتؤدي اليكم بها
العجم الجزية قالوا ما هي فقال قولوا لا اله الا الله فقال
ابو جهل والفراعنة اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء
عجاب وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا
قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها واما دعوة الكتب
السماوية الى التوحيد فان الله عز وجل ارسل الى خلقه رسلا
وانزل عليهم صحفا وكتبا سماوية كالتورية والانجيل والزبور
وصحف ابرهيم ونحوها وانزل القرآن على محمد صلى الله عليه
وكلها تدعوا الى توحيد رب العالمين وعبادته وقد افتتح
الله عز وجل كتابه الذي اعجز الانس والجن عن الاتيان بمثل
سورة منه بالتوحيد فقال الحمد لله رب العالمين اخبر انه

رَبُّ العَالَمِينَ قَالَ امَامُ الهُدَى ابُو مَنصُورٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَعنَى الرَّبِّ
ثَلٰثَةُ اَوجُهٍ الاِلٰهُ وَالمَالِكُ وَالمُرَبِّي لِكُلِّ شَيءٍ عَلَى مَا يَلِيقُ بِذٰلِكَ
وَالعَالَمُ اِسمٌ لِجَمِيعِ المَكُونَاتِ وَاثبَتَ لِنَفسِهِ الوَحدَانِيَّةَ فِي كَونِهِ
رَبَّ العَالَمِينَ وَيَدخُلُ تَحتَ لَفظِ العَالَمِينَ كُلُّ عَالَمٍ يَتَجَدَّدُ عَلَى حَسَبِ
تَجَدُّدِ الزَّمَانِ فَكَانَ المُرَادُ عَالَمَ كُلِّ زَمَانٍ تَقَدَّمَ وَعَالَمَ كُلِّ
زَمَانٍ تَاَخَّرَ فَلِذٰلِكَ ذَكَرَ العَالَمِينَ مَعَ كَونِ لَفظِ العَالَمِ اِسمًا
لِجَمِيعِ المُحدَثَاتِ وَذَكَرَ فِي ثَانِيَةِ سُورَةٍ مِن كِتَابِهِ المُعجِزِ
فَقَالَ وَاِلٰهُكُم اِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الرَّحمٰنُ الرَّحِيمُ وَهٰذَا
خِطَابٌ لِكَافَّةِ المُكَلَّفِينَ بِالوَحدَانِيَّةِ وَتَجرِيدِ الاُلُوهِيَّةِ
فَفِي قَولِهِ وَاِلٰهُكُم اِلٰهٌ وَاحِدٌ اِثبَاتُ الوَهِيَّةِ اِلٰهٍ وَاحِدٍ وَفِي قَولِهِ
لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ نَفيُ الاُلُوهِيَّةِ عَمَّا سِوَاهُ وَذَكَرَ فِي ثَالِثَةِ سُورَةٍ مِن
كِتَابِهِ تَجرِيدَ الاُلُوهِيَّةِ وَالتَّوحِيدَ لِنَفسِهِ وَاَنَّ كُتُبَهُ السَّمَاوِيَّةَ
مُتَّفِقَةٌ عَلَى ذٰلِكَ فَقَالَ الٓمٓ اللهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ نَزَّلَ
عَلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ اَي نَزَّلَهُ مُوَافِقًا
مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ التَّورَاةِ وَالاِنجِيلِ وَالزَّبُورِ

وَالزَّبُورِ وَالصُّحُفِ وَلَا شَكَّ وَلَا رَيبَ اِنَّ اَوَّلَ مَا يُصَدِّقُ
بَعضُهَا بَعضًا فِي التَّوحِيدِ وَالاَسمَاءِ وَالصِّفَاتِ ثُمَّ فِي الوَعدِ
وَالوَعِيدِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالاَنبَاءِ وَالقَصَصِ ثُمَّ فِي
حَقِيقَةِ الرَّفعِ وَالاِبقَاءِ فِي الشَّرِيعَاتِ عَلَى مَا اَحَاطَ بِهِ عِلمُهُ
تَعَالَى فِي الاَزَلِ وَاقتَضَاهُ حِكمَتُهُ البَالِغَةُ فِي مَصَالِحِ عِبَادِهِ
فَثَبَتَ اتِّفَاقُ جَمِيعِ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ عَلَى كَونِ التَّوحِيدِ اَوَّلَ
فَرضٍ يَلزَمُ العِبَادَ وَقَالَ فِي اِبطَالِ تَسمِيَةِ غَيرِهِ
بِالاُلُوهِيَّةِ اِن هِيَ اِلَّا اَسمَاءٌ سَمَّيتُمُوهَا اَنتُم وَاٰبَاؤُكُم مَا اَنزَلَ اللهُ
بِهَا مِن سُلطَانٍ اَخبَرَ اَنَّهُ مَا اَنزَلَ بِتَسمِيَةِ شَيءٍ سِوَاهُ اِلٰهًا مِمَّا عُبِدَ
مِن دُونِهِ حُجَّةً وَلَا بُرهَانًا وَقَالَ تَعَالَى لِرَسُولِهِ قُل اِنَّمَا اَنَا
مُنذِرٌ وَمَا مِن اِلٰهٍ اِلَّا اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ قَالَ اِمَامُ الهُدَى
اَبُو مَنصُورٍ رَحِمَهُ اللهُ اَمَرَهُ اَن يَقُولَ لَهُم اِنَّمَا اَنَا مُنذِرٌ اُنذِرُكُم
وَاُبَلِّغُ اِلَيكُم اَنَّ كُلَّ مَا عُبِدَ دُونَهُ فَلَيسَ بِاِلٰهٍ اِنَّمَا الاِلٰهُ هُوَ
اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ الَّذِي ظَهَرَ اٰثَارُ قَهرِهِ فِي كُلِّ الخَلَائِقِ وَقَالَ
اللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي اَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ اٰيَاتٌ مُحكَمَاتٌ

هُنَّ اُمُّ الكِتَابِ وَاُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ اَخْبَرَ اَنَّ اٰيَاتَ الكِتَابِ
المُنْزَلِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَانِ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ
اَصْلُ الكِتَابِ يَجِبُ اتِّبَاعُهَا وَدَعْوَةً اِلَيْهَا وَاعْتِقَادًا اِيَّاهَا
وَاُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ وَاَخْبَرَ اَنَّ اتِّبَاعَ ظَاهِرِهَا زَيْغٌ فَقَالَ
تَعَالَى فَاَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ
وَافْتَتَحَ المُحْكَمَاتِ بِفَرْضِيَّةِ التَّوْحِيدِ وَبَيَّنَ زَيْغَ مَنِ اتَّبَعَ
مَا تَشَابَهَ مِنْهُ وَمَدَحَ الرَّاسِخِينَ بِالْاِقْرَارِ بِكَوْنِ الكُلِّ
مِنْ عِنْدِ اللهِ مَعَ تَرْكِ اتِّبَاعِ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى
فِي مَوْضِعٍ اٰخَرَ اَقْسَامَ العَالَمِ بِقَوْلِهِ فَاطِرُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ
ثُمَّ ذَكَرَ خَلْقَ البَشَرِ وَالْاَنْعَامِ ثُمَّ عَقَّبَ ذٰلِكَ بِنَفْيِ المُمَاثَلَةِ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْءٍ مِنَ العَالَمِ بِقَوْلِهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
السَّمِيعُ البَصِيرُ فَنَفَى تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ مُشَابَهَةَ العَالَمِ
فَاَلْزَمَ الكُلَّ تَوْحِيدَ صَانِعِ العَالَمِ وَجَعَلَ سُورَةَ اِخْلَاصِ
التَّوْحِيدِ عِنْدَ اٰخِرِ سُورَةِ القُرْاٰنِ فَقَالَ مُخَاطِبًا لِرَسُولِهِ
وَخَاتَمِ اَنْبِيَائِهِ وَلِكُلِّ عَاقِلٍ مِنْ خَلْقِهِ قُلْ هُوَ اللهُ اَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا اَحَدٌ نَفَى فِي هٰذِهِ السُّورَةِ
المُحْكَمَةِ عَنْ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ جَمِيعَ مَعَانِي خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ
وَاَمَّا بَيَانُ وَجْهِ الشَّهَادَةِ بِاَلْسِنَةِ الدَّلَائِلِ المَنْصُوبَةِ
فِي خَلْقِهِ اَقْسَامِ العَالَمِ بِوُجُوبِ التَّوْحِيدِ فَنَقُولُ
وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ اِنَّ العَالَمَ اِسْمٌ لِجَمِيعِ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى
مِنَ المَوْجُودَاتِ سُمِّيَ عَالَمًا لِكَوْنِهِ عَلَمًا عَلَى ثُبُوتِ صَانِعٍ وَاحِدٍ
قَدِيمٍ حَيٍّ سَمِيعٍ بَصِيرٍ قَادِرٍ عَلِيمٍ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ ثُمَّ اَقْسَامُهُ
عَلَى الْاِجْمَالِ اَعْيَانٌ وَاَعْرَاضٌ ثُمَّ الْاَعْيَانُ قِسْمَانِ مُتَرَكِّبٌ
وَهُوَ الجِسْمُ وَغَيْرُ مُتَرَكِّبٍ وَهُوَ الجَوْهَرُ فَجَمِيعُ اَقْسَامِ العَالَمِ
عَلَى التَّفْصِيلِ ثَلَاثَةٌ جَوَاهِرُ وَاَجْسَامٌ وَاَعْرَاضٌ ثُمَّ الجَوْهَرُ
فِي اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْاَصْلِ يُقَالُ لِفُلَانٍ جَوْهَرٌ شَرِيفٌ
اَيْ اَصْلٌ شَرِيفٌ وَحَدُّهُ عِنْدَ الْاُصُولِيِّينَ مَا يَقُومُ بِذَاتِهِ
قَابِلًا لِحُلُولِ الصِّفَاتِ المُتَضَادَّاتِ كَالسَّوَادِ وَالبَيَاضِ
وَالحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ وَاَمَّا الجِسْمُ فَهُوَ المُتَرَكِّبُ عَنْ جُزْءَيْنِ
فَصَاعِدًا وَعِنْدَ الحُسَّابِ الجِسْمُ مَا لَهُ طُولٌ وَعَرْضٌ وَعُمْقٌ

هو

والمعول عليه الاول واما العرض فهو في اللغة اسم لما
لا دوام له يقال فلان في عارض شغل او مرض وعند
المتكلمين اسم للصفات الثابتة للمحدثات كالالوان
والاكوان والطعوم ونحوها وحده عند بعضهم هو
ما يقوم بالجوهر وقيل هو ما لا يستغني في وجوده عن
محل ثم الاعراض لا شك في ثبوتها عند اكثر العقلاء وهي
الالوان كالسواد والبياض والحمرة ونحوها والاكوان
كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق والطعوم والروائح
والعلوم والقدر والارادات والاعتقادات والشكوك
والرطوبات واليبوسات وغيرها وقد انكرتها ونفتها
طوائف الدهرية والثنوية هؤلاء من لزوم حدوث
العالم ولا مفيض لهم في ذلك فنقول الدليل على ثبوتها انا
نرى جسما اسود ثم رأيناه ابيض وعين ذلك الجسم باقي
فلا يخلو اما ان كان اسود لذاته فلا يتصور ان لا يبقى اسود
وذاته الذي هو علة اتصافه اسود موجود واما ان كان اسود

اسود لمعنى غير الذات فلا يجوز ان يصير ابيض ايضا وذاته
الذي هو علة كونه اسود موجود فقد تحقق انعدام السواد
بعد ما كان موجودا وتحقق وجود البياض وجدوثه
بعد ان لم يكن والذات موجود في الحالين فكان هذا دليلا
على ثبوت الاعراض ووافق الثنوية ابو بكر الاصم في نفي
الاعراض فيقال له اليس ان من آمن كان مطيعا وينال الثواب
ومن كفر كان عاصيا ويستحق العقاب وكذي في كل طاعة
ومعصية افيتعلق كل ذلك بوجود ذاته ام بوجود معنى
وراء ذاته فان قال بذاته بان نهته وطهرته كابرته وان قال
بمعنى وراء ذاته فقد ترك مذهبه وانقاد للحق وكذي
من شتم غيره يسخطه ومدحه يرضيه والرضا والسخط
لا يتعلقان بذات الشاتم والمادح ولا رضاه وسخطه
يرجعان الى ذاته وعرف بهذا ان انكار الاعراض من قبيل جحد
الضروريات وانكار المشاهدات وكذي يقال له ما جحد
المفتري فلا بد من ان يقول تمانون في الزنا مائة ولا بد

مِنْ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الْمِائَةَ أَكْثَرُ مِنَ الثَّمَانِينَ بِعِشْرِينَ وَلَيْسَ الضَّارِبُ
بِمُتَعَدِّدٍ وَلَا الْمَضْرُوبُ وَلَا السَّوْطُ الَّذِي هُوَ آلَةُ الضَّرْبِ
فَلَوْ لَمْ يَكُنِ الضَّرْبُ الَّذِي هُوَ عَرَضٌ وُجُودٌ لَكَانَ لَا شَيْءَ أَكْثَرُ
مِنْ لَا شَيْءٍ بِعِشْرِينَ وَهَذَا مِمَّا لَا يَخْفَى بُطْلَانُهُ عَلَى الْمَجَانِينِ فَضْلًا
عَنِ الْعُقَلَاءِ وَإِذْ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَعْرَاضِ
وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَجْسَامِ فَلَا يُوجَدُ فِي الْعَالَمِ قِسْمٌ إِلَّا وَهُوَ
دَاخِلٌ تَحْتَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْيَانِ سُفْلِيًّا كَانَ
أَوْ عُلْوِيًّا جَمَادًا كَانَ أَوْ نَامِيًّا نَبَاتًا كَانَ أَوْ حَيَوَانًا إِذْ لَا وَاسِطَةَ
بَيْنَ مَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ قَابِلًا لِلْحُلُولِ غَيْرِهِ وَهُوَ الْأَعْيَانُ
مُتَرَكِّبَةً كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مُتَرَكِّبَةٍ وَبَيْنَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَهُوَ
الْأَعْرَاضُ ثُمَّ نَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعْنَى الْقَدِيمِ وَالْمُحْدَثِ.
فَنَقُولُ إِنَّ الْقَدِيمَ مَا لَا أَوَّلَ لِوُجُودِهِ وَالْمُحْدَثُ مَا لِوُجُودِهِ
ابْتِدَاءٌ وَقِيلَ الْمُحْدَثُ مَا تَأَخَّرَ وُجُودُهُ عَنِ الْأَزَلِيِّ وَقِيلَ مَا هُوَ
مَا لِوُجُودِهِ أَوَّلٌ وَهَذِهِ الْعِبَارَاتُ كُلُّهَا تُنْبِئُ عَنْ مَعْنًى وَاحِدٍ
وَقَدْ ثَبَتَ بِالدَّلِيلِ أَنَّ أَجْزَاءَ الْعَالَمِ فِي الْأَصْلِ قِسْمَانِ أَعْرَاضٌ وَأَعْيَانٌ

لَيْسَ وَرَاءَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ شَيْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ فَيَجِبُ أَنْ نَبْحَثَ
عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقِسْمَيْنِ أَقَدِيمٌ هُوَ أَمْ مُحْدَثٌ فَنَدُلُّ
بِالْأَعْرَاضِ فَتَأَمَّلْنَا فِيهَا فَرَأَيْنَاهَا مُحْدَثَةً وَذَلِكَ لِأَنَّا رَأَيْنَا
سَاكِنًا يَتَحَرَّكُ بَعْدَ سُكُونِهِ وَقَدْ أَفْهَمَنَا الدَّلَالَةُ عَلَى كَوْنِ
الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ عَرَضَيْنِ فَكَانَ الْجِسْمُ قَائِمًا حِينَ كَانَ سَاكِنًا
وَقَدْ حَدَثَتْ فِيهِ الْحَرَكَةُ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً حَالَ كَوْنِ
الْجِسْمِ سَاكِنًا فَحَدَثَتِ الْآنَ فَعَلِمْنَا حُدُوثَهَا بِالْحِسِّ وَالْمُشَاهَدَةِ
وَعِلْمُ الْمُشَاهَدَةِ فَوْقَ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالسُّكُونُ كَانَ
مَوْجُودًا وَقَدِ انْعَدَمَ حِينَ حَدَثَتِ الْحَرَكَةُ وَعُلِمَ أَنَّهُ كَانَ
مُحْدَثًا حَيْثُ قَبِلَ الْعَدَمَ لِأَنَّ الْقَدِيمَ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ
وَهَذَا لِأَنَّ الْقَدِيمَ وَاجِبُ الْوُجُودِ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبَ
الْوُجُودِ لَكَانَ جَائِزَ الْوُجُودِ أَوْ مُمْتَنِعَ الْوُجُودِ إِذْ لَا قِسْمَةَ
لَمَا يَخْطُرُ بِالْبَالِ ثُبُوتُهُ وَرَاءَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ وَهِيَ جَائِزُ الْوُجُودِ
وَوَاجِبُ الْوُجُودِ وَمُمْتَنِعُ الْوُجُودِ وَبَطَلَ كَوْنُ الْقَدِيمِ
مُمْتَنِعَ الْوُجُودِ لِأَنَّ وُجُودَهُ قَدْ تَحَقَّقَ وَمُحَالٌ أَنْ يَتَحَقَّقَ

مُمْتَنِعُ الْوُجُودِ لِاسْتِحَالَةِ اجْتِمَاعِ الْوُجُوبِ وَالْامْتِنَاعِ
وَلَا يُقَالُ إِنَّهُ جَائِزُ الْوُجُودِ لِأَنَّ مَا كَانَ جَائِزَ الْوُجُودِ كَانَ
جَائِزَ الْعَدَمِ وَمَا كَانَ جَائِزَ الْوُجُودِ كَانَ لِوُجُودِهِ ابْتِدَاءٌ وَهُوَ
تَخْصِيصُ الْمُخَصِّصِ وَالْقَدِيمُ لَا ابْتِدَاءَ لِوُجُودِهِ فَهُوَ وَاجِبُ
الْوُجُودِ بِذَاتِهِ فَثَبَتَ أَنَّ الْمَوْجُودَ قِسْمَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا
قَدِيمٌ وَمُحْدَثٌ وَلَمَّا قَبِلَ السُّكُونُ الْعَدَمَ دَلَّ أَنَّهُ كَانَ جَائِزَ
الْوُجُودِ لَا وَاجِبَ الْوُجُودِ فَإِذَا عُرِفَ هَذَا عُلِمَ كَوْنُ
السُّكُونِ مُحْدَثًا بِهَذَا الْاسْتِدْلَالِ وَعُلِمَ حُدُوثُ الْحَرَكَةِ
بِالْحِسِّ وَالْمُشَاهَدَةِ وَكَذَا هَذَا فِي جَمِيعِ الْأَعْرَاضِ الْمُتَعَاقِبَةِ
مِنْ نَحْوِ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْاجْتِمَاعِ وَالْافْتِرَاقِ وَغَيْرِهَا
وَإِذْ قَدْ ثَبَتَ حُدُوثُ الْأَعْرَاضِ وَتَقَرَّرَ تَأَمَّلْنَا فِي حَالِ
الْأَعْيَانِ فَوَجَدْنَاهَا غَيْرَ مُتَعَرِّيَةٍ عَنِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي ثَبَتَ
حُدُوثُهَا بِالدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ ثُمَّ تَأَمَّلْنَا فَوَجَدْنَا تَعَرِّيَهَا عَنِ الْأَعْرَاضِ
وَخُلُوَّهَا عَنْهَا مُمْتَنِعًا مُسْتَحِيلًا وَذَلِكَ لِأَنَّا رَأَيْنَا الْاجْتِمَاعَ
وَالْافْتِرَاقَ مَعْنَيَيْنِ وَرَأَيْنَا الْمُفْتَرِقَ وَالْمُجْتَمِعَ وَكَذَا رَأَيْنَا الْحَرَكَةَ وَالسُّكُونَ

وَالسُّكُونَ مَعْنَيَيْنِ وَرَأَيْنَا الْمُتَحَرِّكَ وَالسَّاكِنَ عَلَى مَا بَيَّنَّا فِي ثُبُوتِ
الْأَعْرَاضِ وَحَدِّ الْاجْتِمَاعِ تَمَاسُّ الْجَوْهَرَيْنِ حَتَّى لَا يَكُونَ لِثَالِثٍ
بَيْنَهُمَا مَكَانٌ وَحَدُّ الْافْتِرَاقِ تَبَايُنُ جَوْهَرَيْنِ حَتَّى يَكُونَ
لِثَالِثٍ بَيْنَهُمَا مَكَانٌ ثُمَّ رَأَيْنَا خُلُوَّ الْجَوْهَرِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ
مُحَالًا مُمْتَنِعًا لِأَنَّ الْمُتَمَكِّنَ فِي مَكَانٍ إِمَّا أَنْ يَنْتَقِلَ عَنْهُ فَيَكُونَ
مُتَحَرِّكًا وَإِمَّا أَنْ يَسْتَقِرَّ فِيهِ فَيَكُونَ سَاكِنًا فَثَبَتَ كَوْنُ خُلُوِّ
الْجَوْهَرِ عَنْهُمَا مُمْتَنِعًا مُحَالًا وَإِذَا ثَبَتَ اسْتِحَالَةُ خُلُوِّ الْجَوْهَرِ
عَنِ الْأَعْرَاضِ ثَبَتَ اسْتِحَالَةُ تَقَدُّمِهِمَا عَلَى الْأَعْرَاضِ لِمَا أَنَّ
فِي تَقَدُّمِهِمَا عَلَى الْأَعْرَاضِ خُلُوَّهَا عَنْهُمَا وَقَدْ بَيَّنَّا اسْتِحَالَتَهُ
بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْجَوْهَرَ لَا يَسْبِقُ الْأَعْرَاضَ
وَقَدْ قَدَّمْنَا الدَّلَالَةَ عَلَى كَوْنِ الْأَعْرَاضِ حَادِثَةً ثَبَتَ كَوْنُ
الْجَوَاهِرِ حَادِثَةً لِأَنَّ مَا لَا يَسْبِقُ الْحَادِثَ فَهُوَ حَادِثٌ
لِأَنَّ الْحَادِثَ مَا لِوُجُودِهِ ابْتِدَاءٌ إِذَا كَانَ لِوُجُودِهِ ابْتِدَاءٌ
كَانَ مُحْدَثًا ضَرُورَةً وَهَذَا لِأَنَّ الْعَرَضَ كَانَ مُحْدَثًا لِهَذَا
فَمَا سَاوَاهُ فِي حَدِّ الْحُدُوثِ كَانَ مُسَاوِيًا إِيَّاهُ فِي الْحُدُوثِ

وإذ قد ثبت بما بيّنا من الدلائل القطعية حدوث الأعراض
والجواهر كلها ثبت حدوث الطبايع والهيولى وجميع
ما تسميه الدهرية المعطلة والطبيعيون عناصر
واسطقسات وحدوث الأفلاك بما فيها من البروج
والكواكب والشمس والقمر وحدوث الزمان والخلاء
اذ كله داخل تحت ما اقمنا من الدلالة على حدوثه واذ
قد ثبت بالدليل القاطع ان العالم بجميع اقسامه محدث
وكان قبل الحدوث معدوما جاز الوجود وجاز البقاء
على العدم وما يجوز عليه الحالان لا يختص باحدى الحالتين
الا بمخصص كالجسم لما جاز ان يكون متحركا وان يكون ساكنا
لم يختص باحديهما الا بمعنى اوجب اختصاصه بها وهو
الحركة او السكون فكذى حدوث العالم لا بد من وجود
معنى اوجب تبدله لان العالم قبل الحدوث كان معدوما
وكان جايزا ان يوجد على هيئة غير هذه الهيئة والقدر
اصغر او اكبر وازين من هذا ولما اختص بهذه الهيئة دل اختصاصه

اختصاصه بها على ان مخصصا خصصه بهذه الهيئة
وبهذه الدلالة يستدل على وجود الباني لكل بناء
يشاهد في الدنيا وتقررت هذه الدلالة في العقول
حتى ان من جوز وجود ذلك من غير صانع اطبق العقلاء
على تجهيله والحاقه بالمجانين ولان حدوثه ووجوده
من غير مخصص وموجد محال لانه كان معدوما قبل حدوثه
فمحال ان يتوهم انه وجد وحدث لا بموجد ومحدث
لان العدم نفي حقيقة والحدوث ابتداء وجود فلا
يتحقق من غير مخصص اذ حقيقة العدم الانتفاء والا نعدام
لا الوجود ومحال ايضا ان يتوهم انه احدث نفسه
في حالة العدم لما انه معدوم لما انه معدوم لا حقيقة
له في نفسه والاحداث فعل ووجود الفعل من غير
فاعل باطل وتحقيق هذا وهو ان الادمي مع انه ليس
بعرض بل هو جوهر وليس بجماد بل هو حيوان وليس
بحيوان بل هو ناطق وهذه الحالة هي النهاية في القوة والتدبير

ولهذا يغلب بحيله اللطيفة وتدابيره الصائبة جميع الحيوانات
الارضية فيستسخر الفيلة العظام والاسود الضارية والحيات
الناهشة فيستعملها في حوائجه ويستخرج الحيتان من قعور
الماء ويستنزل الطيور من الهواء ثم هو في كمال عقله وعلمه
بالامور وتمام قوته وبصارته بوجوه الحيل والتدابير
يعجز عن تغيير صفة له ذميمة الى ما يستحليه من الحسن وعن
تغيير قصر قامته الى طولها وسواد بشرته الى نضارتها فلان
لا يتأتى ولا يتصور ايجاد اصل العالم ممن هو معدوم اظهر
للعقول واقهر للحواس فثبت انه كان بصانع حي قديم قدير
قدرته ذاتية ازلية لا يعجزها شيء وتحققه ايضا ان كل
عين من اعيان العالم اجتمعت فيه الطبائع المتضادة متجاورة
التي من شأنها التباين ومن طباعها التنافر ولو تركت لتباينت
وتعطلت للحال فدل وجودها متجاورة متفقة على خلاف
شأنها ان ذلك ليس من ذواتها بل بقادر حيا رجبرها على
مقتضى ارادته النافذة لاظهار كمال قدرته وحكمته هذه كلها

كلها دلائل ثبوت الصانع واذ قد ثبت بما مر من الدلائل ان
العالم لا بد له من صانع لاستحالة وجود المعدوم بلا موجد
ومخصص فبعد ذلك نقول ان العالم شهد بجملته وبكل جزء
من اجزائه بشهادة الخلقة ودلالة الصنعة وهي التغير
والتأليف والتركيب والتسخير على ان الصانع واحد لا شريك
له وذلك لانه لا يجوز ان يكون للعالم صانعان لانه لو كان الصانع
اثنين فاراد ايجاده فلا يخلو اما ان كانا عاجزين او كانا قادرين
او كان احدهما قادرا والآخر عاجزا فان كانا عاجزين سقطا
جميعا لزوال قدرة كل واحد منهما عما هو مقدور في نفسه
لكونه جائز الوجود والعاجز لا يكون الها فبطلت الوهيتهما
وبقي المراد على العدم ولو كان احدهما قادرا على ايجاده ولم
يكن الآخر قادرا بطل الوهية العاجز لكونه مقهورا فتحقق
وجود المصنوع المراد وهو العالم العاجز بايجاد الواحد القادر
ولو كانا قادرين فاما ان يقدرا على طريق التعاون دون
الانفراد فيبطلان جميعا للزوم الحاجة اياهما الى المساعد

وزوال قدرة الايجاد عن كل واحد منهما على الانفراد
بالذات اذ شرط ايجاد المعدوم هي القدرة الذاتية بحقيقته
ان الموصوفين من حكماء العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا ذرة
او شعيرة لم يقدروا لعدم القدرة الذاتية لان قدرتهم
اعيان لذواتهم لانها مستفادة من غيره واما ان يقدر كل
واحد منهما على ايجاد العالم على الانفراد فاراد كل واحد
منهما ايجاده على الاستبداد لامتناع ثبوت الكمال في
الاشتراك والتساعد لان الكمال من شرط الاله فيقع التدافع
والتمانع طلبا لتحقيق الكمال اذ الكمال في التفرد بالصنع
فحينئذ يتعطل وجود المصنوع حتى يظهر الغالب من
المغلوب فلما تحقق وجود العالم المصنوع على الاتقان
والاحكام مؤلفا منظوما مركبا عاجزا مسخرا شهدت
خلقته بثبوت صانع واحد قديم حي سميع بصير قادر
عليم مدبر حكيم وكذى شهدت خلقة كل جزء من
اجزاء العالم وهذه الدلالة تسمى دلالة التمانع اخذها اهل الحق

الحق من كتاب الله تعالى قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وقال تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وذكر تعالى في ابطال
الوهية العدد على ما كانت تعتقد عبدة الاصنام فقال
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله فكان فيه اثبات الالوهية لنفسه تعالى
لنفاذ مشيئته وفيه ابطال الوهية العدد باثبات العجز
لغيره عما اراده هو الله تعالى وقال في موضع آخر قل ارايتم
ما تدعون من دون الله ان اراداني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او اراداني برحمة هل هن ممسكات رحمته وفيه
ابطال ربوبية غيره لعجزه عن كشف ما اثبته هو تعالى
وقال تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على
قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به استدل بانعدام القدرة
لغيره عن الاتيان بهذه الاشياء عند اخذه تعالى اياها على
ثبوت وحدانيته واستحالة الوهية من لا قدرة له وهذه

الدلالة لا تستقيم على أصول المعتزلة فانهم يقولون
ان الله تعالى اراد من الكافر الايمان واراد الكافر
من نفسه الكفر فنفذت ارادة الكافر وتعطلت ارادة
الله تعالى وهذا منهم خلاف ما علم الله تعالى رسوله
لابطال مذاهب الثنوية فانه تعالى اثبت الوهية
نفسه بنفوذ ارادته وابطل الوهية غيره بعدم نفاذ
ارادته ثم من عظيم جرائمهم ووقاحتهم يرومون التخلص
عن هذا الالزام الظاهر بحيل ضعيفة بادية العوار
مكشوفة الشنار ذكرها ائمة اهل السنة وابطلوها
واظهروا عوارها بانها لا تجديهم سوى العجز عن اثبات
الوحدانية لله تعالى بهذه الطرق التي علم الله تعالى امينه
على وحيه لابطال مذاهب الثنوية واطبق على الاحتجاج
بها كافة اهل التوحيد لدحض شبهات الثنوية ۞

واما قولهم لا شريك له فقد

فقد ارادوا بذلك نفي انواع الشرك التي هي كفر وهي
الشرك في الذات ثم الشرك في تسمية الالوهية واستحقاق
العبادة ثم الشرك في الوصف وهذه الانواع منفية عن
الله تعالى وقد قامت الادلة العقلية والسمعية على براءة
الله تعالى منها وتعاليه عنها اما الدلائل البرهانية فما سبق
بيانها من شهادة العالم بجملته وبكل جزء من اجزائه
بلسان التسخير والتأليف والتركيب بان الصانع واحد
لا شريك له اذ لو كان عددا لوقع التمانع طلبا للكمال
اذ هو شرط الكمال الالهية فلم يتحقق وجود المصنوع حتى
يظهر الغالب من المغلوب اذ في القول بالتساعد والاشتراك
سقوطهما للزوم الحاجة والنقص ولما تحقق وجود
العالم محكما متقنا مسخرا مؤلفا مركبا دل ان الصانع واحد
فانتفت الشركة في المصنوع لانتفاء الشريك في الصنع
وهذه الدلالة متحققة في كل جزء من اجزاء العالم على
حدة ثم الشرك في الذات فعل المجوس فانهم اثبتوا للعالم

صابعين اسم احدهما يزدان زعموا انه خالق الخيرات والمسرات
والاجسام الحسنة والآخر اهرمن وهو ابليس عليه
اللعنة ولهم هذيانات كثيرة في مقالتهم زعموا ان يزدان
تفكر في نفسه هل يخرج عليه من يضاده في ملكه
فتولد من تلك الفكرة عفونة في بعضه فتولد من تلك
العفونة اهرمن وقالت فرقة منهم يسمون المسخية
ان يزدان كان نورا محضا ثم تمسخ بعضه فصار ظلمة بنية
فكان اهرمن من تلك الظلمة وقوم منهم يسمون الزروانية
قالوا ان زروان وهو النور القديم عندهم شك في صلوته
فحدث الشيطان وهو اهرمن من تلك الشكة
وما ذكرنا من الدلايل القطعية فهي توجب بطلان ان يكون
مع الله تعالى قديم آخر فيبطل القول بقدم اثنين
ولان قولهم بقدم الشيطان ينادي ببطلانه اذ السفه نهاية
في النقص والقول بقدم من فيه ادنى النقص محال
اذ من شرط القديم الكمال لان ذاتا ما فقط لا يوجب نقصا في

في ذاته ولا في صفته اذ ذاك اقتضا عدمه وذات ما
فقط لا يقتضي عدمه اذ لو اقتضاه لما تصور وجوده واذا
كل نقص تمكن في ذات تا فذاك باثبات غيره ليعرف
بنقصان هذا مثبته قال الشيخ الامام العالم نجم
الملة والدين ايده الله ولا حاجة الى بسط القول في ذكر
مقالة المجوس ههنا وانما ذكرت ها هنا اصل مقالتهم
عقيب ذكر اثبات التوحيد وحدث العالم بانواع الادلة
القاطعة لكي يواظب الموحد على الاذعان بالعجز عن شكر
نعمة التوحيد واما الشرك في تسمية الالوهية واستحقاق
العبادة فهو صنيع مشركي العرب فانهم اشركوا مع الله
تعالى ما عبدوا من الاصنام في استحقاق العبادة في تسمية
الالوهية مع اقرارهم بالتوحيد في الذات والتخليق على
ما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله واما النوع الثالث وهو الاشراك
في الوصف بالصورة والجسم وسائر صفات المحدثين

فهو كقول اليهود في الباري تعالى انه على مثال صورة البشر
وتابعتهم على ذلك المشبهة الجعدية والمجسمة والكرامية
حتى وصفوا بالاعضاء والجوارح واما الدلالة السمعية
على نفي الشريك فكثيرة منها قوله تعالى هو الله الذي
لا اله الا هو الملك القدوس الى قوله الجبار المتكبر
سبحان الله عما يشركون وصف الله تعالى نفسه بتخريد
الالوهية والوحدانية وانه القدوس وهو الطاهر
عن الآفات والعيوب ووصف نفسه بالجبروت
والعظمة والكبرياء والتكبر هو الارتفاع عن معاني
الخلق ثم قال سبحان الله وهي كلمة تنزيه وتنزيه سبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله
فقال براءة الله من كل سوء ثم قال عز وجل عما يشركون
والاشراك ينتظم على الاوجه الثلثة المقدم ذكرها
اذ الاشراك هو التسوية فالتسوية حيث اثبتوا اثنين
كان ذلك تسوية في الذات ومشركوا العرب حيث عبدوا
الاصنام

الاصنام وسموها الهة صاروا مشركين مع اقرارهم بالتوحيد
في الخليق وكان ذلك تسوية منهم بين الله تعالى وبين الاصنام
على ما اخبر تعالى عن اقرارهم بتلك التسوية يوم القيامة عند
تبريهم منها وهو قوله اذ نسويكم برب العالمين وكذلك اشراك
اليهود ومن تابعتهم من المجسمة بوصفهم الباري تعالى بالصورة
والجسم على مثال صورة البشر تسوية منهم بين الله تعالى وبين
البشر وقد نزه الله تعالى نفسه عن كل انواع الشرك بقوله
سبحان الله عما يشركون وبقوله سبحانه وتعالى عما يشركون
وبقوله سبحان الله عما يصفون وقد صرح الله تعالى بنفي مماثلة
الخلق عن نفسه بقوله ليس كمثله شيء وعظم امر الشرك
بحرمان الجنة وهو قوله تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم
الله عليه الجنة فبهذه الادلة جمع فقهاء الملة رحمهم الله في
عقيدتهم بين اثبات الوحدانية وبين نفي الشريك لتحقيق
الايمان في الذات والصفات لانه تعالى واحد بافعاله
احد بذاته ه

وَامَّا قَوْلُهُمْ وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ

فَهُوَ تَحْقِيقٌ لِاِثْبَاتِ كَمَالِ ذَاتِهِ فِي الْاَزَلِ وَالْقِدَمِ بِنَفْيِ النَّظِيرِ
وَالْمُمَاثِلِ وَوَصْفِهِ بِالتَّعَالِي عَنِ الْمُشَابَهَةِ وَالْمُمَاثَلَةِ وَاِنَّمَا قَالُوا
ذٰلِكَ بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا اِبْرٰهِيمُ عَلٰى قَوْمِهِ وَسَمَّاهَا
اللّٰهُ تَعَالٰى حُجَّةً وَبِالنُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ اَمَّا الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ فَهِيَ
مَا ذَكَرَ اَهْلُ الْحَقِّ وَعُلَمَاءُ الْاُصُولِ فَقَالُوا اِنَّ الْقَوْلَ بِالتَّشَابُهِ
بَيْنَ اللّٰهِ تَعَالٰى وَبَيْنَ خَلْقِهِ قَوْلٌ بِنَفْيِ الْاُلُوهِيَّةِ وَاِنْكَارِ الصَّانِعِ
لِاَنَّ التَّمَاثُلَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ يُوجِبُ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَهُمَا
مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَالْمُمَاثَلَةُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهٍ تَقْتَضِي الْمُسَاوَاةَ بَيْنَهُمَا
مِنْ ذٰلِكَ الْوَجْهِ فَالْمُشَابَهَةُ بَيْنَ اللّٰهِ تَعَالٰى وَبَيْنَ الْعَالَمِ اِنْ كَانَتْ
مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَاِنَّهَا تَقْتَضِي الْمُسَاوَاةَ فِي الْحُكْمِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ
وَمَعْلُومٌ قَطْعًا اَنَّ حُكْمَ الْعَالَمِ الْحُدُوثُ وَاَنَّ صِفَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى
الْقِدَمُ فَتُوجِبُ الْمُسَاوَاةَ اَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ قَدِيمًا اَوِ الصَّانِعُ
مُحْدَثًا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَاِنْ كَانَتِ الْمُشَابَهَةُ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ

وَجْهٍ يُوجِبُ اَنْ يَكُونَ الْعَالَمُ قَدِيمًا مِنْ وَجْهٍ مُحْدَثًا مِنْ وَجْهٍ
وَكَذٰلِكَ الصَّانِعُ ثُمَّ الْمُحْدَثُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ اَوْ مِنْ وَجْهٍ لَا يَكُونُ
اِلٰهًا وَاِذَا اَوْجَبَ ذٰلِكَ قِدَمَ الْعَالَمِ انْتَفَى الصَّانِعُ لِاسْتِغْنَاءِ
الْقَدِيمِ عَنْ غَيْرِهِ فَكَانَ الْقَوْلُ بِالتَّشَابُهِ مُوجِبًا لِنَفْيِ الْاُلُوهِيَّةِ
وَقَدْ قَامَتِ الدَّلَائِلُ الْقَطْعِيَّةُ عَلٰى ثُبُوتِ الصَّانِعِ فَمَا يُوجِبُ نَفْيَهُ
كَانَ بَاطِلًا وَلِاَنَّ الْخَلْقَ اَجْسَامٌ وَجَوَاهِرُ وَاَعْرَاضٌ فَلَوْ كَانَ الْبَارِي
تَعَالٰى يُشْبِهُ الْخَلْقَ لَكَانَ مِنْ هٰذِهِ الْاَقْسَامِ فَيَجِبُ اَنْ تَكُونَ لَهُ
خَاصِّيَّةُ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ وَخَاصِّيَّةُ الْاَجْسَامِ التَّرَكُّبُ وَالتَّرَكُّبُ
يَتَحَقَّقُ مِنَ الْاَجْزَاءِ وَالْاَبْعَاضِ فَكَانَ الْجِسْمُ مُتَبَعِّضًا مُتَجَزِّيًا
وَلَا يَجُوزُ اَنْ يَكُونَ الْبَارِي تَعَالٰى كَذٰلِكَ اِذِ التَّرَكُّبُ لَا بُدَّ لَهُ
مِنْ مُرَكِّبٍ فَمَنْ قَالَ اِنَّهُ جِسْمٌ فَقَدْ اَبْطَلَ اُلُوهِيَّتَهُ وَجَعَلَهُ مَصْنُوعًا
وَمَنْ قَالَ اِنَّهُ قَدِيمٌ مَعَ كَوْنِهِ جِسْمًا فَقَدْ اَبْطَلَ حُدُوثَ الْاَجْسَامِ
وَصَارَ قَائِلًا بِقِدَمِهَا وَاَبْطَلَ الدَّلَالَةَ عَلٰى ثُبُوتِ صَانِعِ الْعَالَمِ اِذِ الدَّلَالَةُ
عَلٰى كَوْنِ الْاَجْسَامِ مُحْدَثَةً وَاَنَّ لَهَا صَانِعًا صَنَعَهَا كَوْنُهَا مُتَرَكِّبَةً
وَاَمَّا الْجَوْهَرُ فَعِبَارَةٌ عَنِ الْاَصْلِ الْقَابِلِ لِلتَّرَكُّبِ فَلَوْ كَانَ

الباري تعالى جوهرا لكان محلا قابلا للحوادث وذلك محال
لان قبول الحوادث من امارات الحدث بدليل ان الجوهر
لا ينفك عن الالوان والاكوان اما ان يكون متحركا او ساكنا
فلا ينفك عن التغير والقديم لا يجوز عليه التغير ويقبل
التغير والتركب استدل اهل الحق على كون العالم مصنوعا
وعلى كون نفسه صانعا بقوله في اي صورة ما شاء ركبك
حتى اقسم على كون العالم مصنوعه بقبول التركب وتكرر الاحوال
عليه بقوله فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر
اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق وهو تكرر الاحوال عليهم
حالا بعد حال ثم قال فما لهم لا يؤمنون اي اي شيء يمنعهم
عن الايمان بالصانع الواحد القديم مع معاينتهم دلائل
حدوث العالم بالتغير والتاليف والتركيب والتسخير
وتعاقب الاحوال عليهم فبطل ان يكون صانع العالم جسما
او جوهرا لما فيهما من قبول التركب والتغير بحلول الحوادث
واما العرض فماهيته ان لا يقوم بنفسه ويستحيل بقاؤه

وتعالى صانع العالم ان يكون كذلك اذ هو قائم بذاته وبتكوينه
قامت الجواهر والاجسام حاملة للاعراض واذا بطل
ان يكون الباري عز وجل من جنس العالم بطل القول بالتشابه
بينه وبين العالم فهذه هي البراهين العقلية التي احتج بها
ابرهيم خليل الله صلوات الله عليه على قومه وقد سماها الله
تعالى حجته على ما قال تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا
الى قوله فلما افل قال لا احب الافلين تبرا عليه السلام من
الوهية من يافل وينتقل بالذات من مكان الى مكان وقال
في افول القمر فلما افل قال يا قوم لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين جعل وصف الرب بالانتقال بالذات من
مكان الى مكان ضلالا وقال في افول الشمس فلما افلت
قال يا قوم اني بريء مما تشركون جعل وصف الرب بالانتقال
من مكان الى مكان بالذات شركا ثم قال اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما الايه جعل وصف
الرب باوصاف العالم شركا وضلالا ثم قال تعالى وتلك

حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ۝ واما حجج السمع على نفي
المشابهة والمماثلة عن الله تعالى فمنها قوله تعالى ليس كمثله
شيء قال امام الهدى ابو منصور رحمه الله اي ليس مثله
شيء قال اهل الحق لان الخلق ذووا اعداد واشكال وامثال
من حيث العدد ثم انهم وان كانوا ذوي امثال واشكال فليس
يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه ومن كل الجهات
ولكن انما يشبه بعضهم بعضا بجهة او بوجه بصفة او بنفس
ثم صار بعضهم امثالا لبعض واشباها بتلك الجهة وبذلك
الوجه والله تعالى نفى عن نفسه مماثلة شيء من العالم بهذا
الكلام المحكم الذي لا احتمال فيه فدل ان الله تعالى ليس
بشبيه للخلق ولا له منهم مثال بوجه من الوجوه ولا له
شبيه منهم لا فيما يرجع الى الصفة ولا فيما يرجع الى النفس
وهو تعالى عن جميع معاني الخلق وصفاتهم ثم هذا التحقيق
الذي تناوله هذا النص المحكم كان قاطعا لجميع اوهام
المشابهة والمماثلة بين صانع العالم وبين العالم لو كان مذكورا على

على حدة غير منسق كقوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وكيف وقد قدم تعالى
امام هذا النص المحكم في تلك السورة ذكر الوهيته ووحدانيته
بقوله ذلكم الله ربكم ثم اتبع ذكر الوهيته بنعوت وحدانيته
وكمال قدرته وكون ما سواه تحت قهره وسلطانه
من السموات والارض وهما من اعظم المخلوقات في العالم
المشاهد فدخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات
ما فيها وما فوقها من الخلائق ودخل تحت قهره وسلطانه
بذكر الارض ما فيها وما تحتها فقال فاطر السموات والارض
ثم اتبع ذكرهما بذكر من سخر لهم ما في السموات والارض وهم
البشر فقال وجعل لكم من انفسكم ازواجا وهذا الجنس
هو المصور باحسن الصور المخلوق في احسن تقويم
المشتمل على الازواج والاشكال والاصناف والامثال
ثم اتبع بذكرهم ما جعل لهم من الانعام المشتملة على الاصناف
والازواج فقال وجعل لكم من الانعام ازواجا يذرؤكم فيه

ثم اتبع ذكر اقسام العالم نسقا عليه ذكر تعاليه عن مشابهة
العالم اياه على المبالغة نفيا لاوهام الخلق عن المشاكلة
والمماثلة فقال جل جلاله ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير ثم دل قوله ليس كمثله شيء انه تعالى يطلق عليه اسم
الشيء لانه نفى عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية
لان اسم الشيء ليس ينبئ عن الكيفية والمائية والجنسية
وانما ينبئ عن مطلق الوجود والله تعالى موجود واجب الوجود
لذاته وما سواه جائز الوجود ولا مماثلة بين القديم والمحدث
فينفى عنه ما وراء مطلق الشيئية فيقال انه تعالى شيء لا كالاشياء
كما يقال عالم لا كالعلماء ينفى عنه شبه الاشياء والشيء اثبات
وفي الاثبات توحيد ولو لم يجز اطلاق اسم الشيء عليه
لنفي الشيئية كما نفي المثلية دل انه يسمى شيئا وهو كقوله تعالى
قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اثبت انه شيء لا كالاشياء

واما قولهم ولا شيء يعجزه

قال القاضي

قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله في شرحه لهذه
العقائد هذا القول منهم وصف له تعالى بكمال القدرة
وانما قالوا ذلك بادلة العقول والسمع اما دليل العقل
فلان وجود كل شيء به فمحال ان يعجزه شيء ولان العجز
نقص وهو من امارات الحدث اذ ذات ما لا يقتضي
نقصه لما يفضي ذلك الى العدم والقديم يستحيل عليه العدم
فثبت تنزيهه عن النقائص التي هي من سمات الحدث ولان
العجز ضد القدرة وبالقدرة يتحقق وجود المقدور
وعند العجز يتعذر الوجود ثم الفاعل في الشاهد قاصر
القدرة لان قدرته مستفادة من غيره فيقدر على حسب
ما اقدره غيره ولذلك لا يتعدى فعله عن محل قدرته
لانه قادر بغيره لا بذاته والفاعل في الغائب قادر
بذاته فكان كامل القدرة اذ قدرته ذاتية ازلية
لا نهاية لها وبها اخرج العالم من العدم الى الوجود
من غير اصل ومثال فيقدر على انشاء شيء لا من شيء كالسموات

وَالْأَرْضِيْنَ وَعَلَى انْشَاءِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ كَالْإِنْسَانِ مِنَ النُّطْفَةِ وَفِيْهِ
اِظْهَارُ كَمَالِ الْقُدْرَةِ فَاِنَّ الصَّانِعَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ قَلَبَ
النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَكَوَّنَهَا دَمًا غَلِيْظًا ثُمَّ قَلَبَ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً
فَاَعْدَمَ الْعَلَقَةَ حَتّٰى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ وَالْمُضْغَةُ قِطْعَةُ
لَحْمٍ ثُمَّ قَلَبَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَاَعْدَمَ الْمُضْغَةَ حَتّٰى لَمْ يَبْقَ
مِنْهَا شَيْءٌ ثُمَّ كَسَا الْعِظَامَ لَحْمًا وَنَفَخَ فِيْهِ الرُّوْحَ وَجَعَلَهُ
بَشَرًا سَوِيًّا فِيْ ظُلُمَاتٍ ثَلٰثٍ ظُلْمَةِ الْبَطْنِ وَظُلْمَةِ الرَّحِمِ
وَظُلْمَةِ الْمَشِيْمَةِ فَفِيْهِ اِيْجَادُ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ بِالْاِضَافَةِ اِلَى النُّطْفَةِ
وَفِيْهِ اِيْجَادُ شَيْءٍ لَا مِنْ شَيْءٍ حَيْثُ اَعْدَمَ الْاَصْلَ وَهُوَ النُّطْفَةُ
ثُمَّ اَوْجَدَ الْعَلَقَةَ ثُمَّ اَعْدَمَ الْعَلَقَةَ وَاَوْجَدَ الْمُضْغَةَ ثُمَّ
اَعْدَمَ الْمُضْغَةَ وَاَوْجَدَ الْعِظَامَ ثُمَّ خَلَقَ فِيْهِ الرُّوْحَ
لَا مِنْ شَيْءٍ وَهٰذِهِ الْاَحْوَالُ كُلُّهَا دَلَائِلُ عَلٰى كَمَالِ الْقُدْرَةِ
وَفِيْهَا اِبْطَالُ قَوْلِ الطَّبَائِعِيَّةِ اِذِ الطَّبَائِعُ لَا تَقْتَضِيْ خِلَافَ
طَبَائِعِهَا وَلَا يَتَصَوَّرُ مِنْهَا تَخْصِيْصُ هَيْئَةٍ دُوْنَ هَيْئَةٍ لِاَنَّهَا
مَوَاتٌ لَا تُوْصَفُ بِحَيٰوةٍ وَلَا قُدْرَةٍ وَلَا عِلْمٍ وَفِيْهَا اِبْطَالُ قَوْلِ

قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ بِقِدَمِ الْعَالَمِ لِوُجُوْدِ تَعَاقُبِ الْاَحْوَالِ
الْمُخْتَلِفَةِ وَفِيْهَا اِبْطَالُ قَوْلِ الدَّهْرِيَّةِ حَيْثُ اَنْكَرُوْا اِيْجَادَ الشَّيْءِ
لَا مِنْ شَيْءٍ كَمَا فِي الشَّاهِدِ حَيْثُ يُتَّخَذُ الْبَابُ مِنَ الْخَشَبِ
وَالثَّوْبُ مِنَ الْغَزْلِ قِيْلَ لَهُمْ هٰذَا تَمْوِيْهُكُمْ وَاسْتِدْلَالٌ بَاطِلٌ
لِاَنَّ الْاَصْلَ الَّذِيْ اتُّخِذَ مِنْهُ الْبَابُ وَهُوَ الْخَشَبُ فَاِنَّهُ قَائِمٌ
بِعَيْنِهِ لَمْ يَتَبَدَّلْ ذَاتُهُ وَاِنَّمَا حَدَثَ فِيْهِ تَغْيِيْرُ صِفَةٍ
وَهَيْئَةٍ وَكَذٰلِكَ الْغَزْلُ فِي الثَّوْبِ قَائِمٌ بِعَيْنِهِ وَذٰلِكَ
لِقُصُوْرِ قُدْرَةِ الْفَاعِلِ فِي الشَّاهِدِ حَيْثُ يَفْعَلُ بِقُدْرَةٍ
مُسْتَفَادَةٍ مِنْ غَيْرٍ وَالْفَاعِلُ فِي الْغَائِبِ اَعْدَمَ الْاَصْلَ
وَهِيَ النُّطْفَةُ وَاَوْجَدَ جَوْهَرًا اٰخَرَ وَهُوَ الْمُضْغَةُ ثُمَّ اَعْدَمَ
الْمُضْغَةَ وَاَوْجَدَ الْعِظَامَ ثُمَّ جَعَلَهُ بَشَرًا سَوِيًّا وَلَيْسَ فِيْهِ
شَيْءٌ مِنْ اَجْزَاءِ الْاَصْلِ فَهُوَ اِيْجَادُ شَيْءٍ لَا مِنْ شَيْءٍ اِذْ هُوَ كَامِلُ
الْقُدْرَةِ يَفْعَلُ بِقُدْرَةٍ ذَاتِيَّةٍ اَزَلِيَّةٍ فَبَطَلَ تَمْوِيْهُ الدَّهْرِيَّةِ
وَمِنْ دَلَائِلِ كَمَالِ قُدْرَةِ الْغَائِبِ قِيَامُ السَّمَاءِ فِي الْهَوَاءِ بِلَا عَلَاقَةٍ
مِنْ فَوْقٍ وَلَا عَمَدٍ مِنْ تَحْتٍ فَهٰذِهِ اُعْجُوْبَةٌ عَظِيْمَةٌ لَوْلَا اعْتِيَادُ

البشر بمشاهدتهم اياها الصعقوا من عظيم هولها ثم هذه
الاعجوبة قائمة الى يوم تطوى السماء كطي السجل ونظير
هذه الاعجوبة قيام السحاب المسخر بين السماء والارض
في الهوا بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت والهوا شيء
لطيف ليس بمفترش كثيف حتى لو اجتمع الخلائق على
اقامة خردلة او ريشة في الهوا لما قدروا على ذلك
وقد جعل الله تعالى بقدرته الازلية من الهوا مقرا
للسحاب وهو جسم كثيف غليظ وقد طبق وجه السماء
قايما نارة وسايرا نارة منبسطا في الطول والعرض حاملا
بحور الما لا ينزل منها قليل ولا كثير الا بامر الصانع القديم
ومعلوم قطعا ان الشي الثقيل من طبعه في الهوا الانحدار
والنزول فهذه كلها من ايات كمال قدرة الله تعالى وبهذه
الادلة قال فقها الملة ولا شي يعجزه واما دليل السمع
فنحو قوله تعالى واعلم ان الله على كل شي قدير وقوله
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى

بلى وهو الخلاق العليم

واما قولهم ولا اله غيره

قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله هذا منهم قول
ببطلان كل معبود سوى الله تعالى اذ الاله في لغة
العرب هو المعبود وكانوا يعبدون الاصنام ويسمونها
الهة فقالوا ولا اله غيره ليعلم ان الله تعالى لم ينصب من
خلقه الهة يعبدون من دونه على ما قال تعالى اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون اي لم نجعل ذلك وقال
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا
انا فاعبدون وقال تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيا ومن جهة دليل العقل ان خلقة كل
انسان تشهد بالتاليف والتركيب بوحدانية صانع واحد

فخلقته نشهد انه عبد لمعبود واحد عبودة ايجاد
وتخليق اذ خلقته لم تتحقق الا بصانع واحد اذ في القول
بالعدد بطلان وجوده بدليل التمانع فنشهد وجوده
بايجاد واحد فبطل كل معبود سواه

واما قولهم قديم بلا ابتداء

فهذا منهم تصريح بان الله تعالى قديم ازلي وقولهم بلا
ابتدا تاكيد منهم لقدمه تعالى بالازل حقيقة من غير
تجدد اولية اذ قد يطلق اسم القديم على ما لوجوده
ابتدا كما يقال هذا ابنا قديم وشيخ قديم ونحو قوله
كالعرجون القديم يراد به تقدم وجوده على نظيره
في الحدوث والقديم في اسما الله تعالى معناه انه ازلي
لم يزل واجب الوجود لذاته قديم باسمائه وصفاته
بلا ابتدا على ما مر بيانه في فصل اثبات حدث العالم وقدم
الصانع بالبراهين القطعية ثم الاصل في اسما الله تعالى
التوقيف

التوقيف الشرعي بكتاب ناطق او خبر متواتر ولا يوجد
في الكتاب في اسمائه تعالى لفظة القديم ولا في المتواتر
وانما ورد في بعض الاخبار الاحاد والعقائد انما تبنى
على الدلايل الموجبة للعلم قطعا وقد اطبق العقلاء من
الاولين والاخرين على تسمية صانع العالم قديما وفي
هذا دلالة واضحة على كون العقل حجة من حجج الله تعالى
وقال الله تعالى في اثبات قدرته وسلطانه وكمال صفاته
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل
شيء قدير هو الاول والاخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم قال الامام الهدى ابو منصور
رحمه الله قوله تعالى له ملك السموات والارض وجوه
احدها هو المالك لكل ملك في السموات والارض
كقوله مالك الملك والثاني هو الذي افقر الخلق واحوجهم
اليه والثالث هو القاهر الغالب العالم بالاشيا على
حقيقتها وقوله يحيي ويميت اي يحيي من شا ويميت من شا

وهو على كل شيء قدير من الإحياء والإماتة وغيرهما وقوله هو الأول
والآخر والظاهر والباطن هو حرف التوحيد ومعناه
هو الأول بذاته بلا ابتداء والآخر بذاته بلا انتهاء والظاهر
بذاته والباطن بذاته وهذا قول أهل الحق في معناه ثم
قال أبو منصور رحمه الله وصف تعالى نفسه بهذا ليلا يفهم
من أوليته ما يفهم من أولية غيره ولا يفهم من آخريته
ما يفهم من آخرية غيره وكذلك لا يفهم من ظاهريته ما يفهم
من ظاهرية غيره ولا باطنيته ما يفهم من باطنية غيره
وهذا كما أخبر تعالى بأنه عظيم لطيف وكل حرف منهما
في الشاهد مما يناقض الآخر وينفيه فإن ما عظم في الشاهد
لم يلطف وما لطف منه لم يعظم في الشاهد فذكر هذه
الأسماء لنفسه ليلا يفهم من عظمته ما يفهم من عظمة غيره
وكذلك لا يفهم من سائر صفاته ما يفهم من صفات غيره وبالله التوفيق

وأما قولهم دائم بلا انتهاء

فهذا منهم إقرار بأنه باقي بذاته قديم لم يزل فهو باقي لا يزال
لأن القديم يستحيل عليه التغير والزوال فقالوا بأنه
دائم بلا انتهاء ليعلم أن دوامه تعالى ليس يتعلق بالزمان
كلما مضى زمان يحدث زمان كدوام الآخرة بل هو
الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء

وأما قولهم لا يفنى ولا يبيد

قال القاضي أبو حفص الغزنوي جمعوا بين اللفظين تأكيدا لدوامه
وبقائه فأرادوا بنفي الفناء نفي تلاشي الذات وأرادوا بالثاني
نفي بطلان الحيوة إذ تلاشي الذات وبطلان الحيوة يحال
في صفات الله تعالى لقدمه الثابت بغير علة إذ هو واجب
الوجود لذاته فهو واجب البقاء لذاته

وأما قولهم ولا يكون إلا ما يريد

قال الغزنوي في شرحه والنسفي في أصوله إنما قالوا ذلك

لِاَنَّ كُلَّ مَوجُودٍ سِوَاهُ فَهُوَ بِتَخْلِيقِهِ وَتَكْوِينِهِ وَاِرَادَتِهِ فَلَا يَكُونُ
بِغَيْرِهِ اِيجَادُ شَيْءٍ اِذْ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلَا مُوجِدَ سِوَاهُ لِمَا مَرَّ مِنَ الدَّلَائِلِ
الْقَاطِعَةِ عَلَى كَوْنِ الْعَالَمِ بِجَمِيعِ اَقْسَامِهِ وَاَجْزَائِهِ مَصْنُوعُ وَاحِدٍ
قَدِيمٍ وَقَدْ عَلَّقُوا وُجُودَ الْعَالَمِ بِالتَّكْوِينِ وَالْاِرَادَةِ فَيَقَعُ الْكَلَامُ
هٰهُنَا فِي اِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلّٰهِ تَعَالَى فَنَقُولُ قَالَ اَهْلُ الْحَقِّ اِنَّ
التَّكْوِينَ صِفَةٌ اَزَلِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللّٰهِ تَعَالَى كَصِفَةِ الْعِلْمِ
وَالْقُدْرَةِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ فَكَانَ التَّكْوِينُ اَزَلِيًّا وَالْمُكَوَّنُ
حَادِثًا كَالْقُدْرَةِ كَانَتْ اَزَلِيَّةً وَالْمَقْدُورُ حَادِثًا وَكَذَا الْاِرَادَةُ
صِفَةٌ اَزَلِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللّٰهِ تَعَالَى وَالْمُرَادُ حَادِثٌ
فَيَكُونُ التَّكْوِينُ لِكُلِّ مُكَوَّنٍ تَكْوِينًا لَهُ لِوَقْتِ وُجُودِهِ كَاِرَادَةِ
وُجُودِ كُلِّ مَوْجُودٍ يَكُونُ اِرَادَةً لِوُجُودِهِ لِوَقْتِ وُجُودِهِ
قَالَ سَيْفُ الْحَقِّ اَبُو الْمَعِينِ النَّسَفِيُّ اِعْلَمْ بِاَنَّ التَّكْوِينَ
وَالتَّخْلِيقَ وَالْخَلْقَ وَالْاِيجَادَ وَالْاِحْدَاثَ وَالْاِخْتِرَاعَ اَسْمَاءٌ
مُتَرَادِفَةٌ يُرَادُ بِهَا كُلِّهَا مَعْنًى وَاحِدٌ فَتَخُصُّ اِسْتِعْمَالَ لَفْظَةِ التَّكْوِينِ
اِقْتِفَاءً لِآثَارِ اَسْلَافِنَا رَحِمَهُمُ اللّٰهُ اَمَّا الْاِرَادَةُ فَقَدْ قَالَ اَهْلُ اللُّغَةِ اِنَّ

اِنَّ الْاِرَادَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الرَّوَدِ وَالرَّوَدُ يُذْكَرُ وَيُرَادُ بِهِ الطَّلَبُ
وَلِهٰذَا سَمَّوْا طَالِبَ الْكَلَاءِ رَائِدًا وَمِنْهُ الْمَثَلُ السَّائِرُ الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ
اَهْلَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ جَارِيَةٌ رُوَّدٌ اَيْ لِمَا تَمَايَلَ فِي مَشْيَتِهَا اِلَّا اَنَّهُ
اُسْتُعْمِلَ فِي الطَّلَبِ لِمَا اَنَّ الطَّالِبَ لِلشَّيْءِ يَمِيلُ فِي مَشْيِهِ تَارَةً
اِلَى الْيَمِينِ وَتَارَةً اِلَى الْيَسَارِ لِيَتَبَيَّنَ مَطْلُوبَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَيَجُوزُ
اَنْ يَكُونَ الْاَصْلُ فِيهِ الطَّلَبُ اِلَّا اَنَّهُ اُسْتُعْمِلَ فِي الْمَيَلَانِ
لِمَا الْمَيْلُ فِي الْعَادَاتِ لَنْ يَكُونَ اِلَّا لِطَلَبِ شَيْءٍ يَأْمُلُوهُ فَسُمِّيَ
الْمَيْلُ رَوَدًا لِاَنَّهُ اِسْمُ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ هٰذَا هُوَ مَأْخَذُ
هٰذِهِ اللَّفْظَةِ فِي اللُّغَةِ وَاَمَّا حَدُّهَا فَقَدْ قِيلَ اِنَّهَا مَعْنًى يُنَافِي الْكَرَاهَةَ
وَالْاِضْطِرَارَ وَيُوجَبُ لِمَنْ هِيَ لَهُ الْقَصْدُ وَالْاِخْتِيَارُ فَتَكُونُ
فَائِدَتُهَا عَلَى هٰذَا التَّحْدِيدِ كَوْنَ الْمَوْصُوفِ بِهَا مُخْتَارًا فِيمَا فَعَلَهُ
غَيْرَ مُضْطَرٍّ اِلَيْهِ لِوُجُودِ مَا يُنَافِي الْكَرْهَ وَالْاِضْطِرَارَ وَهُوَ الْاِخْتِيَارُ
وَقِيلَ فِي تَحْدِيدِهَا اِنَّهَا مَعْنًى يُوجِبُ اِخْتِصَاصَ الْمَفْعُولِ
بِوَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ اِذْ لَوْلَا الْاِرَادَةُ لَوَقَعَتِ الْمَفْعُولَاتُ
كُلُّهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَلَى هَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ وَصِفَةٍ وَاحِدَةٍ فَاِذَا

خرجت المفعولات على التراذف والتوالي وعلى النظام
والاتساق وعلى الهيئات المختلفة والصفات المتباينة
على حسب ما تقتضيه الحكمة البالغة كان ذلك دليلا على
اتصاف الفاعل بالارادة اذ لولا الارادة لما كان وقت لوجود
المفعول اولى من وقت ولا هيئة اولى من غيرها ولا صفة
ولا كمية ولا كيفية اولى مما سواها ثم ان هذا المعنى الذي
يحصل به هذه المعاني ارادة لما ان الفاعل اذا فعل شيئا في وقت
على هيئة وصفة فقد طلب هذا الوجه لهذا المفعول دون
ما سواه من الوجوه اذ مال الى تخصيصه بهذا الوجه دون
غيره من الوجوه والمراد بلفظة الارادة عند المتكلمين
هو هذا المعنى الذي بيناه وهو كون الموصوف بها مختارا
في فعله او خروج مفعولاته على وجه دون وجه وهي
بعينها المشية عندهم فالارادة والمشية عند المتكلمين
لفظان ينبئان عن معنى واحد لم يفرق بينهما احد من المتكلمين
الا الكرامية فانهم زعموا ان المشية صفة لله تعالى ازلية والارادة

والارادة غير المشية وهي حادثة عندهم في ذات الله تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا واذ عرفت الارادة بحدها فنقول
قال جمهور الامة ان الله تعالى موصوف بالارادة على الحقيقة
وقال النظام ومعتزلة بغداد كالكعبي واستاذه ابي الحسين
الخياط ومن تابعهم ان الله تعالى لا يوصف بالارادة على
الحقيقة بل يوصف بها بطريق المجاز فقالوا فيما اذا اضيف
الى فعل الله فمعناه انه امر به قالوا لان الارادة هي الشهوة
فلو كان تعالى مريدا لكان مشتهيا وذلك لا يجوز وحجة اهل
الحق على ان الله تعالى مريد وقوع المفعولات المتجانسة
على اوصاف مخصوصة تجوز وقوعها على غيرها وكذي
على هيئات مخصوصة في امكنة مخصوصة وازمنة مخصوصة
فيعلم عند تجانسها ان وقوعها على هذا الاختلاف في هذه
الوجوه لم يكن من اقتضاء ذواتها فعلم ان ذلك لارادة الفاعل
على ذلك لولا هي لما وقعت على تلك الوجوه مع مساواة غيرها
من الوجوه في جواز الوقوع وبها يستدل على كون الفاعل

فعل اراد الله كذا فمعناه انه فعل ولكن ذلك فعل غير الله

في الشاهد مريدا لما فعله كالبناء والكتابة وغيرهما
ولانه لو لم يكن مريدا لكان مضطرا في افعاله والمضطر
عاجز يحل للنفوذ قدرة غيره فيه اذ ما وجد في المضطر
من الفعل محض تخليق غيره ولا اكتساب له فيه ولا قدرة
له عليه ومن هو بهذه الصفة وهو محدث ومن الدليل
على بطلان قول المخالف ان الارادة اذا اضيفت الى فعل
غير الله براد به الامر قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا فيلزمهم احد وجهين اما ان يقولوا انه لم يامرهم
بالايمان نصرة لمذهبهم واصرارا على هواهم فيلزمهم
الاسلاخ لتكذيبهم نصوص الامر بالايمان للكل او يقولوا
امر بالايمان ولم يوجد الايمان منهم جميعا فكان فيه
تناقض وتكذيب واثبات الخلف في خبره وذلك محال
وقولهم ان الارادة شهوة فذلك منهم تلبيس اعتمدوه لنفي
الصفة عن الله تعالى لان الشهوة ارادة مخصوصة وهي
ارادة ما فيه نفع للمريد والله تعالى لا ينتفع بشيء فلا يكون
ارادته

ارادته اشتهاء بل ارادته صفة ربوبية ولا يجب ان يفهم من
ارادة الله تعالى ما يفهم من ارادة خلقه كما لا يفهم من فعله
وعلمه وسائر صفاته ما يفهم من صفات خلقه فان العلم
في الشاهد يكون باعتبار القلب وكذي الفعل في الشاهد
يكون بالعلاج وبالآلة وتعالى الله عز وجل عن معاني خلقه
وقد قامت الدلائل القاطعة من العقليات على ما ذكرنا
ومن السمعيات نحو قوله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
وصف نفسه بالمشية والارادة فيثبتان على الحقيقة
اذ ثبوت الصفة له على المجاز محال لانه نقص ومن شرط
القديم الكمال وقال تعالى انما امرنا لشيء اردناه ان نقول له
كن فيكون

واما قولهم لا تبلغه الاوهام

ولا تدركه الافهام

قال القاضي القضاة ابو حفص العزنوي رحمه الله الوهم هو ما يرجى

كونه والفهم هو ما يحصله العقل ويحيط به والله عز وجل
ليس بذي كيفية فينطبع في الاوهام وليس بذي حد فيبلغ
العقل كنهه بل هو متعالي عن ان يحيط به شيء اذ المحيط
اشرف من المحاط به والقديم يرتفع عن احاطة شيء به
قال الله تعالى ولا يحيطون به علما وقال الله تعالى ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء قال الامام ابو منصور
رحمه الله هذه الاية حجة ورد على المعتزلة في نفيهم
العلم عن الله تعالى وقد وصف نفسه به واخبر
ان له العلم وقوله تعالى الا بما شاء يحتمل الا علم الغيب
فانهم لا يعلمونه كقوله قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله ويحتمل لا يعلمون من علم جميع
الاشياء الا قدر ما يعلمهم الله تعالى ويخلق فيهم من
العلوم الضرورية والاختيارية كقول الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا وقال تعالى لا تدركه الابصار
والادراك في اللغة هو النفوذ والاحاطة باطراف الشيء

الشيء وجوانبه والله تعالى يتعالى عن ذلك لانه خالق الحدود
والنهايات وغلطت المعتزلة حيث حملت نفي الادراك
على نفي الرؤية والله عز وجل تمدح بنفي الادراك وهو
الاحاطة اذ المحاط محصور فتمدح الله تعالى عن ان يحيط
به شيء ويحصره وكم من شيء لا يدرك اذا لم ير فلا تمدح
في مجرد نفي الرؤية اذ لا يدرك غيره اذا لم ير فكان
التمدح في نفي الادراك مع الرؤية ولان الرؤية مشاهدة
الموجود على ما هو به كالعلم فكما يعلم بلا كيفية ولا
مائية فكذلك يرى بلا كيفية ولا مائية ولان الرؤية
اثبات وتحقيق فلا تنافي الكمال بل تلائمه وتحققه
اذ الرؤية من صفات الموجود والله تعالى موجود واجب
الوجود لذاته فكان جائز الرؤية عقلا وقد تأيد
بورود الشرع فوجب الاعتقاد بانه مرئي بلا كيفية
ولا مائية كما عرف بلا كيفية ولا مائية ولا احاطة وانما
تأخرت الرؤية الى الاخرة لاثبات محنة الايمان عن غيب

بالاستدلال بالآيات عن اختيار إذ لا إيمان ينفع عند
العيان لأنه يقع اضطرارا ولذلك لم ينفع إيمان الكفرة
في الآخرة لوقوعه في دار العيان وإنما الكلفة ببذل
المجهود في الوصول إلى معرفة المعبود والإيمان به عن
غيب بالاستدلال بشهادة الآيات عن اختيار
مع مجاهدة نوازع النفس ودفع الشبهات فكانا خيرا
الرؤية إلى الآخرة لإثبات المحنة بالأوامر والنواهي
لعاقبة الجزاء في دار البقاء

وأما قولهم ولا يشبهه الأنام

قال الغزنوي رحمه الله هذا منهم نفي لمشابهة الأنام
إياه تعالى عن صفات المحدث الموسومة بالكيفية
وقد وجب نفي المماثلة والمشابهة بين الله تعالى وبين
العالم من جميع الوجوه بالدلائل القاطعة العقلية والسمعية
على ما سبق بيانها عند شرح قولهم ولا شيء مثله قال الشيخ الإمام

الإمام نجم الدين أيده الله ثم معنى الأنام قيل الأنام كل ذي
روح وقيل هو جميع المخلوقين كذي ذكر في كتاب
التأويلات في قوله تعالى والأرض وضعها للأنام قال
الإمام أبو منصور رحمه الله هو عندنا كان المراد به
البشر حيث أخبر أنه تعالى سخر لهم ما في السموات وما في الأرض
جميعا منه ثم أخبر أنه وضع الأرض للأنام قال
الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين أيده الله فإن كان
فقهاء الملة رحمهم الله أرادوا بالأنام جميع المخلوقين فلا
إشكال أن مشابهة المخلوقين منفية عن الله تعالى بالنص
المحكم المذكور على نسق ذكر أقسام العالم من السماوات
والأرض والبشر والأنعام بقوله تعالى ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وإن كانوا أرادوا بالأنام كل
ذي روح فقد دخل تحت لفظة الأنام الملائكة والبشر
والجن وكل ذي روح سواهم فإذا نفوا عن الله تعالى
مشابهة هؤلاء الموصوفين بالحيوة والقدرة والفعل

الاختياري فقد نفوا مشابهة ما دونهم من سائر المخلوقات
بطريق الاولى وان كانوا ارادوا بالانام البشر فكذلك
اذ المقصود بتخليق العالم هم البشر لقوله تعالى وسخر
لكم ما في السموات وما في الارض جميعا فكان نفي
مشابهتهم عن الله تعالى نفيا لمشابهة من سواهم من الخلائق
من طريق الاولى وحمل تلفظهم بالانام على اراكة البشر
اولى لانهم علموا ان اليهود لعنهم الله مجسمة وقد
تبعتهم من هذه الامة طوائف التجسيم والتشبيه
وصفوا الباري تعالى بانه جسم على صورة البشر وكذلك
النصارى مشبهة حيث وصفوا الباري تعالى بالولد
والصاحبة فارادوا بقولهم ولا يشبهه الانام الرد
عليهم على المبالغة في تنزيه الله عز وجل وتنزهه
عما لا يليق به مع نفيهم مشابهة العالم عن الله
تعالى بقولهم ولا شيء مثله في صدر فصل
التوحيد وبالله التوفيق واما قولهم

واما قولهم حي لا يموت

معناه ان الذي شهد العالم بجملته وبكل جزء من
اجزائه بشهادة الخلقة وكلالة الصنعة بالسنة
التسخير والتاليف والتركيب والتصوير على وحدانيته
والوهيته وقدمه ودوامه هو حي لا يموت وعلى
ذلك خاطب الله تعالى كافة العباد ودلهم على الوحدانية
والالوهية والقدرة والحيوة والعلم والحكمة
والتدبير والسلطان بعجائب مصنوعاته وبدائع مفعولاته
فقال عز وجل الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء
وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات
ذلكم الله ربكم هو الحي لا اله الا هو ففي هذه الاية دلائل
العقول والحكمة وحجج السمع فبدا بذكر الاله الصانع
بقوله ذلكم الله ربكم ثم ذكر الصنع بقوله الذي جعل
ثم ذكر المصنوع بقوله الارض ثم ذكر دلالة المصنوعية

بقوله قرارًا اي جعلها مع سعتها وعظمها على هيئة يقرون
عليها وتفترشونها وتتعيشون فيها وهي موات مسخرة مصنوعة
محدثة ليست بقديمة اذ القديم يرتفع عن التغير
والمهانة ويتعالى عن اوصاف النقص والموانية وهذه
فراش مبسوط يفترشها الخلايق مسخرة مذللة لا تدفع عن
نفسها مع سعتها وعظمها الفا الاقدار عليها وشق الاخاديد
والانهار فيها فثبت كونها مصنوعة محدثة عاجزة مسخرة
ولم تكن محدثة لنفسها لاستحالة الصنع من المعدوم
ولامتناع الايجاد من المحدث مع كونه حيًا فاعلًا مختارًا
فثبت وجودها وحدوثها بصانع قديم حي واحد وهو الله
تعالى اذ لو كان الصانع عددًا لم يتحقق وجودها بدلالة التمانع
ثم قال تعالى والسماء بناء اي سقفًا محفوظًا قائمًا في الهواء
بلا علاقة ولا عمد وهي مع سعتها وعظمها وغلظها وصلا
بتها موات مسخرة لم تكن بنفسها بل بصانع واحد قديم
حي قادر امسكها في الهواء عن السقوط بقدرة ذاتية ازلية وهو

وهو الله تعالى ثم جعل منافعها مع بعد ما بينهما متصلة
ليعلم ان ذلك كله صنع واحد ثم خاطب العقلاء في
تصوير جوهرهم وتركيب ابدانهم لينظروا في ايات
الوهيته ووحدانيته وكمال قدرته وحكمته فقال
عز ذكره وصوركم وهم يعلمون انهم كانوا امواتًا نطفًا سلت
من صلب الذكر وترايب الانثى ثم صارت في قرار مكين
في ظلمات ثلث قد انقطع عنها تدبير الابوين وساير الخلايق
ولو كانت موضوعة على لوح او طبق واجتمع حكماء
العالم على ان يصوروا منها شيئًا لم يقدروا ورجال توهم عمل
الطبايع فيها لانها موات عاجزة لا توصف بحيوة ولن
يتاتى من الموات فعل وتدبير ثم دل الصانع القديم على
معرفة وحدانيته وربوبيته باثار صنعه بالتصوير والتركيب
اذ لا صورة الا بمصور ولا تركيب الا بمركب ودل على معرفة
حكمته وعلمه باثار الاتقان والاحكام بقوله فاحسن
صوركم قال امام الهدى ابو منصور رحمه الله فيه وجهان

فاحسن اي احكم واتقن في الدلالة على معرفة وحدانيته وربوبيته
على ما اظهره في كل شيء من الدلالة على الوحدانية وربوبيته والقدرة
والحكمة والثاني فاحسن صوركم اي حسن تركيبها
منتصبا قامتها غير منكبة كسائر الصور المنكبة على وجهها
ثم ذكرهم تعالى نعمه عليهم فيما تقوم به انفسهم فقال ورزقكم
من الطيبات قال الامام ابو منصور رحمه الله الاوجه
ان يكون معناه اي رزقكم من اطيب ما اخرج من الارض
لانه اخرج منها نباتا مختلفا فجعل اطيبه والينه رزقا
للبشر وسائره رزقا للدواب ثم قال ذلكم الله ربكم
اي ذلكم الذي صنع بكم هذا هو ربكم لا احد سواه فتبارك
الله رب العالمين ثم قال هو الحي لا اله الا هو قال المفسرون
اي هو الحي الذي لا يموت ابدا قال الامام ابو منصور رحمه الله
هذا يعرفه كل احد لكن الاصل في معنى الحي هو النهاية والغاية
في الثنا عليه بالمدح والكمال وفيه ان الفعل المحكم لن يتاتى
الا من حي قادر عليم سميع بصير حكيم يجري العلم بذلك مجرى

مجرى المعارف البديهية الضرورية حتى ان العقلاء باسرهم
ينسبون من يضيف نسج الديباج المنقوشة وتحصيل النضار
الموفقة وبناء القصور العالية واتخاذ السفن الجارية
وتجر الخشب على الاعتدال الى ميت عاجز جاهل اما الى
الحماقة والغباوة والجنون المطبق واما الى العناد والمكابرة
ولا يتخالج بهم في ذلك ريب ولا شك وجامع هذا كله
انا عرفنا صفات الكمال في الشاهد من الحيوة والعلم والقدرة
والسمع والبصر بتعاقب اضدادها التي هي صفات النقص
من الموت والجهل والعجز والصمم والعمى وعرفنا ثبوت
صفات الكمال في القديم لمعرفتنا باستحالة ثبوت النقائص
في حقه وعرفنا ثبوت القدرة والعلم بدلالة المحدثات
عليهما اذ لا فعل يتاتى بدون القدرة ولا احكام يحصل
بدون العلم وعرفنا ثبوت الحيوة بطريقين عند جماعة
من اصحابنا بدلالة المحدثات عليها اذ احكام الفعل
كما لا يتصور الا من قادر عالم كذلك لا يتصور الا من حي

بحقيقته ان الحيوة لذات ما لا يعرف في الشاهد الا بوجود
الافعال الاختيارية وعند وجودها يقع التيقن بثبوت
الحيوة بحيث لا مجال للريب في ذلك وبعد التامل سوفسطائيا
متجاهلا وكما يستدل بالفعل المحكم المتقن على كون الفاعل
قادرا عالما يستدل به على كونه حيا وتمكن في فطر
العقول بطلان وجود ذلك من غير حي على ما قررنا بالدليل
القاطع وعرفنا ثبوت الحياة عند جماعة من اصحابنا بدلالات
العلم والقدرة بواسطة الفعل فان الفعل يدل على علم
الفاعل وقدرته ويستحيل ثبوتهما بدون الحيوة اذ
الحيوة شرط ثبوتهما اذ الموت والجمادية يضادان العلم
والقدرة فان العقول السليمة كما تابى قبول قول من اخبر
عن اجتماع الموت والحيوة والسواد والبياض والحركة
والسكون في ذات واحد في وقت واحد كذلك تابى قبول
قول من يجوز ثبوت العلم والقدرة للميت ولو جاز اجتماع
العلم والقدرة مع الموت لجاز ان يكون كل ديباج نفيس وكل

وكل صورة مونقة وكل نصر عالي في العالم كانت حاصلة
عن فعل الجمادات والموتى ولعل كل تصنيف دقيق في فن
من العلوم كان من عمل الموتى والجمادات وتجويز هذا
كله هذيان وخروج من قضية العقول والتخاف
بالسوفسطائية فثبت بما بينا من الدلايل العقلية والحجج
السمعية ان صانع العالم موجود قائم بذاته حي قديم
باقي قادر عالم سميع بصير متكلم خالق مريد حكيم
واحد ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وليس بشبيه
لشيء من المحدثات اذ قد اقمنا الدلايل القاطعة على كون
العالم بجميع اقسامه كان معدوما وابانت المصنوعية
فيها بادية ظاهرة على ما بينا فيستحيل ويستحيل
وجوده بلا صانع كما بينا استحالة وجود الابنية المحكمة
في الشاهد بلا بان ويستحيل وجوده من غير موجود
اذ لا صنع للمعدوم ويستحيل وجوده من غير قائم بذاته
لما ان القائم بغيره محدث ويستحيل وجوده من غير حي اذ الميت

لا يتأتى منه صنع ويستحيل وجوده من غير قديم باق بذاته
اذ ما سواه محدث يستحيل منه ايجاد المعدوم ويستحيل
وجوده من غير قادر بذاته اذ القادر بغيره لا يقدر على
تبديل صفة ذميمة موجودة فيه فلأن لا يقدر على ايجاد
المعدوم اولى واظهر ويستحيل وجوده من غير عالم اذ
لا يتأتى منه احكام الفعل واتقانه والعالم مفعول محكم
متقن ويستحيل وجوده من غير سميع اذ الاصم ناقص
والناقص لا يكون الها ويستحيل وجوده من غير بصير
لمعنى النقص وكذى يستحيل وجوده من غير متكلم اذ
ضد الكلام نقص ويستحيل وجوده من غير خالق
اذ التخليق اخراج المعدوم من العدم الى الوجود وعدم
ذلك المعنى في الازل نقص والناقص لا يكون الها ويستحيل
وجوده من غير مريد لانعدام المعنى الذي به يكون تخصيص
المفعولات ويستحيل وجوده من غير حكيم لانعدام
الاحكام والاتقان قال سيف الحق ابو المعين وسائر ائمة
الهدى

الهدى هذه المعاني كلها توجب الكمال فكانت من شرط
القديم واضدادها نقص والناقص لا يكون الها ويستحيل
وجوده من غير واحد لما في العدد من التدافع والتمانع
الموجب لتعطل المصنوع حتى يتحقق الغالب الواحد
وقد تحقق وجود المصنوع فيتحقق وحدانية الصانع
ويستحيل وجوده من جسم لما دل الجسم على كونه مصنوعا
والمصنوع لا يكون الها وكذى العرض والجوهر للزوم
الحدثية والمصنوعية اياهما وكذى يستحيل وجود العالم
من شبيه للعالم لما في ذلك من لزوم دلالة الحدث وتعطل
القدم قال الله تعالى في اثبات الالوهية والوحدانية
لنفسه مخاطبا لكافة العقلاء من خلقه والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقال في اثبات ملكية
العالم لنفسه ونفي المشابهة فقال فاطر السموات والارض
ثم اتبعه بذكر خلق البشر والانعام ثم اتبعه بذكر نفي المماثلة
على المبالغة فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

وقال في اثبات الازلية والبقا هو الاول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم وقال في نفي الشريك والعدد
وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا وقال وما كان معه من اله اذا لذهب
كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض وقال في اثبات خالقية
كل الاشياء لنفسه واستحقاق العبادة والالوهية على
الانفراد فقال ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
فاعبدوه وذكر في اثبات الالوهية وكمال القدرة ونفاذ
الارادة والبقا والعظمة والحيوة الازلية الباقية لنفسه
فقال الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسما بنا وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم
وقال هو الحي لا اله الا هو وقال ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال انما
امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون

واما قولهم قيوم لا ينام

اقتروا

اقتروا واثبتوا قبل هذا بان صانع العالم حي لما قامت الدلايل
القاطعة ان اثبات الحيوة اصل في اثبات صفات الكمال
لما في نفي الحيوة نفي السمع والبصر والعلم والقدرة والارادة
وفي القول بتعري ذات الباري تعالى عن شيء من صفات الكمال
اثبات ضده وهو محال على القديم وقد اثبتوا ههنا بانه
تعالى قيوم لا ينام وفي معنى القيوم وجهان قال قايلون
القيوم هو القايم على كل نفس بما كسبت وقال آخرون
القيوم هو الحافظ قال الامام ابو منصور رحمه الله القيوم
والقايم والقيام يرجع الى معنى واحد وقولهم لا ينام نفي
للنوم والسنة والسهو والغفلة وفي القيوم وصف
اياه تعالى بالقيام بمصالح الخلق وارزاقهم وانه قايم على
كل شيء يحفظه ويتعاهده وينصر نفسه فيما شا وفيه نفي
السهو والغفلة عنه قال الله تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
وقد سمى الله تعالى نفسه حيا قيوما مع تجريد الالوهية

والوحدانية في غير موضع من كتابه فقال الله تعالى لا اله الا هو
الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم وقال وعنت الوجوه للحي
القيوم قالوا ومعنى الحي هو الحي بذاته لا بحيوة هي غيره كالخلق
فانهم احياء بحيوة هي غيرهم لذلك حل فيهم الموت فاما الله
تعالى فهو حي بذاته اي ان الحيوة صفة ذاتية ازلية له لا هو
ولا غيره فيستحيل ان يحله الموت اذ الازلي يستحيل عليه العدم

واما قولهم خالق بلا حاجة

منعوا عنه الحاجة اذ الحاجة نقص يفتقر المحتاج الى دفعه
والقديم يستحيل في حقه طريان ما يفتقر الى رفعه ودفعه
فيتعالى عن مساس الحاجة قال الله تعالى يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله والله هو الغني وقال ان الله لغني عن العالمين
بل اوجد العالم لحاجات الممتحنين من جلب المنافع بالطاعة
ودفع المضار باجتناب المعصية قال الله تعالى وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين اخبر تعالى انه لم يخلق السموات والارض

والارض وما بينهما لعبا باطلا على ما اعتقدوا ولذلك الكفرة
بان تكون السماء سماء والارض ارضا لا لتكونا وما بينهما دليلا
على صانع حكيم مستحق للشكر فيفعلوا ما شاؤا وينتفعوا
بمنافع السماء والارض ثم يموتوا ويتلاشوا بلا عاقبة بعث
ولا جزاء ولا حساب على ما شكروا او كفروا فيكون على زعمهم
انشاء السموات والارض وانشاء ما بينهما لعبا باطلا فرد الله
تعالى عليهم ظنهم وزعمهم واخبر انه خلقهما وما فيهما لعاقبة
ارادها وهو ان يمتحن اهلهما بالاوامر والنواهي اذ في الشاهد
من عمل عملا لا يقصد به عاقبة فهو عابث ويتعالى من دلت
المصنوعات على قدمه ووحدانيته وحكمته ان يكون فعله
عبثا ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون اخبر انه لو لم يكن رجوعهم اليه بعد موتهم
وفنائهم لكان خلقه اياهم عبثا ثم نزه تعالى نفسه عن
ان يكون فعله عبثا بقوله فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو
رب العرش الكريم وقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما

باطلاً ثم بين أن ذلك ظن من قال ذلك ظن الذين كفروا ثم بين
جزاء ظنهم وكفرهم بالصانع وانكارهم البعث بقوله فويل للذين
كفروا من النار وقال الم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق
وقوله الم تر حرف تنبيه عن المجوبة قال أبو منصور رحمه الله
فان كان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصيرا كأنه
قال قد رأيت وعلمت أن الله تعالى خلق السموات والارض
بالحق وان كان الخطاب لاولئك يقول اعلموا أن الله خلق
السموات والارض بالحق لم يخلقهما عبثا باطلا ثم قوله بالحق
قال عامة المفسرين بالحق أي للحق قال أبو منصور رحمه
الله معنى قولهم للحق أي للامر الكائن لا محالة وهي الآخرة
لانه خلق العالم الاول للعالم الثاني فان المطلوب من خلق
هذا العالم هو العالم الثاني فكان خلق السموات والارض
في الحاصل الثاني لا للاول لانه لو كان للاول دون الثاني لحصل
خلقهما للفناء فان فناء هذا العالم متحقق وهم البشر الذين
سخر لهم ما في السموات وما في الارض جميعا يموتون ويفنون حصه

حقيقة ومعلوم ان الخالق للفناء خاصة بلا عاقبة خارج عن
الحكمة وهو ما قال أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون وقال آخرون قوله بالحق أي بالحكمة
والحكمة ما نصب فيهما من آيات الوحدانية والالوهية
وكمال القدرة والعلم والحكمة والاستغناء عن كل شيء وقال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وناوئله عند
اهل الحق أي لآمرهم بعبادتي وانهاهم عن معصيتي فكان
خلق الخلق لحاجتهم لا لحاجته اذ هو غني بنفسه عن العالمين

وأما قولهم رازق بلا مؤونة

فانما قالوا ذلك لانه تعالى يرزق خلقه بلا كسب ولا علاج
ولا استعانة بسبب لان جميع ما يريد يكون بالتكوين
على ما قال تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون
فلا تلحقه المؤونة لانه كامل القدرة كامل الغنى اذ قدرته
بذاته لا بقدرة مستفادة وغناه بنفسه لا بغيره فتعالى

عن لحوق المؤونة والكلفة لكنه تعالى خلق العالم الاول
وهي الدنيا للاستعباد والمحنة بالاوامر والنواهي وخلق
العالم الثاني وهي الاخرة للجزاء الوفاق خالدين فجعل
امور الدنيا معلقة بالاسباب امتحانا وابتلاء على ما قال
تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليينا ترجعون وجعل
اهلها بعضهم لبعض تسخيرا على ما قال تعالى وجعلنا بعضهم
لبعض تسخيرا وجعل منافع السماء وهي الكواكب والشمس
والقمر والامطار متصلة بمنافع الارض وهي اخراج
النبات والزروع والاشجار لاظهار دلائل الوحدانية
والالوهية ولاظهار اثار الحكمة البالغة والمشية النافذة
وخلق اصل البشر وهو ادم صلوات الله عليه من صلصال
كالفخار وخلق نسله من ماء مذر لاظهار الايات والعبر
وخلق الملائكة من نور ومما شاء على ما ورد في الخبر
وخلق الجان من مارج من نار وخلق للعاقبة الباقية
دار الجنة والنار وقدر الخير والشر وضرب الاجال والمقادير

والمقادير وكل شيء عنده بمقدار وامتحن الملائكة
بمحن متنوعة بعضهم بالكون مع السحاب والامطار
وبعضهم بكتبة اعمال البشر وكل شيء قبل الخلق عنده مسطر
وجعل السماء مع سعتها وعظمها قائمة في الهواء بلا علاقة
ولا عمد بالقدرة القاهرة وكذي جعل السحب الثقال
المماطرة وعليها بحور الماء فائرة على متن الهواء بلا علاقة من
فوق ولا عمد من تحت وهي اعجوبة مشاهدة نصبها الله تعالى
اظهارا لاثار القدرة والحكمة وليعلموا انه يرزق خلقه
بلا مؤونة وانه امتحن البشر بالشكر والصبر بالاسباب
المذكورة وكل ذلك للمحنة لا للاستعانة وكفى ذلك دليلا
على تحقيق ذلك قيام السماء مع عظمها وسعتها في الهواء
وقيام السحاب الثقال مسخرا بين السماء والارض والله الموفق

واما قولهم ممنت بلا مخافة

فانما قالوا ذلك لاستحالة ورود الضرر عليه منهم حيث

أخرجهم الى الوجود من العدم ثم حولهم وقوتهم به لا
بانفسهم فلم تكن اماتته اياهم لمخافة منهم اذ هو العزيز
القهار المتفرد بالدوام والبقاء القاهر لعباده بالموت
والفناء انشاهم ليكون انشاؤه دليلا لهم على ان لهم موجدا
قديما اوجدهم بقدرته لا لحاجته بل لظهور عظمته
وتعاليه وكذلك جعل مماتهم دليلا على تفرده بالعز والبقاء
فكان من كمال قدرته ان اوجدهم من العدم ومن كمال
حكمته ان اماتهم ليعيدهم بعد التلاشي والعدم ليجازيهم
في دار البقاء والدوام اعلاما لهم انه ما بناهم ليهدمهم بلا
عاقبة البعث والاعادة فيكون سفها وعبثا تعالى عن ذلك
اذ هو القديم الحكيم ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان الخلق لا لعاقبة البعث
والرجوع اليه يكون عبثا ثم نزه ذاته القديم عن ان هو
يكون فعله عبثا بقوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا
رب العرش الكريم ۞ واما قولهم

واما قولهم باعث بلا مشقة

فانما قالوا ذلك لان الله خلق العالم بلا مشقة بالتكوين
القائم بذاته على ما قال تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون فتعالى في بعثهم واعادتهم بعد موتهم
وتلاشيهم عن لحوق المشقة بل الاعادة في عقول الخلق
اهون من الانشاء والابتداء قال الله تعالى افعيينا بالخلق الاول
اي ما عيينا بالخلق الاول فكيف نعيي بالخلق الثاني وقال
تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى وقال منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وقال جوابا للذي
انكر البعث وضرب مثلا وقال من يحيي العظام وهي
رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو الى قوله اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم وذكر تعالى في الكشف عن احوال
النشأة الاولى لا لزوم الحجة على منكري النشأة الثانية

وهي البعث بعد الموت فقال يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم قوله فانا خلقناكم
قالوا معناه اي خلقنا اصلكم وهو ادم من تراب وخلقنا
اولاده من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اي كيف
تشكون في البعث وتنكرونه وليس سبب انكاركم البعث
الا ان تصيروا ترابا وما في اخر امركم وقد كنتم في مبادي
احوالكم ترابا وما فكيف انكرتم بعثكم اذا صرتم ماء وترابا
قال امام الهدى رحمه الله وفيه تاويل اخر فانا خلقناكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فلو اجتمع
حكماء البشر ليعرفوا المعنى الذي خلق البشر من ذلك التراب
او من النطفة ما قدروا عليه اذ ما وجدوا في التراب والماء
اثر البشر ولا وجدوا فيه معنى البشرية فمن قدر على انشاء
انشاء هذا العالم من التراب او من النطفة من غير ان يكون
في الاصل اثر ما خلق منه ولا معناه فهو قادر على اعادتهم اعاده

الخلق
واعادة الشيء في عقول الهوس من الابتدا فمن قدر على
الابتدا فهو على الاعادة اقدر وقوله تعالى من مضغة
مخلقة وغير مخلقة قال فابلون مخلقة اي مخلوقة خلقا
وغير مخلقة اي متروكة نطفة على حالها غير مخلوقة خلقا
وقال اخرون قوله مخلقة اي تامة وغير مخلقة اي غير
تامة خلقا على ما يشاء قال ابو منصور رحمه الله وهذا
اشبه لان التشديد انما يذكر لتكثير الفعل كانه قال
مخلقة اي قد اتم خلقها من الجوارح والاعضا وغير مخلقة
اي غير تامة خلقها ناقصة وقوله لنبين لكم فيه وجوه احدها
نبين قدرته وسلطانه اي من قدر على تحويلهم وتقليبهم
من حال التراب الى حال الانسانية والبشرية بعد اعدام
الترابية بحيث لم يبق من اجزا التراب شيء ومن حال النطفة
الى حال العلقة ثم الى حال المضغة بعد اعدام الاولى
فهو قادر على البعث والاحياء بعد ما صاروا ترابا وتلاشت
اجزاوهم فلبين في موتهم وفنائهم الا هذا وعلى هذا اتاهم

ابتدا فكذلك ينشئهم اعادة والوجه الثاني اي يبين علمه
في الظلمات الثلث التي كان هو فيها ان كيف قلبه من حال
الى حال في تلك الظلمات وركب فيه عينين يبصر بهما
بفتحة واحدة الى السما مسافة خمس مائة عام لينظر اليها
فيتاملها قائمة في الهوا مسخرة مبنية منضدة مزينة محفوظة
بلا علاقة ولا عمد ثم الى نفسه اي يتامل في نفسه ثم ينظر
الى الارض والى ما فيها ليستدل بالصنعة على الصانع وركب
فيه سمعين لاستماع ما يومر وينهى ويدين للاخذ والاعطاء
ورجلين للسعي والطلب ولسانا لينطق بالحق وشفتين
للفتح والطبق وقلبا وعقلا ليستدل بما حضر على ما غاب
ليعلم ان من دبر هذا التدبير في تلك الظلمات قادر قديم
عالم حكيم لا يخفى عليه شي والثالث يبين حكمته وتدبيره
في خلق الانسان من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع حكماء
العالم ليعرفوا المعنى الذي خلق الانسان منه وصار بشرا
ما قدروا عليه ليعلموا انه حكيم بذاته عليم بذاته لا بتعليم غيره

غير ومن كان هذا سبيله لا يعجزه شي وانه ينشي الاشيا من
الاشيا وينشي لا من الاشيا على ما شا وكيف شا وبالله الحول
والقوة ومنه التوفيق والعصمة قال ايمة التحقيق رحمهم الله
ففي هذا الفصل حجة كافية لعقلا العالم على اثبات البعث
وتحقيقه وفي كون السما قائمة في الهوا فوق رووسهم بلا علاقة
من فوق ولا عمد من تحت وهي موات عاجزة مسخرة مع سعتها
وغلظها اعجوبة ظاهرة واية قاهرة للعقول والحواس
ولولا اعتياد الناظرين منذ نشوهم اليها ومشاهدتهم اياها
كذلك لصعقوا لعظيم هول القدرة القاهرة ثم جعل الله
تعالى السحاب الثقال حاملا لبحور الما مسخرا بين الارض
والسما بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت قايما تارة وسايرا
تارة فدطبق وجه السماء في الطول والعرض اعجوبة ظاهرة
وعلم ظاهر لولا امساكه بالقدرة الازلية لاهلكت
بوقوعها الخلايق اجمع فمن قدر على ذلك فهو قادر على كل
شي من الانشا والاعادة بعد التلاشي والفنا فيبطل قول

الدهرية بقدم العالم بشهادات الخلقة ودلائل الحدث المصنوعية
بالتغير المعاين والحدوث المشاهد وتلاشيهم جيلاً بعد جيل
ومن شرط القديم ان لا يتغير وباطل قول الثنوية بادلة الذرائع
والتمانع ما مر بيانها وباطل قول اهل الطبع بادلة العقول
وشهادات المعارف على ما سبق بيانها اذ الطبائع موات عاجزة
جاهلة لا توصف بحيوة ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ولا علم
ولا بتأتي الفعل من الموات ولا الاحكام من الجاهل ولا تخصيص
المفعول بحالة وهيئة من غير حي مريد ولكن الدهرية
والثنوية والطبايعية كابروا ادلة العقول ومعجزات
الانبياء والرسل وشهادات الحواس التي هي طرق العلوم
والحقائق وموهوا بخيالات فاسدة وظنون كاذبة
خلعاً لربقة العبودية التي شهدت بها خلقتهم ودلت عليها
جبلتهم ورضوا برتبة البهائم المهملة عن الاوامر والنواهي
التي هي شرف العقلاء وحلية الحكماء ثم هو مع ذلك يدعون
الفلسفة والحكمة ويموهون على الضعفة المتكسبين على تحصيل الحطام

الحطام باضافة الصنع الى العناصر الاربعة وهي التراب والماء
والنار والهواء والى الطبائع البسيطة وهي الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة ولبسوا على اهل الجهل والغباوة اذا الزموا
بشيء من دلائل حدث العالم من التغير والوجود والانعدام
فقالوا ذلك ظهور وكمون فوقعوا عند ذلك في تيار الحيرة
والضلالة تضرب بهم امواج السفسطة والجهالة حتى يضحك
منهم اهل الجهل والغباوة فضلاً عن اهل المعرفة والحكمة
وبيان الظهور والكمون الذي تشبثوا بهما على زعمهم ان تكون
النخلة العظيمة الطويلة بسعفها المنتشرة واغذاقها المتدلاة
كامنة في النواة والطير العظيم الجثة بجناحيه ومخاليبه
ومنقاره وريشه كامناً في البيضة بجميع اوصافه المذكورة
والرجل العظيم الجثة الذي انتهى في استجماع الاعضاء والجوارح
والحواس السليمة والعقل والقلب وهو بضعة لحم يحل
للتأمل والتفكر مع لحية طويلة وعريضة وشيبة
بيضاء مع سائر اوصافه المذكورة على هيئة المذكورة كامن

في تلك النطفة المذرة التي هي قطرة ما لم يرد عليها تدبير
صانع حكيم قلبها من حال الى حال ومعلوم كون تلك النطفة
في صلب الذكر فزعمت الدهرية هذا الهذيان الخارج عن
قضية العقول وشهادات المعارف نعوذ بالله من الخذلان
وحرمان العرفان ولذلك عذب المكذبون لآيات الرسالة
المعاندون لحجج الوحدانية بانواع الاستيصال كقوم نوح
بالطوفان حتى لم يترك على الارض من الكافرين ديارا وكذلك
فعل بعاد قوم هود وبثمود قوم صالح واهل مدين قوم
شعيب وقلب قريات لوط وخسف بقارون مع داره
وطم باليم فرعون مع جنوده وكلهم كذبوا الرسل وانكروا
البعث بعد الموت وقد تواترت بذلك الاخبار والاخبار
المتواترة توجب العلم بالمخبر قطعا كمشاهدة العيان
عند كل من لا يكابر العيان فان العلم بالملوك المتقدمين
كذي القرنين وسليمان والفياصرة والاكاسرة ثبت العلم
بهم قطعا بالخبر المتواتر كما ثبت العلم بهم لمن رآهم عيانا ولا لل

وكذلك ثبت العلم بالبلدان النائية كمكة والمدينة ومصر
عن الخبر المتواتر يقينا كما ثبت العلم بها لمن رآها عيانا وكذلك
تواتر الخبر باحياء الموتى معجزة لبعض الرسل وهو عيسى
صلوات الله عليه وذلك من آيات البعث بعد الموت وكذلك
ابرهيم صلوات الله عليه طلب من ربه عز وجل كيف تحيي
الموتى ليكون له آية حسية حجة على منكري البعث فقال له
خذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله على كل شيء
قدير قوله فصرهن قيل اي قطعهن ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا قالوا ففعل ابرهيم ذلك ثم اخذ رؤوس الطيور
الاربعة فدعاهن فاتينه سعيا احياء وتواتر الخبر بذلك
وجاء به الكتاب المعجز وكذلك تواتر الخبر ان رجلا مات
واحياه الله تعالى بعد مائة سنة وقد ورد به الكتاب
العزيز وهو قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية
على عروشها قال اكثر المفسرين هو عزير عليه السلام مر على قرية

وهي خاوية على عروشها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها
فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما
او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام قال الامام ابو منصور رحمه الله
اراد والله اعلم ان يريه الاية في نفسه على البعث والاحياء
بعد الاماتة وان يكون اية للمتاخرين على انكار البعث
والاحياء بعد الموت وذلك قوله تعالى ولنجعلك اية للناس
وفي كيفية ارائه الاحياء وجوه قيل انه احيا عينيه وقلبه
فادرك بهما كيفية الاحياء في بقية نفسه فيصير
احيا الميت معاينا له فيكون قوله وانظر الى العظام كيف
ننشرها اي انظر الى عظامك وقيل احيا نفسه واراه كيفية
احيا الميت في حماره بقوله وانظر الى حمارك فيكون قوله
وانظر الى حمارك يعني الى احيا حمارك وقوله وانظر
الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما روي عن السدي
انه قال ان الله تعالى احيا عزيرا ثم قال له انظر الى حمارك
وقد هلك وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار

من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت
فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس
فيها لحم ودم ثم كسا العظام لحما ودما ليس فيه روح
ثم اقبل ملك حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار
ونهق باذن الله تعالى قال الامام ابو منصور رحمه الله وكان
في قصته ايات عجيبة منها ما قيل انه ابن اولاده وهم
شيوخ وهو شاب بعد ما لبث مائة عام ومنها ابقاء طعامه
وشرابه مائة عام على ما عليه من غير تغيير ومن طبعه
الفساد والتغير عند مضي ايام فكيف عند مضي الزمان الطويل
ومنها موت حماره ولبس من طبع الحمار الهلاك والفساد
عن سريع فهذه ايات عجيبة على اظهار قدرة الله تعالى
يبقي طبعه الفساد من غير تغير ويغير ويهلك ما طبعه
البقا من حيث الظاهر فتكون كل واحدة منها دلالة على
قدرة الاحياء بعد الموت وذلك قوله تعالى واعلم ان الله
على كل شيء قدير وكذلك تواتر الخبر ان قوما خرجوا

فرارًا من الموت فاماتهم الله مائة تعالى ومكثوا زمانًا ثم
احياهم وقد ورد الكتاب العزيز وهو قوله تعالى
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس
قال الشيخ ابو منصور رحمه الله الم تر حرف تنبيه
عن اعجوبة كانت ولذلك يكون تاويل هذه الكلمة
تارة عبارة عن الخبر وتارة عن العلم وتارة عن
النظر فقيل الم تر بمعنى الم تخبر وتارة بمعنى الم تنظر
وتارة بمعنى الم تعلم ومثل هذا انما يقال عن اعجوبة في
القصة ثم تكلم اهل التاويل في قصة اولئك قال
قايلون كانوا خرجوا فرارًا من الجهاد في سبيل الله
فاماتهم الله عز وجل ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا
الى الجهاد في سبيل الله تعالى وقال آخرون انه وقع
الطاعون في قومهم فخرج اناس وبقي اناس فنجا الخارجون
وهلك الباقون فلما كانت السنة الثانية خرجوا باجمعهم الا

الا قليلًا فاماتهم الله تعالى ثم احياهم كذي روي عن
الحسن وكذي روي عن ابن عباس قالوا كانوا اربعة
الاف خرجوا فرارًا من الطاعون فامتنوا فمر عليهم نبي
من الانبيا فدعا ربه ان يحييهم فاحياهم الله تعالى وقيل
كانوا ثمانين الفًا وممن امتنوا ثم احياهم الله تعالى
ما قص الله تعالى في كتابه بقوله واذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم
تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم الاية قال قايلون هم
الذين اختارهم موسى سبعين رجلًا ليحملهم الى طور سيناء
لميقاتهم بالتوراة فقالوا لن نصدقك بالرسالة والتورية
حتى نرى الله جهرة فيخبرنا انه انزلها عليك وممن بعث
بعد الموت ما ذكر الله تعالى في كتابه فقال واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الى قوله واذ
قتلتم نفسًا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون
فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته

لعلكم تعقلون وذلك انه قتل في بني اسرائيل قتيل فاختلفوا
في قاتله وتدافعوا فرفعوا الامر الى موسى عليه السلام
فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة واخبرانهم ان فعلوا هم
ذلك وضربوا المقتول ببعضها فان القتيل يعيش ويخبرهم
بمن قتله ففعلوا ذلك فعاش المقتول وقال قتلني فلان
بن فلان ثم استلقى ميتا وقوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى
اي هكذا يحيي الله الموتى من الوجه الذي لا يتوهمون
ذلك فانهم كانوا لا يتوهمون الاحياء بضرب بعض البقرة
عليه وقوله تعالى ويريكم اياته لعلكم تعقلون قال
ابو منصور رحمه الله فيه وجوه يحتمل يريكم اياته اي يريكم
ايات وحدانيته ويحتمل اي يريكم ايات احياء الموتى وايات
البعث بعد الموت ويحتمل ويريكم ايات نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم اذا اخبر بهذه القصة عن الغيب وذكرها
على وجه يعلم اهل الكتاب انه عن الله تعالى يخبر اذ علموا
انه لم يكن له حظ في العلوم الخبرية لانه ولد من قوم اميين ولم

ولم يحسن قراءة الكتب ولم يخط بيمينه ولم يختلف الى من
عنده علم ذلك ولم يفارق عشيرته فيتوهم انه تعلم من
البشر فكان باب تحصيل العلوم الخبرية من قبل البشر
منسدا عليه وكان يخبر عن القصة على التفصيل بحيث لا يعرفه
الا الحذاق منهم في علم الكتاب وكانت العلوم الخبرية
متداولة بين اهل الكتب السماوية من التوراة والانجيل
والزبور ونحوها بلسان السورية والعبرية وهي
معدومة عنده صلوات الله عليه فدل اخباره بكل
قصة ذكرها الله تعالى في كتابه على كونها حجة واضحة
على نبوة رسالته صلوات الله عليه وسلامه

واما قولهم ما زال بصفاته قديما

قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفة
قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله اراد بهذا
القول ان الله تعالى متصف بجميع صفاته قبل وصف

الواصفين اياه بها اي ان الله تعالى موصوف باسمائه وصفاته
الذاتية كالحيوة والقدرة والعلم والارادة والمشية
والسمع والبصر وبصفاته الفعلية كالتخليق والتكوين
والايجاد والاحداث والاحياء والاماتة كلها صفات له
قائمة بذاته في الازل وتاخر ظهور اثارها الى الاوقات
التي علم وجودها في الازل وتاخر ظهور الاثر عن المؤثر
ثابت بالادلة القاطعة وهذا هو مذهب ابي حنيفة
وابي يوسف ومحمد بن الحسن ومالك بن انس والشافعي واحمد بن
حنبل وسائر اهل السنة والجماعة واذ قد ثبت بالادلة
القاطعة ان صانع العالم قديم ومن شرط القدم التبري
عن النقائص ثبت انه حي قادر سميع بصير عالم اذ لو لم
يكن كذلك لكان موصوفا باضدادها اذ هذه صفات
مضادة منافية لتلك فلو لم تكن هذه الصفات وهي
الحيوة والقدرة والسمع والبصر والعلم ثابتة لثبت
ما ينافيها ويضادها من الموت والجهل والعمى والصمم والعجز

والعجز وهي نقص ومن شرط القدم الكمال فدل انه موصوف
بما يثبتها من صفات الكمال لما انتفى عنه اضدادها التي هي
من سمات الحدث لكونها نقائص واذا ثبت ايضا انه هو
المخترع لهذا العالم مع اختلاف انواعه وهو الخالق له
على ما هو عليه من الاحكام والاتقان وبديع الصنعة
وعجيب النظم والترتيب وتركيب الافلاك الدائرة وما
فيها من الكواكب الثابتة والسائرة وتسخير الشمس والقمر
دائبين يستبقان فلا يتداركان ويتداركان فلا يختلطان
وجعل الليل والنهار متعاقبين على الخلائق احدهما
يغشى بسلطانه وجوه الاشياء ويغطيها ويكشف الاخر
السواتر عن وجوه الاشياء ويجليها وما يرى ويشاهد
في ابدان الحيوانات من الحيوة والتمييز والاهتداء الى اجتلاب
المنافع واجتناب المضار وما فيها من لطائف الحواس ومجاري
الانفاس وما في الاجسام الجمادية من البدائع والخاصيات
التي اودعت فيها على وجه لو تامل علماء العالم وحكماء الانام

الموصوفون بدقة الأفكار وحدة الخواطر وكمال التمييز
ورجاحة العقول الى انصرام الاعمار وانقضاء الآجال
لما وقفوا على كنهها ولا على جزء من الف جزء مما فيها من
آثار كمال الحكمة ولطائف التدبير على ما قال الصانع القديم
في كتابه الحكيم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ثبت
انه حي قادر عالم سميع بصير بجري العلم بذلك مجرى المعارف
البديهية الضرورية حتى ان العقلاء باسرهم ينسبون
من يصنف بناء القصور العالية والدور الواسعة ذوات
المقاطيع العجيبة ونسج الديباج المنقوشة وتحصيل
النصاوير الموفقة ونصب الاسرة المرفوعة واتخاذ
السفن الجارية ذوات الشراعات العالية ونحت الخشب
المجورة على النقاسيم المعتدلة الى ميت عاجز جاهل
اما الى الحماقة والجنون واما الى العناد ومكابرة العيان
فعرفنا ثبوت هذه الصفات التي هي صفات الكمال
قطعا لانتفاء النقائص عن القديم ثم كما دلت المحدثات على

على القدرة والعلم لما لا يتأتى الفعل بدون القدرة ولا
يحصل احكام الفعل بدون العلم كذلك دلت على ثبوت
الحيوة لان الفعل بدون العلم كما لا يتأتى بدون القدرة
ولا احكام يحصل بدون العلم كذلك لا يتصور وجود
الفعل الا من حي يحققه ان الحيوة لذات ما لا يعرف
في الشاهد الا بوجود الافعال الاختيارية وعند
وجودها يقع اليقين بثبوت الحيوة بحيث لا مجال
للريب في ذلك ويعد الشاك فيه متجاهلا ودليل استحالة
ثبوت القدرة والعلم بدون الحيوة ان الموت والجمادية
يضادان العلم والقدرة كما يضادان الحيوة اذ العقول
السليمة كما تأبى قبول قول من اخبر عن اجتماع الموت
والحيوة والسواد والبياض والحركة والسكون في محل
واحد في وقت واحد تأبى قبول قول من يجوز ثبوت القدرة
والعلم للميت ونعرف امتناع اجتماعهما مع الموت
كما نعرف امتناع اجتماع الحيوة والموت يحققه انه لو جاز

ثبوت القدرة والعلم بدون الحيوة لجاز ان يكون كل
ديباج نفيس وكل صورة مونقة وكل قصر عالي في العالم
كانت حاصلة عن فعل الجمادات والموتى ولعل كل
تصنيف دقيق في فن من العلوم كان من عمل الموتى والجمادات
وتجويز هذا كله هذيان وخروج عن قضية العقول
والخاق بالسوفسطائية المجاهلة الدهرية وبالطبايعية
حيث اضافوا احداث الحيوانات الى الموات وعرف بهذا
بطلان قول ابي الحسن الصالحي ان الحيوة ليست بشرط
للقدرة والعلم وجوز وجودهما في الموتى والاجسام
الموات وكذى جوز السمع والبصر فيها وعرف ايضا
بطلان قول الكرامية حيث جوزوا اجتماع ما وراء
القدرة مع الموت واذ قد عرف بالادلة القاطعة انه
تعالى حي عالم قادر سميع بصير نقول انه تعالى يجوز
ان يوصف بها فيقال حي قادر عالم سميع بصير بل يجب
بل لا يثبت دين الاسلام الذي ما كان خلق العالم حقا وحكمة الا

الا لاجابة واثباته وزعم بعض المتفلسفة ان كل اسم يجوز
اطلاقه على المحدث لا يجوز اطلاقه على الله تعالى لانه
يوجب التشابه وتبعتهم على هذا الكلام الباطل الفرامطة
وقصدهم بهذا التمويه تعطيل الصانع وهو مذهب جماعة
الدهرية ذكر ايمة الاصول امثال هذا الهذيانات من
مقالات المعطلة تنبيها وتحذيرا لضعفة المسلمين
عن الوقوع في شرك حبايل المبطلين بسبب النظر في كتبهم
والاصغاء الى تمويهاتهم وزعم الناشي ان الوصف له تعالى
بهذه الصفات مجاز على احدى الروايتين عنه كذى ذكر
عنه ابو المعين النسفي في اصوله ثم انه قد ثبت بالادلة
القاطعة والبراهين الساطعة ان الله تعالى كان موصوفا
بهذه الصفات في الازل فكان حيا قادرا عالما بصيرا
وهو مذهب اهل الحق واذ قد ثبت انه تعالى كان في الازل
عالما فقال كل من اثبت الصانع انه تعالى كان عالما بذاته
وبصفاته وبما وراء ذلك مما يكون وان كان العالم معدوما

في الأزل وأثبتوا دخول المعدوم تحت العلم قال هشام
ابن الحكم أحد رؤساء الغلاة وهشام بن عمرو أحد رؤساء
المعتزلة انه لم يكن عالما بما وراء ذاته ومعنا تعلق العلم
بالمعدوم وقال أهل الحق وعامة المتكلمين ان القول
بخروج المعدوم من ان يكون معلوما يناقض أدلة العقول
ويرد على قواعد الدين بالابطال ويلحق قائله بالمعطلة وبيان
ذلك بالبرهان القاطع ان كون الفعل محكما متقنا يدل على
علم فاعله به على ما بيناه غير مرة وتقررت صحة ذلك
في العقول السليمة حتى ان من يوقع ممن لا علم له تحصيل
صورة موفقة أو صنعة بديعة عجيبة عد متجاهلا
اذ شرط ذلك هو ثبوت العلم به قبل وجود المفعول
لا بعد وجوده ليحصله على حسب ما علمه من الاتقان
والجودة لا على ما يضاده من الوهاء والرداءة على ما سبق
بيانه وتحقيقه ما عرف من بطلان اضافة الافعال
المحكمة الى الجاهل كبطلان اضافتها الى الميت العاجز

فمن لم يجوز العلم بالمعدوم فقد جوز وجود الافعال
المحكمة والصنائع البديعة لا عن علم لفاعله به وهو
محال ولان كل قاصد تحصيل شيء يكون ذلك الشيء
ثابتا في علمه فيحصله على حسب علمه به لولا ذلك لما امكنه
تحصيله عرف صحة هذا كل من رجع الى نفسه معرفة لا يسوغه
عقله جحودها وكذي كل من يفعل فعلا لعاقبة حميدة
بعد حكيما ومن يفعل لا لعاقبة حميدة بعد سفيها ولو لم
يكن العلم بالعواقب ثابتا لما اتصف فعل بحكمة ولا سفه
ولا فاعل ما اتصف بحكيم ولكان كل فعل يوجد في الشاهد
موجودا لا احكام فيه ولا اختلال ولا اعتدال فكان
ضائعا مجانا وفي هذا بلوغ هذا القائل نهاية السفه
والبطلان وغاية العناد والتعطيل ومن الادلة السمعية
القطعية ما اخبر الله تعالى الانبياء المتقدمين عليهم السلام
من انباء نبينا محمد صلوات الله عليه في التورية والانجيل
بقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا

عندهم في التورية والانجيل وبشارة عيسى عليه السلام
على ما نطق به الكتاب بقوله مبشرا برسول يأتي من بعدي
اسمه احمد وبقوله محمد رسول الله والذين معه اشداء على
على الكفار الى قوله ذلك مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل وما انبأ الله تعالى في القران من الاخبار عن
الكائنات من نحو قوله ستدعون الى قوم اولي باس شديد
وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض الاية وما اخبر من احوال القيامة كقوله ويوم
تشقق السما بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله يوم
نطوي السما كطي السجل للكتب وقوله يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش وما ذكر
من سوق اهل الجنة اليها وسوق اهل النار اليها وحصول
الزفير والشهيق من الكفار وشهادة الجوارح عليهم يوم القيامة
وطلبهم العود الى الدنيا واخباره تعالى عنهم انهم لو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه واخباره بانكار الكفار تبليغ الرسل اليهم

اليهم وشهادة امة محمد عليه السلام للرسل بالتبليغ اليهم
وقوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغير ذلك
مما يتعذر حصره وتعداده وانكار هذه الايات كفر
صريح وتعلقهم بظواهر ايات ليس المراد منها ما توهموا
تعلق باطل وما تشبثوا بها على خلاف السمعيات الموجبة
للعلم قطعا بلا احتمال كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة
وقوله ان الله عنده علم الساعة وسائر النصوص المذكورة
وعلى مخالفة البراهين العقلية التي لا تميل فيها بان الله تعالى
عالم بما كان وبما يكون الا لسوء عقيدتهم وخبث سريرتهم
فتعلقوا بظواهر هذه الايات وهي قوله ليبلوكم ايكم
احسن عملا وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله لعله
يتذكر او يخشى وقوله لننظر كيف تعملون وقوله لنعلم
اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين واشباه ذلك من الايات وقالوا ان الابتلاء

إنما يكون ليظهر ما خفي عليه وليحصل علم ما لم يكن حاصلا
بحال من ابتلاه فتدل الآيات أنه لا يكون عالما بالمعدوم ما لم
يوجد كما في الشاهد وجواب أهل الحق عنها على الاستتباع
لا يتسع هاهنا فنذكر على الإيجاز فنقول وبالله التوفيق
أما الابتلاء من الله تعالى فليس ليثبت له به العلم كما في حق
من يجهل العواقب بل الابتلاء منه تعالى ليظهر ما علم
في الأزل على ما علم وكذي قوله لنعلم من يتبع الرسول
أي لنعلم كائنا ما قد علم أنه يكون ويعلم موجودا
ما قد علم قبل الوجود أنه يوجد لأنه تعالى يعلم المعلومات
على ما هي يعلم المعدوم حال العدم معدوما ويعلم أنه
سيوجد لا يقال إنه يعلم المعدوم موجودا حال كونه
معدوما فإذا وجد في الوقت الذي علم وجوده فيه
يعلمه كائنا موجودا وكذي قوله لنعلم أي الحزبين أي
ليظهر ما كنا علمنا على ما علمنا وقوله لننظر كيف تعملون
أي ليظهر عملكم على ما كان علمه وكلمة لعل من الله تعالى واجب

واجب فكان إخبارا على القطع فإنه تذكر وخشي حين أدركه
الغرق فقال آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل ولكنه
تذكر وخشي عند معاينة البأس وحينئذ لا ينفع الإيمان
أو كان ذلك للترجي عند موسى عليه السلام فإن الأنبياء
عليهم السلام أمروا بالدعاء إلى الإيمان على رجاء الوجود
عندهم فإذا علموا أن قومهم لا يؤمنون أمسكوا عن دعائهم
فأما الله تعالى فإنه بعث الرسل وأنزل الكتب لدعاء الكل
إلى توحيده وعبادته ليظهر ما علم في الأزل على ما علم
إذ الجزاء على وجود الإيمان الظاهر والخلاف الظاهر
لا على العلم الباطن على ما قال تعالى ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار
فهذه وجوه كشف شبهتهم وبالله العصمة وهذا كما
تعلق هشام بن الحكم وغيره من المجسمة بظواهر المتشابهات
فأثبتوا بها الأعضاء والجوارح على خلاف النصوص المحكمة
وعلى مخالفة أهل السنة والجماعة مع سماعهم حكم الكتاب

بزيغ من اتبع ما تشابه منه بقوله تعالى فاما الذين في
قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه الاية فلم يكن ذلك
الا لسوء عقيدتهم وخبث سريرتهم ولا قوة الا بالله

فصل واذ قد ثبت انه تعالى حي قادر سميع
بصير عالم وكان في الازل ويكون لا يزال موصوفا
بهذه الصفات فبعد ذلك تاملنا فعرفنا ان الحي يستحيل
ان يكون بدون الحيوة وكذي القادر بدون القدرة
والعالم بدون العلم وكذي ما وراء ذلك من الصفات
فعلمنا ان الله تعالى لمحيوة وهي صفة له قائمة بذاته
وكذي العلم والقدرة والسمع والبصر وهذه الصفات
لا يقال لكل صفة منها انها الذات ولا يقال انها غير
الذات بل هي معاني لازمة للذات من الازل الى الابد بلا ابتداء
ولا انتهاء **فصل** وزعمت المعتزلة ان الله تعالى
لا حيوة له ولا قدرة ولا علم ولا سمع ولا بصر فهو حي لا حيوة
له عالم لا علم له وكذي في الصفات كلها والذي دعاهم الى هذا

الجاهل

الجاهل شبه تعلقوا بها منها قولهم ان الصفة اذا لم تكن
هي الذات فهي غير الذات والقول بالاشياء المتغايرة في الازل
منافي للتوحيد ومنها قالوا ان القول بازلية الصفات
قول باثبات القدماء وذلك لا يجوز ومنها قالوا ان الصفات
لو ثبتت لكانت باقية ولا وجه الى القول بقيام الصفة
بالصفة قال ابو المعين رحمه الله ولاهل الحق من الحجج
السمعية القاطعة قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه
الا بما شاء وقوله فاعلموا انما انزل بعلم الله وقوله تعالى
انزله بعلمه وقوله تعالى ان القوة لله وقوله تعالى ان الله
هو الرزاق ذو القوة فالله تعالى اثبت لنفسه العلم والقوة
بنصوص صريحة محكمة والمعتزلة يابون ذلك فاذا هم
على زعمهم وتحكمهم اعلم بالله من الله تعالى بنفسه وهذا مما
لا يخفى فساده وبطلانه يحققه ان القول بان الله تعالى
عالم بما لا علم له به وقادر بما لا قدرة له عليه يحال متناقض
لا يخفى كونه مناقضة على اغبى خليقة الله تعالى وكذي

لا يختلف على اسماع اهل اللسان قول القائل الله تعالى ليس بعالم
وقوله الله تعالى لا علم له بشيء والاول فاسد وكذي الثاني قوله
الله تعالى ليس بقادر على شيء وقوله لا قدرة له فهذا ما ذهبت
المعتزلة اليه وجعلوه توحيدا وسموا به انفسهم اهل التوحيد
بحيث يتسارع كل سامع الى اكفار قائله ونسبته الى المناقضة
قال سيف الحق ابو المعين ميمون بن محمد النسفي
رحمه الله وهذا النوع من الاستدلال يسمى عند ارباب المنطق
الاستشهاد بشهادات المعارف يعنون بالمعارف العلوم
الاولية الثابتة في اصل خلقة كل مميز وجبلته ولهذا يقولون
ان من شك بمثل هذا الراي الذي اعتقدته المعتزلة
ينبغي ان يصور عقيدته للدهما ليقابلوه بالطنز والاستهزاء
واستدل امام الهدى ابو منصور بهذا الدليل الذي ذكرناه
ثم قال في اثبات كلامه اي قلب يصبر على القول بانه عالم
بما لا علم له ليحتمل ان يختاره عاقل فضلا من ان يعيب غيره
ثم قال سيف الحق رحمه الله في كتابه الملقب بتبصير الادلة

ولاهل الحق في المسئلة طرق منها طريقة الاستدلال
بالاسم الثابت بالنصوص التي لا ريب في ثبوتها والاجماع
الذي لا مخالف فيه في الامة وهذه الطريقة ان يقال
ان الله تعالى يسمى حيا قادرا عالما سميعا بصيرا باقيا ثم التسمية
اما ان كانت وضعت لتدل على مطلق الوجود كلفظة الموجود
والشيء واما ان كانت وضعت لتدل على معنى وراء الوجود
وذلك المعنى اما ماهية يمتاز بها النوع من النوع كاسم الادمي
والاسد والفرس فان لكل مسمى من هذه الاشياء ماهية
يمتاز بها عن الاخر من صورة مخصوصة او خاصية لازمة
فتدل التسمية على ان له معنى وراء مطلق الوجود اختص
به فصار لاجله نوعا على حدة كالنطق والاغتذاء للادمي
واما صفة قائمة بالمسمى اشتق منها الاسم كالمتكلم والمريد
والاسود والابيض والمتحرك والساكن فان كل تسمية
منها اشتقت من معنى يعرف عند اطلاق هذا الاسم ثبوت
تلك الصفة ثم ان هذه التسمية على ما عليه وضع الكلام

انما يكون اطلاقه على مسمّاه صدقا اذا كان المعنى الذي هو ماخذ
الاشتقاق ثابتا وعند انعدامه يعد كذبا الا اذا نقل عن
حقيقته وجعل لقبا للذات وعلما يمتاز به الذات عن اغياره
من بني جنسه لا باعتبار المعنى كما يلقب الاعمى بالبصير ويسمى
العبوس ضاحكا والضحاك عباسا ولا يثبت كونه لقبا علما الا بضرب
اصطلاح لا يعرفه اسما للذات من لا وقوف له على ذلك الاصطلاح
فاما الوصف فقد يعرفه اسما للموصوف به كل من كان
من اهل اللغة بالوقوف على المعنى وان لم يعرف الاصطلاح
ولا سمع احدا اطلق عليه هذا الوصف واذا عرفت هذه المقدمة
جئنا الى الغرض المطلوب وهو اقامة الدليل على ما هو المطلوب
من اثبات صفات الله تعالى فنقول لا ريب ان هذه الالفاظ
من قبيل الالفاظ المشتقة عن المعاني فاذا اطلقت على ذات
يراد بها اثبات ما هو ماخذ الاشتقاق لا اثبات الذات فحسب
كما في الاسم المتكلم والمتحرك والساكن وغيرها فلو اطلقت
هذه الالفاظ ولم يرد بها اثبات المعاني لكانت الفاظا واعلاما

وجعل ما هو من صفات المدح لقبا للذات ما واطلاقه عليه
عند عدم المعنى الذي هو ماخذ الاشتقاق نوع من الهزو
والسخرية كالاعمى يسمى بصيرا والزنجي يسمى ابيض ومن جعل
اطلاق الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الاسماء
الحسنى والصفات العلى على الخالق على طريق السخرية فهو
غير عارف بالله وبرسله وكذي كان الله تعالى على راي
المعتزلة يامر عباده بالثناء عليه بهذه الاسماء امرا
بالسخرية وكفر من يجوز هذا مما لا يخفى بحقيقته ان هذه الاسامي
لو كانت غير مثبتة للمعاني وكانت الفاظا واعلاما لم يثبت
بكل لفظ منها الا الذات فيثبت بقولنا حي الذات وكذي
بقولنا قادر وعالم فبصير قولنا ان الله تعالى عالم قادر
سميع بصير قولا بانه تعالى ذات ذات ذات ولم يحصل
بكل لفظ فايدة سوى ما حصلت بالاول وحيث لم يكن
كذلك بل حصل بكل لفظ للسامع من الفايدة ما لا
يحصل بغيره من الالفاظ علم ان هذه الاسامي ما اطلقت

الا لاثبات ما فيها من المعاني قال ابو المعين رحمه الله ولاهل
الحق على اثبات الصفات ايضا دلالة المحدثات وهي ان المفعولات
كما دل على الفاعل فطلقه يدل على القدرة وكونه محكما متقنا
يدل على العلم فان كل من راى المفعول محكما متقنا استدل
بكونه مفعولا على قدرة فاعله به حتى ان من راى ديباجا
متقنا او دارا فاخرة فيها نقوش ونصاوير وهي مبنية على
غاية الاحكام والاتقان فزعم ان ذلك نسج جاهل بصناعة
النسج عاجز عنها وبنى تلك الدار جاهل بصنعة البناء
عاجز عنها استجهل ونسب اما الى الحماقة واما الى العناد
والمكابرة كما ان من زعم ان ذلك كله كان بنفسه من غير
ناسج ولا باني نسب الى ذلك قال الشيخ الامام
العالم نجم الملة والدين ايده الله وللمعتزلة اعتراضات
على ادلة اهل الحق في اثبات الصفات دفعها المتكلمون
وابطلوها واودعوها كتبهم صيانة لقلوب ضعفة المسلمين
وذبا عن حريم الدين لا ندعو الحاجة الى ذكرها ههنا لما قد

دليل على اثبات علم الفاعل

لما قد ذكرنا من الحجج السمعية الموجبة للعلم ما يوجب الانقياد
لها والاذعان لحكمها وذكرنا الاجماع الذي لا مخالف
فيه في الامة الهادية اذ من خالف فيه يسقط اعتبار خلافه
لما به يصير صاحب هوى لخلافه فيما يجب الفتوى به بدليل
يوجب العلم يقينا ولا شك في كون الاجماع دليلا موجبا
للعلم لثبوته حجة قاطعة بالكتاب الناطق والخبر
المتواتر فلا عبرة بخلاف صاحب الهوى في المسائل الاعتقادية
في الفصل الذي نسب الى الهوى بخلافه فيه حتى ذكر القاضي
ابو زيد في كتاب تحديد ادلة الشرع فقال واما صاحب
الهوى فلا عبرة بخلافه في نفس ما نسب الى الهوى لانه لا ينسب
الهوى الا اذا خالف فيما يجب الفتوى به بدليل يوجب
العلم يقينا فيصير خلافه ذلك الدليل برايه ساقطا
كما يسقط رايه بخلافه نصا يروى له وقد ذكرنا النصوص
الصريحة باثبات العلم والقوة لله تعالى وذكرنا البراهين
العقلية القطعية التي توجب الانقياد لمن لا يكابر

الأدلة ولا يعاند الحجج باصراره على هواه ومعلوم ما ذكر
الله تعالى في معاندي الآيات والحجج بقوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء
قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله والمعتزلة بلغوا
في مكابرة ادلة اهل الحق حدا يحملون القرآن على مذاهبهم
وما يميل اليه هوى نفوسهم والحق الواجب حمل المذاهب
على القرآن لا حمل القرآن على المذهب ومن تصفح تاويلاتهم
للقرآن على مخالفة اهل الحق يحقق ذلك وذلك كما قرا بعضهم
قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه برفع الباء على جعل
الفعل لقلب ذلك الكافر والمنزل من الله تعالى بفتح
الباء على جعل الفعل لله تعالى وكذي قرا بعضهم قوله تعالى
قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق بالتنوين فقرا من شر
ما خلق يريد من شر لم يخلقه الله تعالى وههنا في فصل
الصفات اثبت الله تعالى لنفسه العلم والقدرة واخبر
بذلك بنصوص صريحة محكمة غير محتملة كقوله تعالى ولا

ولا يحيطون بشيء من علمه وقوله انزله بعلمه وقوله واعلموا
انما انزل بعلم الله وقوله ان القوة لله واطبق اهل الحق على
الانقياد لها واعتقاد موجبها والمعتزلة ابوا قبول ذلك
ثم لما انتهوا عن ذلك وقالوا انه تعالى حي لا حيوة له عالم
لا علم له قادر لا قدرة له سموا انفسهم بذلك اهل توحيد
وعابوا على اهل الحق حيث اثبتوا لله تعالى الحيوة والعلم والقدرة
ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله عليهم
السلام والصالحون من عباده فكان مما يقال للمعتزلة
ان الله تعالى اثبت لنفسه العلم والقدرة بنص صريح محكم
والزم عباده العلم بذلك بقوله واعلموا انما انزل بعلم الله
وقال ان القوة لله فوصف نفسه بالعلم والقوة افانتم يا معشر
المعتزلة اعلم بالله من الله تعالى ثم معلوم انه لا فرق عند
اهل اللسان بين قول القائل الله لبس بعالم وبين قوله الله
لا علم له بشيء فالاول فاسد وكذي الثاني ومع هذا التعطيل
سموا انفسهم اهل التوحيد ثم قالوا انما نثبت للعبد قدرة

التخليق لئلا يكون الله تعالى معاقبا عباده على ما يخلق هو
بنفسه فيكون عادلا في تعذيبهم فابطلوا التوحيد بهذا
العدل فانهم جعلوا كل فعل حصل من المخلوقين المختارين
مخلوقا لهم فيكون كل فاعل مميز من رفوحاني وجسداني
وكل فاعل مختار مميز حتى يكون كل كلب وخنزير وبق وبعوض
خالقا عندهم ثم ابطلوا عدلهم بتوحيدهم فانهم نفوا عن الله
تعالى جميع الصفات من الحيوة والعلم والقدرة والكلام
والارادة والتخليق والتكوين وزعموا انه هو التوحيد
وانكروا ان يكون الكلام وفيه الامر والنهي معنى قائما
بذات الله تعالى وجعلوه محدثا مخلوقا في محل غير ذات الله
تعالى وقد سماعدوا ان الفاعل من قام به الفعل لا من خلق
الفعل فابطلوا امر الله ونهيه وبطل بذلك الحل والحرمة
وخرج الفعل عن كونه طاعة او معصية وكان التعذيب
على ما ليس بمعصية فابطلوا عدلهم بتوحيدهم وهذا كله
جواب اهل الحق ذكره ائمة الاصول منهم سيف الحق ابو المعين
النسفي

النسفي واما قولهم ان اثبات الصفات قول بالقدماء فاجاب
عن ذلك بعض الصفاتية فقالوا نحن لم نقل ان الصفات
قائمات بذواتها حتى يرد علينا ما قالوا وانما نقول ان الله
تعالى قديم بصفاته وصفاته قائمة بذاته فاندفع عنهم
الزام المعتزلة وبعض اصحاب الصفات قالوا ان القديم
هو المتقدم في الوجود او الموجود الذي لا ابتدا لوجوده
فنحن نقول ان كل صفة قديمة بذات الله تعالى ولا يجوز
القول بالقدما مطلقا لئلا يسبق الى وهم السامع ان
كل قديم من القدماء قائم بذاته موصوف بصفات
الالوهية بل نقول ان الله تعالى قديم بصفاته وعند
اطلاق لفظ القديم على كل صفة ينبغي ان يقيد فيقال
ان القديم القائم بالذات واحد وهو الله تعالى وله صفات
الكمال كل صفة قائمة بذات الله تعالى وهي قديمة
على معنى ان ليس لوجودها ابتدا وانها في الوجود متقدمة
على المحدثات فيبطل توهم المعتزلة وما يقوله الاسكافي

والصالحي والجبائي من رؤساء القدرية ان القول
بالقدماء قول بالالهة كلام في غاية الفساد فانه لم يقل
احد من اهل اللغة ولا من اهل الكلام بان القديم في اللغة
هو الاله فان العرب يقولون هذا بناء قديم وشيخ قديم
يريدون به المتقدم في الوجود دون الوصف له بالالوهية
وفي الكتاب قوله تعالى كالعرجون القديم المتقدم في
الوجود على نظيره وهذا كاف في ابطال قولهم ومع
ذلك يقال للقائل به لم قلت ان القديم هو الاله
والعقلاء باسرهم على خلاف ما تقوله فان اهل اللغة
يطلقون لفظة القديم من غير ارادة الالوهية وكذي
الدهرية يعتقدون قدم كل جزء من اجزاء العالم
من غير اعتقاد الالوهية والكفرة يسمون الاصنام
الهة وان كانوا لا يعتقدون قدمها بل كانوا ينحتونها من الخشب
والاحجار وكانوا يعتقدون كونها مخلوقة على ما قال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وجملة الامر في

في منكري الصفات لله تعالى اما ان قصدوا بنفيها التعطيل
وتوهموا بدعوى التوحيد خوفا من معرة التشبيه او وقعوا
في ذلك غلطا بالنظر في صفات الخلق حيث راوها اعراضا
اغيارا للذوات فظنوا ان اثبات الصفات للباري تعالى
يكون كذلك فان كان السبب هو الاول فلا بد لدابهم
وان كان السبب هو الثاني ففيما اوردنا من الحجج والبراهين
كفاية وبلاغ ثم كيف ما كان فقد استمروا على لزوم الوقاحة
ومكابرة الادلة فلا فائدة في بسط الحجاج معهم سوى الذب
عن حريم الدين وتحذير ضعفة المسلمين واذا كان كذلك
فالاشتغال بحل شبهاتهم فضل ولبس بلازم فنقول
ان الادلة القاطعة قد قامت على ان ذوات الخلق وصفاتهم
محدثة وان صفاتهم اعراض لا تقوم بانفسها بل بذات محدثة
هي جواهر واجسام يجوز عليها الوجود والتعري وقامت
البراهين الساطعة والحجج القاطعة على ان الله تعالى قديم
لم يزل دايم لا يزال ومن شرط القديم الكمال وقد قامت الادلة

القاطعة على ثبوت صفات الكمال له في الازل بلا ريب ولا شك
وكذلك قامت الادلة القاطعة على كون حدوث الصفات له
ممتنعا محالا لما في ذلك من لزوم النقص في الازل وثبوت
التغير عما كان في الازل وكل ذلك محال في حق القديم
وكذلك قامت الادلة على استحالة عدمها وحصل العلم
بهذه المقدمات انها دائمة لا محالة وعلم بالبديهة ان
القول بدائم لبس بباق محال وكذي قام الدليل على ان القول
بباق لا بقاء له محال كما ان القول بعالم لا علم له وبقادر لا
قدرة له محال فيجب التمسك بتلك الادلة القاطعة
ولا يلزم الاشتغال بما وراء ذلك من الفضول ومن تلك
الفضول قول المعتزلة لو كانت له صفات لكانت باقيات
ويستحيل قيام البقاء بالبقاء ومنها قولهم لو كانت له
صفة لكانت غير الله والقول بوجود غير الله في الازل
محال قال ابو المعين النسفي رحمه الله هذا منهم تحكم
محض ودعوى مجردة عن البرهان ويكفي المنع بان يقال لم قلتم

لم قلتم وابطال ما يجعلونه حدا للغيرين جوابا عن مقالتهم فيقال
وما حد الغيرين ليظهر بمعرفته ان خصمكم اثبت في الازل
ما هو غير الله فزعمت الكرامية ان حد الغيرين هو الشيئان
فذات الله تعالى لما كان شيئا وصفته شيئا فهما شيئان ولهذا
قالت الكرامية ان صفة الله غير الله قال ابو المعين رحمه
الله هذا التحديد فاسد لان الغيرين من الاسماء الاضافية كالعلو
والسفل والاب والابن ولهذا لا يطلق اسم الغير الا
باعتبار وجود آخر والشيء اسم ذاتي يستحقه المسمى به باعتبار
ذاته ولفظه المجرد مع المحدود بمنزلة الاسمين المترادفين
لا تفاوت بينهما فمن جعل احد اللفظين حدا للآخر فهو قليل
المعرفة بحقائق الاسامي وشرائط صحة التحديد وقال
ابو هاشم من المعتزلة ان الغيرين مذكوران لا يكون احدهما
جملة يدخل تحتها الآخر واحترز بهذا عن الواحد من
العشرة وعن يد الانسان مع اعضائه فان العشرة جملة
دخل تحتها الآحاد ولا يقال لكل واحد هو العشرة

ولا غيرها وكذي كل عضو من الانسان ليس غير الانسان
ولا هو قال ابو المعين رحمه الله وهذا التحديد
فاسد لان لفظة المذكور كما يتناول الموجود يتناول
المعدوم واطلاق اسم الغير على المعدوم فاسد باباه اهل
اللغة بل الغير اسم يتناول احد الموجودين باعتبار الاخر
ثم الاحوال عند ابي هاشم مذكورات وليست احدها
جملة تدخل تحتها الاخرى ففسد تحديده ثم تجاهل
مع ذلك فانه لما انتهت نوبة رياسة المعتزلة ولم يبال
عن التجاهل وتصيير نفسه ضحكة للخلق في ترويج ما هم
عليه من الباطل في نفي الصفات عن الله تعالى وقال ان
قولنا عالم في الشاهد والغايب اثبات لحال تخالف بها
الذات ذاتا ليس بعالم وكذي قال في الحي والقادر والسميع
والبصير ثم تجاهل وقال تلك الحال ليست هي الذات
ولا غير الذات ولا معنى وراء الذات ولا هي موجودة ولا
معدومة ولا هي مذكورة ولا غير مذكورة ولا معلومة ولا

ولا لا معلومة فهذا منه غاية في الوقاحة وقلة المبالاة
من التخبط في دين الله عز وجل وقع في هذا الباطل حيث
خالف اهل الحق في اثبات الصفات لله عز وجل وعاب
عليهم قولهم ان صفة الله ليست هي الله حتى لا يكون فيه
تعطيل الذات وليست هي غير الله حتى لا تكون صفته عرضا
كصفات الخلق بل صفة الله تعالى معنى قايم بذات الله تعالى
من الازل الى الابد بلا ابتداء ولا انتهاء وهكذي شان من
كابر حجج الحق وخالف اهله يتخبط في سلوكه سبيل
الحق هواه ثم بيان فساد كلامه ان يقال له الا قلت انه عالم
لمعنى مكان قولك عالم لحال فان قال اذا جعلته عالما لمعنى
تشترك فيه المعاني قيل له يلزمك اذا جعلته عالما لحال
ان تشترك فيه الاحوال فيصير عالما بالحال التي يصير بها
قادرا واسود بالحال التي يصير بها حيا فان قال ليست الاحوال
متجانسة قيل له ليست المعاني متجانسة فيجب بجميعها ما يجب
باحادها فان قال لا يصير عالما بحال مطلقة بل بحال ممتاز

بها الذات عن ذات ليس بعالم فقيل له لا يكون عالما بمطلق المعنى
بل بمعنى هو علم تجلى به المعلوم ثم يقال له هذه الحال راجعة
الى الذات لم الى معنى وراء الذات فان قال هي راجعة الى
الذات فقد الحق بسلفه في تعطيل الذات حيث جعل
الحال هي الذات وان قال هي معنى وراء الذات فقد انقاد
للحق وزال التجاهل وان قال ليست براجعة الى الذات
ولا الى معنى وراء الذات فقد ارتكب محالا اذا ثبت واسطة
بين الذات وبين ما وراء الذات ثم يقال اذا لم تكن الحال مذكورة
فكيف ذكرتها واذا ذكرتها كيف زعمت انها ليست بمذكورة
واذا لم تعلمها كيف علمت ان الذات عالم وهو لا يكون عالما
الا بالحال واذا لم تعلم الحال كيف علم الذات عالما واذا
علمت كيف زعمت انها ليست بمعلومة فهذا بيان تجاهله
في اثبات الحال وفساد تحديده للتغاير وقال بعض المعتزلة
الغيران هما المختلفان في الوصف قال ابو المعين رحمه الله
هذا باطل عند الجميع بالواحد من العشرة وباليد من الادمي وان

فان الواحد من العشرة يختلفان في الوصف وكذي اليد
مع الادمي ولا تغاير وبهذا يبطل قول من يقول ان ما ليس
بالشي فهو غيره فان الواحد ليس بالعشرة وليس بغيرها
وكذي اليد ليست بالادمي وليست غيره وهذا لان العشرة
اسم يقع على مجموع هذه الافراد فكان اسم العشرة متناولا
كل فرد مع اغياره فلو كان الواحد غيره لصار غير نفسه
لانه من العشرة ولن يكون العشرة بدونه وكذي اسم
زيد يقع عليه باعتبار اعضائه فكان متناولا لمجموع
هذه الاعضاء فاذا قيل يد زيد غيره كانت اليد غير
نفسها وقال بعض المعتزلة الغيران هما اللذان يصح ان
يعلم احدهما ويجهل الاخر قال ابو المعين
وهذا باطل لان الشي يعلم بجهة ويجهل بجهة كمن يعرف
السواد انه لون ولا يعرف انه مستحيل البقاء فان جعلت
المعتزلة كل جهة غير صاحبتها فقد جعلوا العرض الواحد
الذي هو عرض غير متجزي شيئين متغايرين والقول بتعدد

الواحد وتغايره محال وإن لم يجعلوا كل جهة غير الجهة
الأخرى أبطلوا التحديد ثم قال أبو المعين
رحمه الله ولا حاجة بنا إلى الاشتغال بتحديد الغيرين
لأن الخصوم هم الذين يريدون نفي الصفات بعلة أنها
لو كانت ثابتة لكانت أغيارا للذات فإذا منعناهم
من إثبات المغايرة بطلت شبهتهم ولم يبق لنا حاجة
إلى إثبات حد الغيرين ثم نقول على طريق التبرع
حد الغيرين عند أصحابنا أنهما الموجودان اللذان يصح
وجود أحدهما مع عدم الآخر ودليل صحة هذا الحد
أنا استقرينا الأوصاف فعلمنا أن شيئا مما ذكره الخصوم
لا يصلح أن يكون حدا لما بينا وعلمنا أيضا أن الغيرين
ما كانا غيرين لأنهما عرضان لثبوت المغايرة بين الباري
تعالى وبين العالم ولثبوت المغايرة بين الأجسام ولا
لأنهما جسمان لثبوت المغايرة بين الأعراض ولا لأنهما
قائمان بالذات لثبوت المغايرة بين الأجسام والأعراض وإذا

وإذا كان كذلك لم يبق إلا ما ذكرنا وإذا كان حد المغايرة
ينقسم إلى هذه الأقسام وكلها ممتنعة لما بينا من الدلائل
ولا امتناع فيما قلنا تعين للصحة على ما هو الأصل في الاستقراء
فصح أن حد الغيرين هما الموجودان اللذان يصح وجود أحدهما
مع عدم الآخر وهذا محال في حق الله تعالى وصفاته
فإن الله تعالى موجود واجب الوجود لذاته لا يجوز عليه العدم
لأنه قديم فيستحيل عليه العدم وصفاته واجبة الوجود
إذ هي صفات المدح والكمال وهي معاني قائمة بذات الله
تعالى في الأزل ومن شرط القديم الكمال في تعري ذاته
عن شيء من صفات الكمال نقص وجواز النقص عليه محال
لما في ذلك من زوال الكمال وبطلان الألوهية فتعالى
عن النقص والزوال فقلنا إن صفة الله تعالى ليست هي الله
تعالى حتى لا يكون فيه تعطيل الذات وليست هي غير الله حتى
لا تكون صفته عرضا كصفات الخلق فإنها أعراض أغيار
لذواتهم بل صفات الله تعالى معاني قائمة بذات الله تعالى

من الأزل بلا ابتداء ولا انتهاء وهذا هو مذهب أهل الحق
ومما يكشف عوار المعتزلة ويبطل تمويهاتهم بأن يقال لهم
ما معنى قولكم إن الله تعالى موصوف بأنه عالم إذا لم يكن
له علم عندكم فإن قالوا موصوف بأنه عالم بوصف الواصفين
إياه إذا بصفة هي وصف الواصف إياه قيل لهم لو أن
رجلا قال لرجل إنه أبيض أو لفصير إنه طويل هل كان الرجل
أبيض والفصير طويلا فإن قالوا نعم كابروا وإن قالوا لا
ناقضوا قولهم موصوف بأنه عالم بوصف الواصفين إياه
لأن الوصف من الواصف قد وجد ولا عبرة له عندنا بعدم
المعنى القائم بالموصوف ثم يقال لهم إذا كان العالم
من وصفه متكلم بأنه عالم لا من قام به العلم أو من له
العلم ينبغي أن يقال إن من قال للجماد إنه عالم أو لطفل أو لمجنون
لم يقم به علم إنه عالم أن يكون صادقا في مقالته لوجود
الوصف له بذلك إذ هو يكون عالما بوصف الواصف له
بذلك لا بمعنى قائم به وهذه مكابرة ظاهرة وسوء مغالطة

محضة

محضة ثم يقال لهم لجميع المسلمين يقولون إن الله تعالى
كان في الأزل موصوفا بكونه حيا عالما لأن كلامه
عند أهل الحق ليس بمخلوق والعلم قائم بذاته مع سائر صفاته
في الأزل وأنتم معشر المعتزلة إن قلتم إن الله تعالى كان
في الأزل موصوفا بكونه عالما فما معنى قولكم ذلك والواصفون
كانوا معدومين في الأزل فلا يتصور وجود كلامهم
ليكون موصوفا بذلك بكلامهم وكلامه تعالى عندكم
محدث مخلوق فلم يوجد منه وصف نفسه بأنه عالم
وعندكم ليس له علم قائم به فكان قولكم إنه كان في الأزل
موصوفا بأنه حي قادر عالم باق سميع بصير تلبيسا وتستيرا
لقولكم حي لا حيوة له وعالم لا علم له وقادر لا قدرة له فيفنى
قولكم باطلا لا تحقق له قال سيف الحق أبو المعين
النسفي رحمه الله وغيره من علماء الملة فمن وقف على ما بينا
في المسألة من الدلائل والكشف لتمويهات المعتزلة
عرف أن القوم لم يريدوا بما ذهبوا إليه من نفي الحيوة والعلم

والقدرة والسمع والبصر والإرادة إلا موافقة إخوانهم
من الفلاسفة في إثبات ذات في القدم ليس بحي ولا قادر
ولا عالم ولا سميع ولا بصير غير أنهم لم يتجاسروا على
إظهار ذلك خوفا من معرة السيف لما فيه من جحود
ما ورد به الكتاب والسنة المتواترة فأطلقوا هذه
الأسامي في الظاهر وأنى بما يؤدي إلى مقصودهم من نفي
كونه حيا قادرا سميعا بصيرا بنفيهم الحيوة والقدرة
والعلم وقد صرح بعضهم أن مرادهم هذا وهو الناشي
على أحد قوليه على ما مر قال الشيخ الإمام العالم
نجم الملة والدين أيده الله هذا الذي سبق ذكره كله
من كلام أبي منصور وأبي حفص الكبير وأبي القاسم الحكيم
وأبي حفص أفضى القضاة عمر النسفي وسيف الحق أبي
المعين رحمهم الله في بيان قول فقهاء الملة ما زال بصفاته قديما
قبل خلقه أي قبل مخلوقاته كقوله تعالى هذا خلق الله أي
هذا مخلوق الله إذ الخلق في هذا عبارة عن المخلوق لا عن
الخلق

الخلق الذي هو الصفة وقد صرح أبو حنيفة وأبو يوسف
ومحمد رحمهم الله بقوله ما زال بصفاته قديما قبل خلقه
بأزلية صفات الله تعالى وصرحوا ببقائها بقولهم وكما كان
أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا وهم فقهاء ملة الإسلام
وهم أئمة الهدى السابقون لمن بعدهم فإن أبا حنيفة ولد
سنة ثمانين من الهجرة وأدرك نفرا من الصحابة وروى
عنهم وأفتى مع التابعين وناظر الشعبي وعطاء وطاوس
وهو أول من دون الفقه ووضع فيه كتبا ورتبه وقد
ضمن الله تعالى حفظ الشريعة وأمر بتعلمها والتفقه فيها
فيستحيل أن يضمن الله تعالى حفظ الشريعة ثم يكون المبتدي
بتدوينها على غير الحق بل يكون على الحق ويوفقه للصواب
ولذلك نجد من تصفح أصوله مبنية على البراهين الساطعة
والحجج القاطعة وإجماع الأمة الهادية وقد صرح هو
وأصحابه بأزلية صفات الله تعالى وبدوامها وبقائها وهو
مذهب أهل السنة والجماعة وقد ذكرنا بعض الأدلة السمعية

مولد أبي حنيفة رضي الله عنه وإدراك نفر من الصحابة

الصريحة الموجبة للعلم بثبوت صفات الله تعالى كقوله تعالى
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقوله انزله بعلمه وقوله
ان القوة لله ومما احتج ائمة الاصول لاثبات الاسماء
والصفات لله تعالى في الازل نصوص من الكتاب وهي
قوله تعالى وكان الله سميعا عليما وقوله وكان الله عزيزا حكيما
وقوله وكان الله عفوا قديرا وقوله وكان الله غفورا رحيما
قالوا هذه كلها وردت بلفظ الماضي فكان دليلا على
كونه تعالى موصوفا بها في الازل وقد تقدم اقامة البرهان
على كون هذه الاسامي مشتقة اشتقت منها صفات المدح
والكمال وان تعري ذاته تعالى في الازل عن شيء من
صفات الكمال محال

واما قولهم لم يزدد بكونهم

شيئا لم يكن قبلهم من صفة وكما كان بصفاته
ازليا كذلك لا يزال عليها ابديا فانما قالوا

فانما قالوا ذلك لما قامت البراهين العقلية والحجج السمعية
على انه تعالى قديم كامل فيستحيل ان يكون ذاته في القدم والازل
متعريا عن شيء من صفات المدح والكمال لما في ذلك من النقص
والنقص في حق القديم محال ولذلك قالوا لم يزدد بكونهم شيئا
لم يكن قبلهم من صفة لانه كامل في الازل غني بنفسه متعال
عن الحاجات فيستحيل ان تحدث له صفة لم تكن وان يستفيد
بايجاد العالم اسما او صفة لما في ذلك من ثبوت الحاجة
اذ الحاجة نقص ومن شرط القدم التبري عن النقائص
فوجب القول بتعاليه عن ذلك قال الله تعالى ان الله لغني
عن العالمين وقال يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو
الغني وقد تمدح تعالى بصفات الكمال والاسماء الحسنى
وتعبد خلقه بها فقال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ

المصورله الاسماء الحسنى فقوله هو الله الذي لا اله الا هو
فيه اثبات الوحدانية والالوهية لنفسه ونفي الالوهية
عما سواه وان كل معبود سواه فهو باطل وقوله الملك اي
الملك الذي له ملك كل شي ليس لاحد سواه حقيقة الملك
وقوله القدوس اي هو الطاهر الذي تقدس عما قالت
الملحدة فيه من الولد والشريك وسائر سمات الحدث والنقص
وقوله السلام قال بعضهم سمى نفسه سلاما لما
سلم المومنون به من عذابه وقال قايلون فيهم ابو منصور
سمى نفسه سلاما لما هو سالم من الافات والعيوب ومن
سواه من الموجودين لا يسلمون من حلول الافات وقوله
المومن قال قايلون اي يومن المومنون به من العذاب
فلا يمكن لاحد ان يومن احدا من عذابه وقيل معناه
يصدق المومنين بما قالوا اذ يقولون عن حجة وبرهان
وقوله المهيمن قال بعضهم هو القاهر وقال اخرون
هو الشاهد اي شاهد لما انزل على رسوله بالصدق وقوله

وقوله العزيز فيه وجوه احدها الغالب والثاني هو المنيع
وقيل هو الذي لا نظير له وقوله الجبار قال قايلون سمى
نفسه بذلك لانه هو المجبر لكل كسير وقال قايلون سمى
نفسه جبارا لجبروته وعظمته لما تعالى وتجبر عن ان
يكون له مثال واشكال وقوله المتكبر قال ابو منصور
هو من الكبرياء والعظمة ولا يليق لغيره هذا الاسم
لان الخلق بعضهم اكفاء بعض في الخلقة ولذلك لم يجز لاحد
منهم ان يتكبر على اخر اذ التكبر هو الارتفاع وهو ان لا يرى
غيره شكلا له ولذلك قبح في حق غير الله تعالى فلا يجوز
التكبر الا لله تعالى فسمى تعالى نفسه متكبرا اذ هو المتكبر
بذاته ولم يكن تكبره بغيره وقوله سبحان الله عما يشركون
قال ابو منصور رحمه الله التسبيح تنزيه وتنزيه الله
تعالى نفسه وتنزهها عن جميع ما قالت الملحدة والمبطلون
فيه من الاشراك في الذات كالمجوس والثنوية ومن الاشراك
في تسمية الالوهية واستحقاق العبادة كمشركي العرب

ومن الاشتراك في الصفات كصنيع اليهود حيث وصفوه
بالصورة والاستقرار على العرش وقوله تعالى هو الله الخالق
الباري المصور تمدح بهذه الاسماء التي تشتق منها صفات
الفعل كما تمدح بتلك الاسماء التي تشتق منها صفات
الذات من الوحدانية والالوهية والعظمة والجلال
فهذه النصوص حجة على نفاة صفات الذات والفعل
لما فيها من اثبات صفات المدح والكمال فوجب القول
بثبوتها له في الازل وهي حجة على الاشعرية في انكارهم
ازلية صفات الفعل من التخليق والتكوين والايجاد
والاحياء والاماتة ونحوها من وجهين احدهما انه تمدح
باثبات صفات الفعل لنفسه كما تمدح باثبات صفات الذات
والثاني انهم يقرون بازلية كلام الله تعالى وقد تمدح في الازل
بقوله هو الله الخالق الباري المصور وتأخر ظهور الاثر
عن المؤثر جائز وبالله التوفيق والعصمة

واما قولهم لبس منذ خلق الخلق استفاد

استفاد اسم الخالق والاباحة البرية استفاد
اسم الباري قال الامام ابو منصور
رحمه الله الخالق الباري بمعنى واحد يقال برأ اي خلق
والبرية الخليقة قال ابو حفص الغزنوي وانما كرر ابو حنيفة
واصحابه ذكر هذه الكلمة تأكيدا وتقريرا والمعنى في
ذلك انه تعالى لم يزل خالقا متصفا بصفة الكمال غير
متعر عن شيء من صفات الكمال والمدح اذ التعري
عن شيء منهما يوجب النقص عن ذلك والافتقار الى
حصوله بايجاد العالم فيتعالى الله عن ذلك

واما قولهم له معنى الربوبية

ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق
قال ابو حفص الغزنوي لم يريدوا استعدادا يتصور زواله
مع بقاء ذاته لانه حينئذ تكون الصفة غيره ولا يجوز
ان تكون صفة الله تعالى غيره لان حقيقة الغيرية

انما يتبين بزوال احدهما مع بقاء الآخر وذلك محال
في حق الله تعالى وصفته فلا يقال ان صفة الله تعالى
غيره فيكون الحاقا لصفته بصفات الخلق فيكون جعلا
لصفته عرضا اذ صفات الخلق اغيار لهم لكونها اعراضا
تعرض فيهم وتزول والله تعالى قديم بصفاته بلا ابتداء
دائم بكماله بلا انتهاء ولا يقال ان صفة الله هو لان فيه
تعطيل الذات وحاصل المعنى في ذلك انه خالق ولا
مخلوق ورب ولا مربوب لان الخلق معنى قائم بذاته
في الازل وان لم يكن مخلوق كما كان عالما في الازل
بالعالم قبل وجوده وكما كان قادرا في الازل ولا مقدور
وهذا على ما بينوه رحمهم الله من بعد بقولهم كما انه يحيي
الموتى بعد ما احيا استحق هذا الاسم قبل احيائهم
كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم قال الامام ابو منصور
رحمه الله في التاويلات كل صفة لله تعالى فهي ذاتية سواء
كانت ترجع الى الذات او ترجع الى الفعل عند اهل السنة
والجماعة

والجماعة لان لله تعالى فعلا ازليا كسائر صفاته من العلم
والقدرة والارادة ونحوها لانه متى لم يكن مستحقا
لاسم الخالق في الازل بمعنى قائم بذاته قبل وجود المخلوق
ثم صار موصوفا به لوجود المخلوق صار وصفه بالخالق
حادثا له بالمخلوق ولا شك ان وصفه بالخالق من
اوصاف الكمال فكان القول بتعريه عنه قولا بقيام
وصف النقص به والقديم تعالى عن ذلك ولانه
تعالى مدح نفسه بصفات الفعل بقوله هو الله الخالق
البارئ المصور له الاسماء الحسنى وقوله له الاسماء الحسنى
اي الصفات العلى اي لا يسمى بتلك الاسماء على التحقيق
الا هو اذ لا يقال لغيره على الاطلاق الرب ولا الرحمن
ولا المالك فثبت ان له معنى الخالق في الازل ولا مخلوق
وعلى زعم المعتزلة في الصفات الذاتية والفعلية وعلى
قول من تابعهم في صفات الفعل لا يتحقق له المدح الا
بعد حدوث المخلوق فيكون فيه اثبات الحاجة له الى

مَنْ بِهِ يَتَحَقَّقُ لَهُ صِفَاتُ الْمَدْحِ وَالْكَمَالِ تَعَالَى اللهُ عَنِ
الْحَاجَةِ لِأَنَّهُ عَلَى زَعْمِهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْمُ الْخَالِقِ قَبْلَ وُجُودِ
الْخَلْقِ فَصَارَ خَلْقُ الْخَلْقِ لِجَرِّ النَّفْعِ وَقَدْ وَصَفَ تَعَالَى نَفْسَهُ
بِصِفَةِ الْكَمَالِ وَعَدَمِ الْحَاجَةِ بِقَوْلِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
وَبِقَوْلِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ فَثَبَتَ أَنَّ مَا يَرْجِعُ إِلَى
صِفَاتِ الْفِعْلِ أَيْضًا أَزَلِيٌّ وَفِي قَوْلِهِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ
دَلَالَةٌ أَيْضًا عَلَى قِدَمِ التَّكْوِينِ وَسَائِرِ صِفَاتِ الْفِعْلِ
لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ
وَالْمِلْكُ عِبَارَةٌ عَنِ التَّصَرُّفِ بِالْمَشِيَّةِ وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ
الْفِعْلِ فَكَانَ هَذَا إِخْبَارًا مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي الْأَزَلِ أَنَّهُ
هُوَ الْمُتَصَرِّفُ يَوْمَ الدِّينِ لِوَقْتِ وُجُودِهِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ
وَهُوَ مَعْدُومٌ فِي الْأَزَلِ وَفِي هَذَا الْوَقْتِ وَفِي وَقْتِ النُّزُولِ
فَصَارَ هَذَا حُجَّةً عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَهُوَ عَلَى الْأَشْعَرِيَّةِ
أَلْزَمُ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ الْمُلْكَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّصَرُّفِ وَالْمُعْتَزِلَةُ
يَقُولُونَ إِنَّ الْمُلْكَ عِبَارَةٌ عَنِ الْقُدْرَةِ وَالْقُدْرَةُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ

هَرَبًا عَنْ هَذَا الْإِلْزَامِ وَإِنْ كَانُوا فِي التَّحْقِيقِ لَا يُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى
صِفَةً أَصْلًا لَا ذَاتِيَّةً وَلَا فِعْلِيَّةً وَإِنَّمَا الصِّفَةُ عِنْدَهُمْ
هِيَ وَصْفُ الْوَاصِفِ لَا غَيْرُ وَلِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوصَفُ
بِأَنَّهُ جَوَادٌ لَمْ يَزَلْ سَمِيعٌ لَمْ يَزَلْ وَبَصِيرٌ لَمْ يَزَلْ وَإِنْ كَانَ مَا يَقَعُ
عَلَيْهِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْجُودُ مَعْدُومًا وَكَذَا يُوصَفُ
بِأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْأَزَلِ وَإِنْ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ تَحْدُثُ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ لِمَا أَنَّهُ يُوصَفُ بِذَلِكَ الْوَقْتِ وُجُودَ الْأَشْيَاءِ
فَكَذَلِكَ فِي صِفَاتِ الْفِعْلِ يَجِبُ أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ فِي الْأَزَلِ

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

فَقَوْلُهُمْ ذَلِكَ لَفْظَةُ إِشَارَةٍ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الْإِحْيَاءِ
وَالْإِمَاتَةِ وَسَائِرِ الصِّفَاتِ يَعْنُونَ أَنَّهَا تُوجِبُ صِفَاتِ
الْمَدْحِ وَالْكَمَالِ فَيَجِبُ الْقَوْلُ بِثُبُوتِهَا لَهُ فِي الْأَزَلِ وَقَوْلُهُمْ
بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَعْنُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ
فِي الْأَزَلِ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْأَشْيَاءُ مَوْجُودَةً

في الأزل فكذلك يجب أن يكون موصوفاً في الأزل بسائر
صفات المدح من التخليق والتكوين والإحياء والإماتة
لأنه قديم ومن شرط القدم ثبوت الكمال فيجب القول بأنه على
كل شيء قدير

وأما قولهم وكل شيء إليه فقير

معناه فقد افتقر كل شيء إليه في تكونه ووجوده فصار
كل شيء كائناً وموجوداً بتكوينه وإيجاده ثم افتقر
كل شيء إليه في قوامه وبقائه فهو الذي أخرج كل شيء إليه

وأما قولهم ولا يحتاج إلى شيء

فمعناه أنه تعالى قديم ومن شرط القدم التبري
عن النقائص والحاجة نقص فتعالى عن مساس
الحاجة وبكمال الاستغناء وصف نفسه
وهو قوله تعالى إن الله لغني عن العالمين وأما قولهم

وأما قولهم عقيب نفي الحوائج عنه

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فإنما ذكروه لأنه نص محكم لا احتمال فيه وهو شامل
لنفي جميع سمات المحدثين وصفات المخلوقين عن الله
تعالى ومثبت لصفات المدح والكمال وعلى إثبات
موجبه قامت الحجج والبراهين قال القاضي أبو حفص
الغزنوي قولهم رحمهم الله له معنى الربوبية ولا مربوب
ومعنى الخالق ولا مخلوق كما أنه يحيي الموتى بعدما أحيا
استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق
قبل إنشائهم هذا منهم إثبات لقدم صفات الذات
والفعل لله تعالى وهو مذهب أهل السنة والجماعة
وذكر سيف الحق أبو المعين رحمه الله في أصوله إجماع
أهل الحق على إثبات صفات الذات والفعل جميعاً
وقالت الكلابية والقلانسية والأشعرية إن جميع

ماهو من صفات الفعل فهو حادث وقالوا ايضا ان التكوين
والمكوّن واحد وحجة اهل الحق على كون صفات الفعل
ازلية قائمة بذات الله تعالى كصفات الذات وان التكوين
غير المكوّن قول الله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون فالله تعالى عبّر عن التكوين بكن
وعن المكوّن بقوله فيكون وكذى عبّر عنه بالشيء بحقيقة
ان خطاب كن غير المكوّن عند الاشعري وغيره من
المتكلمين هو ان كلام الله تعالى عندنا وعنده صفة
ازلية قائمة بذات الله تعالى والمكونات جواهر واعراض
حادثة غير قائمة بذات الله تعالى ولا شك في ثبوت
التغاير بين الازلي والحادث وبين ما هو صفة قائمة
بذات الله تعالى وبين ما ليس بصفة قائمة بذات الله
تعالى والتكوين ما يتعلق به المكوّن والايجاد ما تعلق به
الوجود وقد تعلق وجود العالم بخطاب كن فيكون
هو ايجاده او تكوينه وخلقه وهو غير المكوّن الموجد المخلوق وان

وان العالم خلق به فاذا سلموا ان وجود العالم وتكونه
حصل به فكان تكوينا وتخليقا فمن اعطى الحقيقة ثم
انكر الاسم كان مناقضا وعدّ المتكلمون هذا من مناقضات
الاشعري قال سيف الحق رحمه الله وهذا لعمري افحش
مناقضة فانه ينفي التكوين ثم يثبته ولو لم يكن هذا تناقضا
فلا تناقض في عالم الله تعالى وكل شبهة للاشعرية اوردوها
من شبههم السمعية والعقلية في اثبات حدوث التكوين
وفي جعل التكوين والمكوّن واحدا فانها تبطل بهذا
تحقيقه انه ما من كتاب من كتب الاشعري او احد من
اصحابه تكلموا فيه على المعتزلة في اثبات ازلية كلام
الله تعالى الا وقد تعلقوا بهذه الآية وقالوا ان الله تعالى
اخبر انه خلق المخلوقات بخطاب كن فلو كان خطاب كن
مخلوقا لاحتاج الى خطاب آخر وكذى الثاني الى الثالث
الى ما لا يتناهى فدل ان الكلام غير مخلوق واذا كان الامر
كذلك ثبت انهم اثبتوا لله تعالى صفة ازلية يتعلق به

حدوث العالم وهذا هو التكوين والإيجاد والخلق
عند القائلين به وهذا ظاهر لا محيص عنه لمن أنصف
ولم يكابر ثم لنا دلائل أخر كافية معجزة للخصوم
إذا أنصفوا ولم يكابروا ولنا من الحجج العقلية أن نقول
وبالله التوفيق أجمع المسلمون على أن خالق العالم هو
الله تعالى ولا شك أن الخالق وصف منا لله تعالى لا بد
من وجود معنى يكون به خالقا ثم عند من يخالف أهل
الحق في هذه المسئلة لم يكن من الله تعالى إلى العالم
معنى يتصف هو بكونه خالقا والعالم بكونه مخلوقا
إذ المعنى الذي به يكون العالم مخلوقا لو كان لكان هو الخلق
والإيجاد وذلك عند المخالفين هو عين الموجد المخلوق
لا قائم بذات الله تعالى فإذا كان وجود العالم بالعالم
لا بالله تعالى إذ لم يكن منه إليه معنى يوجد به لأن إيجاد
الأشياء بالتكوين وعندهم التكوين هو المكون نفسه فيكون
تكوين السماء هو السماء وكذي خلق كل شيء هو نفس ذلك

ذلك الشيء فلم يكن إلى العالم منه تعالى معنى سوى أنه
أقدم من العالم ووجود شيء أقدم من شيء لا يجعل من هو
أقدم منه خالقا له إذا لم يكن منه إليه معنى يكون به
خالقا كتكوين زيد بعد عمرو لا يجعل عمرو خالقا
لزيد وإن كان أقدم منه إذا لم يكن منه إليه صنع وكذي
وكذي القدرة لا توجب كون القادر فاعلا إذا لم يتصل
بها الفعل ألا ترى أنه تعالى في الأزل كان قادرا ولم
يكن المقدور موجودا لما لم يتصل به الفعل فلم يكن
عند هؤلاء وجود العالم بالباري بل كان وجوده
بنفسه وما كان وجوده بنفسه لا بغيره فهو قديم فبكو
قولهم قولا بقدم العالم وقد تعلق الخصم بشبه سمعية
منها قوله تعالى هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين
من دونه فقال استدل سبحانه على توحيده بالألوهية
بأفعال وأطلق عليها اسم الخلق فدل أن الخلق مخلوق
ومنها قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض إلى قوله

وَيتفكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ
هَذا باطِلاً قالَ انَّهُ تعالى جَعَلَ فِي خَلْقِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ
وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ آياتٍ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ لِذَوِي
الْعُقُولِ لِيَسْتَدِلُّوا بِما فِيها مِنْ عَلاماتِ الْحُدُوثِ وَإِنَّما
يَسْتَدِلُّ عَلى ذَلِكَ بِمَفْعُولاتِهِ لا بِصِفاتِهِ الَّتِي هِيَ
غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ لَنا وَما دَلَّ عَلَى الصَّانِعِ فَهُوَ مَصْنُوعُهُ فَدَلَّ أَنَّهُ
أَرادَ بِهِ مَفْعُولاتِهِ وَسَمّاها دَلَّ أَنَّ الْخَلْقَ مَخْلُوقُ الْجَوابُ
عَنْ ذَلِكَ قالَ سَيْفُ الْحَقِّ رَحِمَهُ اللهُ أَمّا قَوْلُهُ هَذا خَلْقُ اللهِ
فَأَرُونِي وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الآياتِ فَنَقُولُ لِلْخَصْمِ ما أَنْكَرْتَ
عَلى مَنْ يَقُولُ لَكَ إِنَّ الْمُرادَ بِقَوْلِهِ هَذا خَلْقُ اللهِ وَغَيْرُ
ذَلِكَ مِنَ الآياتِ هَذا مَخْلُوقُ اللهِ إِذْ لا وَجْهَ لَكَ إِلى إِنْكارِ
جَوازِ إِقامَةِ الْمَصْدَرِ مَقامَ الْمَفْعُولِ فِي اللُّغَةِ كَما فِي الْعِلْمِ
وَالْقُدْرَةِ حَيْثُ يُذْكَرُ الْعِلْمُ وَيُرادُ بِهِ الْمَعْلُومُ وَكَذا
فِي الْقُدْرَةِ فَإِنْ قُلْتَ هَذا مَجازٌ وَلا يُصارُ إِلَيْهِ إِلّا بِدَلِيلٍ
قِيلَ لَكَ إِنَّ عَلى قَوْلِكَ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي الْحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ ما

كانَ مُحْتَمِلاً لِلْمَجازِ لا يَكُونُ مُوجِباً لِلْعِلْمِ قَطْعاً فَلا يُحْتَجُّ
بِهِ فِي الْمَسائِلِ الاعْتِقادِيَّةِ إِلّا بِدَلِيلٍ مُوجِبٍ لِلْعِلْمِ قَطْعاً
وَيَقِيناً فَلا وَجْهَ لَكَ إِلى التَّعَلُّقِ بِهَذِهِ الآياتِ وَبِنَظائِرِها
الْمُحْتَمِلَةِ لِلْمَجازِ فِي مَحَلِّ النِّزاعِ إِلّا إِذا أَفَدَتِ الدَّلالَةَ عَلى نَفْيِ
احْتِمالِ الْمَجازِ وَلا دَلالَةَ عَلى ذَلِكَ مَعَكَ ثُمَّ نَحْنُ نُقِيمُ الدَّلالَةَ
عَلى أَنَّ الْمُرادَ مِنَ الآياتِ هُوَ الْمَخْلُوقُ دُونَ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ
الصِّفَةُ بِطَرِيقِ الْمَجازِ وَحَمْلُ الْكَلامِ عَلَى الْمَجازِ جائِزٌ
بِالدَّلِيلِ فَمِنَ الدَّلائِلِ ما أَفَدَتِ الدَّلالَةَ السَّمْعِيَّةَ الَّتِي لا مَجالَ
لِلشُّبْهَةِ فِي إِبْطالِ الاحْتِجاجِ بِها عَلى ما سَبَقَ ذِكْرُهُ وَقَدْ أَفَدْنا
الدَّلائِلَ الْعَقْلِيَّةَ الْمُوجِبَةَ لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ وُجُودِ مَعْنًى
يَكُونُ اللهُ تَعالى بِهِ خالِقاً وَهُوَ التَّخْلِيقُ وَالإِيجادُ
وَأَمّا قَوْلُ الْخَصْمِ وَإِنَّما يَسْتَدِلُّ عَلَى الصّانِعِ بِمَفْعُولاتِهِ
لا بِصِفاتِهِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ لَنا فَالْجَوابُ عَنْهُ
أَنْ نَقُولَ لَمّا كانَ الْمَفْعُولُ الْمَرْئِيُّ دالّاً أَنَّ فاعِلاً فَعَلَهُ كانَ
دالّاً عَلى فِعْلِهِ فَيَصِيرُ فِعْلُهُ مَعْلُوماً لِدَلالَةِ مَفْعُولِهِ ثُمَّ فِعْلُهُ

يدل على الفاعل اذ لا فعل يتصور بدون الفاعل فكانت
دلالة المصنوع المخلوق على صنع الصانع اذ هذا دلالة
الاثر على المؤثر والعالم اثر فعله لا اثر ذاته ثم الفعل المدلول
عليه يدل على الفاعل فكانت الدلالة على الذات في خلق
السماء لا في نفس السماء بل دلالة نفس السماء على الفعل على
ما قررت فكانت فائدة ذكر الخلق هذا وبالله العصمة
وقول الخصم وما دل على الصانع فهو مصنوعه قال سيف الحق
رحمه الله هذا ممنوع بل ما دل على الصانع فهو صنعه
وما دل على الصنع فهو المصنوع فكانت دلالة المصنوع
على الصانع بواسطة دلالته على الصنع واستدل بعض
الاشعرية لما تمسكوا به من القول بحدوث صفات
الفعل فقال ان الفقهاء اجمعوا ان من حلف بصفة من
صفات الذات انعقد يمينه ولو قال وخلق الله
لا افعل لا يكون يمينا قال سيف الحق رحمه الله هذا
منه لجهله بمذاهب خصومه في الفقه فان محمد بن الحسن در

ذكر في كتاب الايمان من المبسوط انه لو قال وعلم الله لا يكون
يمينا ولا خلاف ان العلم من صفات الذات ومع ذلك
لم يجعله يمينا لما ان المتعارف كان عندهم ان العلم يذكر
ويراد به المعلوم ومن المعلومات ما لا يحصى كثرة لا ينعقد
بها الحلف فلم يجوز لهذا حتى انه لو قال اردت به العلم
الذي هو صفة الله تعالى كان يمينا فكذا اذا قال وخلق الله
لان الخلق يذكر ويراد به المخلوق بل المتعارف هذا هو على
ما قررنا فلم ينعقد اليمين به لهذا حتى انه لو قال عنيت به
صفة الله تعالى ينعقد يمينه كذا فسر مشايخنا هذه
المسائل فكان التعلق بمثل هذا جهلا محضا وعلى ذلك
قول الناس ان الله تعالى خالق الخلق وقولهم اللهم ارحم
هذا الخلق وقولهم ان الخلق غير الله فالخلق في هذا كله
على ارادة المخلوق لا على ارادة الخلق الذي هو صفة الله
تعالى وقد استدل بعض الاشعرية على ان الخلق ليس
معنى زائدا على المخلوق بقول اهل اللغة فقال قال سيبويه

حدّ الفعل أخذت من لفظ أحداث الأسماء مثل قولك
ضرب يضرب فاضرب وقالوا الأفعال على ثلثة أقسام
ماض ومستقبل وفعل أمر ثم قال هذا المستدل
أيضا إن الفعل على ضربين لازم ومتعدي ثم عندهم المفعول
على الحقيقة هو المصدر ثم يقولون مفعول به ومفعول
له ومفعول فيه ومفعول معه ولا يزيدون على ذلك
وما أخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول فدل ذلك
على ما قلنا فالشيخ الحق أبو المعين رحمه الله
يجيب له هذا الرجل تعاطى صناعة نظر إليها من وراء
الجبال لا من وراء الجدار ولو عرف مواضعات أهل
النحو ما اشتغل بمثل هذا الكلام الدال على خلوه عن هذه
الصناعة فنقول أولا أكل ما أطلقه سيبويه
صحيح مأخوذ به فإن قال لا أبطل احتجاجه وإن قال نعم
قيل له إن سيبويه أثبت للعباد فعلا فإنه قال في قوله
ضرب زيد ارتفع بفعله فلم زعم صاحبكم الأشعري أن

أن لا فعل في الحقيقة إلا لله تعالى وخالف سيبويه
ثم قال حد الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء
وأراد بالأحداث المصادر سماها أحداثا لأنها تحدث
في رأي العين من الفاعلين وأضاف الأحداث إلى الأسماء
وأراد به الذوات التي تحصل منها الأفعال الحقيقية
التي هي عندهم المصادر وسماها الأسماء لأن الاسم
عبارة عن المسمى وهذا مارده عليه أبو العباس المبرد
وقال هذا خطأ لأن المصادر من المسميات لا من
الأسماء وأهل الصناعة قالوا الصحيح ما ذهب إليه
سيبويه لأنه عنى بالأسماء المسميات دون التسميات
كما هو مذهب أهل السنة أن الاسم والمسمى واحد
ثم إن صاحبكم الأشعري لم يقبل من سيبويه قوله إن الاسم
هو المسمى ولا من أبي عبيدة إذ روي عنه هذا بل خالف
جميع من تقدمه وقال إن الاسم هو الصفة وإذا كان
هو خالف سيبويه في هذا كله كيف الزمتم خصومكم

الأخذ بقوله قال سيف الحق رحمه الله ثم نقول له ان
الفعل عند النحويين هو ينقسم الى قسمين تعريف وتكليف
ونعني بالتعريف الاخبار وهو ينقسم انقسام الازمنة
وهو الماضي كقولك ضرب امس والقائم وهو الحال
كقولك يضرب والآتي كقولك سيضرب والتكليف
ينقسم الى ايجاب وهو الامر والى منع وهو النهي وهذا
كله من اقسام الكلام ولهذا يقال في اقسام الكلام
انه خبر واستخبار وامر ونهي فان كنت اخذت بقول
اهل اللغة ففعل الله اذا كلامه وكلامه ازلي ونسأ عدنا
فكان فعل الله ازليا ولو كان الفعل حادثا لكان
الكلام حادثا وان لم تقبل هذا من اهل اللغة بطل الزامك
ثم الفعل عندك وعند المتكلمين ما هو المصدر
عند اهل اللغة وهم لا يعدون ذلك فعلا بل يعدونه
اسما ولهذا اختص بعلامات وهي لام التعريف او التنوين
او الاضافة دون علامات الافعال وهي قد وسوف فاذا

الكلام وهو

فاذا ما هو الفعل عندهم ليس بفعل بلا خلاف وما هو الفعل
عند المتكلمين ليس بفعل عند اهل اللغة فكيف نلزم خصمك
الاخذ بقولهم قال سيف الحق رحمه الله ثم قوله
ان عندهم المفعول في الحقيقة هو المصدر ثم يقولون
مفعول به ومفعول له ومفعول فيه ومفعول معه ثم قال
وما اخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول وهذا من اوله
الى آخره كلام فاسد متناقض فانه حكى عنهم في اول
كلامه الفصل بين الفعل والمفعول ثم قال في آخر كلامه
وما اخذ منهم الفصل بين الفعل والمفعول وهذا هو التناقض
الظاهر وقع فيه لجهله بمواضعات اهل اللغة وبيان
ذلك فان قوله ان عندهم المفعول في الحقيقة هو المصدر
هذا شيء يقوله البصريون وخالفهم فيه الفراء فقال ان
المصدر ليس بمفعول بل هو فعل والمفعول به الفعل فلم يكن
هذا مقبولا من البصريين مع مخالفة الفراء اياهم وهو من
رؤساء اهل الكوفة ثم نقول المفعول عندهم ليس ما هو المفعول حقيقة

وكذا الفاعل وكذي الفعل فانك اذا قلت لم يضرب زيد
عمرو اكان زيد عندهم فاعلا وعمرو مفعولا ولو قلت
مات خالد وطال الغلام واسود الشعر كان ارتفاع كل اسم
من هؤلاء لكونه فاعلا ولم يوجد من احد من هؤلاء فعل
البتة لكن الفاعل عندهم ما اسند اليه وجدت عنه
ماهو الفعل في صناعتهم فيعد فاعلا وما لم يجدت عنه
ولم يسند اليه كان مفعولا وان لم يقع عليه فعل ما فكان
المصدر عند البصريين مفعولا مطلقا على مقتضى صناعتهم
لا ان يكون مفعولا حقيقة كما لو قلت عبدت الله تعالى
كان انتصاب قولك الله لما ذكرنا وكذي لو قلت لم تعبد
الله تعالى ولبست حقيقة الفعل واقعة عليه تعالى الله
عن ذلك فاذا ماهو الفعل عند المتكلمين كان مفعولا
عند البصريين من اهل اللغة وشيء من هذا لا يتصل بما نحن
فيه فكان التعلق هذا تلبيسا ظاهرا وبالله المعونة
قال الشيخ الامام الاجل العالم نجم الملة والدين ابده الله ودار

وذكر القاضي ابو حفص الغزنوي في شرحه لعقائد فقهاء
الملة رحمهم الله قد توهم طائفة من الناس ان القول بقدم
صفات الفعل يودي الى القول بقدم المخلوق وهذا
غلط منهم فان الخلق والتخليق والتكوين والايجاد
صفات للخالق دون المخلوق وانما المخلوق يكون مخلوقا
بخلق الله تعالى لان المخلوق يكون بالخلق الذي هو تكوين
الخالق فيكون الخلق اولا والمخلوق ثابتا فبطل ما توهموا
لثبوت تاخر المخلوق عن الخلق ولا يستنكر ان يكون المؤثر
يظهر تاثيره في الحال بلا فصل او مع فصل مدة وهو
اعني المصنوع في الحالين اثر فعل الصانع فاذا اتضح كون المحدثات
في الاوقات التي سبق في علم الله تعالى وجودها فيها
بايجاده وخلقه الذي هو صفة قديمة فكان صفة
الخلق قديمة مع انتفاء قدم المخلوق كثبوت قدم العلم
مع انتفاء قدم المعلومات المعدومة وثبوت قدم القدرة
مع انتفاء قدم المقدورات وذكر سيف الحق ابو المعين

بلغ

رحمه الله قول بعض من دفعته الحيرة والافلاس عن الحجة
ممن كان في سني اربعماية من الهجرة بان قال ان القول
بقدم صفات الفعل قول حادث فقال سيف الحق في كتابه
هذا قول باطل صدر عن الجهل بمذاهب السلف وذلك
ان ابا جعفر الطحاوي رحمه الله وهو ممن لا تخفى درجته
وعلو رتبته في معرفة اقاويل سلف الامة على العموم ومعرفة
اقاويل اصحاب ابي حنيفة رحمه الله على الخصوص قال في
كتابه المسمى بالعقايد الذي افتتحه فقال صح عندي من
فقهاء الملة ابي حنيفة النعمان بن ثابت وابي يوسف
يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني
رحمهم الله ثم شرع في بيان اقاويلهم الى ان قال ما زال
بصفاته قديما قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم
من صفته ثم قال له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى
الخالق ولا مخلوق واراد بقولهم قبل خلقه اي قبل
مخلوقاته ثم قال وان قولا كان ابو حنيفة وكبار اصحابه قايلين

قايلين به مع تبحرهم في انواع العلوم وتقدم زمانهم حتى
عرف ذلك عوام اهل الاسلام فضلا عن خواصهم لعلم
ظاهر على جهالة من نسب ذلك الى حدوث العهد
بعد اربعماية من الهجرة ثم ان ايمة اصحاب ابي حنيفة السالكين
طريقته في الفروع والاصول المتجنبين عن الاعتزال
الذابين عن حريم الدين كلهم كانوا في قديم الزمان وكذي
ايمتنا بسمرقند الجامعون بين علم الاصول والفروع كانوا
على هذا الراي من لدن الشيخ ابي بكر احمد بن اسحاق ابن صبيح
الجوزجاني صاحب ابي سليمان الجوزجاني تلميذ محمد بن
الحسن وكان في انواع العلوم في الذروة العالية ومن راى
تصانيفه ككتاب الفرق والتمييز وكتاب التوبة
وغيرهما يعرف جلالة قدره ومن كان صاحب محمد بن
الحسن صاحب ابي حنيفة كيف يكون ناشيا حتى يتعرض
لهم بالنشو من كان بعد اربعماية سنة ثم تلميذه الشيخ ابو نصر
احمد بن العباس المتصل نسبه بسعد بن عبادة الانصاري

سبيل الخزرج وكان في العلوم بحرا لا يدرك قعره إماما في
الفروع والأصول وهو أبو نصر أحمد العياضي الذي استشهد
في ديار الترك في أيام نصر بن أحمد بن أسد بن سامان الكبير
ومن نظر في كتابه المصنف في مسئلة الصفات وما أتى به
فيه من الدلائل على صحة قول أهل الحق وبطلان قول
المعتزلة والبخارية عرف تبحره في ذلك وحكي أنه لما
استشهد خلف أربعين رجلا من أصحابه كانوا من أقران
أبي منصور الماتريدي والشيخ الحكيم أبي القاسم السمرقندي
ثم أبناه الإمامان أبو أحمد وأبو بكر العياضيان كانا على
هذا المذهب حتى قال الشيخ أبو حفص العجلي البخاري
وكان صدر ما وراء النهر وهو حافد الشيخ أبي حفص الكبير
الدليل على صحة مذهب أبي حنيفة قدس الله روحه
أن أبا أحمد العياضي يعتقد مذهبه وعن الشيخ أبي القاسم
الحكيم فإما خرجت خراسان وما وراء النهر منذ مائة
سنة مثل الفقيه أبي أحمد العياضي علما وفقها ولسانا وبيانا

وبيانا ونزاهة وتقى وكذلك أخوه أبو بكر العياضي كان
يداني في أنواع العلوم وسائر خصال الشرف وهو الذي
أوصى أهل سمرقند عند انقضاء أجله أن يتمسكوا بمذهب
أهل السنة ويتجانبوا الأهواء خصوصا الاعتزال وجمع
المسائل العشر التي هي أصول المسائل الخلافية بين
وبين المعتزلة قال سيف الحق رحمه الله وقبل هذه الطبقة
كان القاضي أبو عبد الله محمد بن أسلم بن سلمة بن عبد الله
بن المغيرة بن عمرو بن عوف بن حاضر الأزدي وكان
على قضاء سمرقند في أيام نصر بن أحمد الكبير توفي في
شهر ربيع الآخر من شهور سنة ثمان وستين ومائتين
ومن هذه الطبقة بسمرقند أبو بكر محمد بن اليمان السمرقندي
صاحب كتاب معالم الدين وكتاب الاعتصام وغيرهما
من الكتب في الكلام وله كتاب الرد على الكرامية من
وقف عليه عرف تبحره وجلالة قدره في العلم بأصول
الدين وبعد هؤلاء الفقيه أبو سلمة محمد بن محمد صاحب

جمل اصول الدين وكان تخرج على ابي احمد الصباغي واخذ
منه الفقه والكلام والشيخ ابو الحسن الرستغفني
صاحب كتاب ارشاد المهتدي وكتاب الزوائد والفوائد
في اصناف العلوم قال سيف الحق رحمه الله ولو لم يكن
فيهم الا الامام ابو منصور الذي غاص في بحور العلوم فاستخرج
دررها واتى بحجج الدين فزين بفصاحته وغزارة علومه
غررها لكان كافيا وعن ثلث مذهب كان هو عليه
لذوي العقول والدين زاجرا وقال غير سيف الحق
في وصفه ان ابا منصور الماتريدي من اجلة اوتاد الملة
واعلام الامة وقد اجتمع عنده من العلوم الملية والحكمية
ما صار به علما مشهورا من اعلام الهدى يعرف به الغاوي
من المهتدي في لحن القول لا يستطيعه اهل الاهواء
خصوصا اهل الاعتزال حتى كانت المعتزلة يلقبون
اهل السنة به وينسبون سالكي طريقة ابي حنيفة في
العقائد والاصول اليه فيقولون هؤلاء الماتريدية لسد

لشدة ما بغضهم شأنه وقوة انتصاره لمذهب السنة
والجماعة بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة ولدحضه
شبهات الخصوم ومن كتبه كتاب التوحيد وكتاب المقالات
وكتاب رد اوايل الادلة للكعبي وكتاب بيان وهم المعتزلة
وكتاب تاويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه في فنه
كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن
وله كتب شتى قال سيف الحق رحمه الله ولو استقصيت
في ذكر من كان على هذا المذهب من الائمة وابنت عن جلالة
اقدارهم وتبحرهم في اصناف العلوم لطال الكتاب
واكثر من ذكرت من هؤلاء كانوا ما نوا قبل ثلثمائة وكان
وفاة الاشعري في سنة اربع وعشرين وثلثمائة وتوفي
الشيخ ابو منصور بعد وفاة الاشعري بقليل ومات
اكثر هؤلاء الائمة قبل الاشعري بزمان طويل فكيف يرد
القول ممن كان بعد سني ثلثمائة او بعد سني اربع مائة من الهجرة
بحدوث العهد لما كان عليه اولئك السلف المتقدمون

وكيف يقبل ما انفرد به الاشعري من الاقاويل مثل هذه الوقاحة
والجهل بمذاهب السلف وعلى خلاف اجماع الامة الهادية
ولولا التعنت والافلاس عن الحجة ثم قال سيف الحق
ابو المعين رحمه الله في كتاب تبصرة الادلة هذا مع ان
اكثر رجال الصوفية الذين كانت بحور علومهم زاخرة
وكراماتهم فيما بين الخلق ظاهرة كانوا على هذا المذهب
يعني به اثبات ازلية صفات الذات والفعل جميعا ذكر هذا
عنهم الشيخ العالم ابو بكر بن اسحاق البخاري الكلاباذي فيما
حكي من مذهبهم وعقيدتهم في كتابه المسمى بالتعرف وهو
الموثوق به فيما يروي العدل فيما يحكي قال الشيخ
الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله وقد وقفت على
كتاب التعرف المذكور وعلى اسامي اولئك الاعيان من
الاولياء العارفين وعلى اقاويلهم في التوحيد والصفات
على وجه تقوم به البراهين والحجج وتدل على تحقيق الولاية
وشمول الكرامات الظاهرة لهم ببركة صحة عقيدتهم في

في توحيد الله تعالى وصفاته وقد ذكرت ههنا بعض
الاعلام منهم قال الشيخ العالم العدل ابو بكر بن ابي اسحاق
فممن نطق بعلومهم ووصف احوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة
رضي الله عنهم علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي
الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق واويس القرني والحسن
ابن ابي الحسن البصري وممن ذكرهم هناك ايضا مالك بن دينار
وعبد الواحد بن زيد وابرهيم بن ادهم والفضيل بن عياض
وداود الطائي وسفيان بن سعيد الثوري وابو الفيض
ذو النون المصري والسري السقطي ومعروف الكرخي
ومن اهل خراسان والجبل ابو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي
وسهل بن عبد الله التستري وممن نشر علوم الاشارة ابو
القاسم الجنيد محمد بن جنيد البغدادي وابو بكر الشبلي
وابو الحسين احمد بن عبد الصمد النوري وابو سعيد احمد بن
عيسى الخراز المصري ويقال له لسان الصوف قال
وممن صنف في المعاملات ابو عبد الله خبيق ويحيى بن معاذ

است بر مشايخ العظام رحمة الله عليهم

الرازي وابو القاسم اسحاق بن محمد الحكيم السمرقندي ثم قال
الشيخ رحمه الله عقيب ذكر اساميهم هؤلاء هم المذكورون
المشهورون بالفضل الذين جمعوا علوم المواريث الى علوم
الاكتساب سمعوا الحديث وجمعوا الفقه والكلام
واللغة وعلم القرآن تشهد بذلك كتبهم ومصنفاتهم
ثم شرح الشيخ العدل رحمه الله في شرح اقاويلهم في التوحيد
فذكر انهم اجمعوا على ان الله تعالى واحد فرد صمد قديم
عالم قادر حي سميع بصير الى ان قالوا انه تعالى موصوف
بكل ما وصف به نفسه من صفاته مسمى بكل ما سمى به نفسه
لم يزل قديما باسمائه وصفاته الى ان ذكر قولهم في الصفات
فقال اجمعوا ان لله تعالى صفات على الحقيقة هو بها
موصوف من العلم والقدرة والقوة والعز والحلم والحكمة
والكبرياء والجبروت والجبروة والقدرة والمشيئة
والارادة والكلام الى ان قالوا انه لا يجوز ان يحدث
لله صفة لم يستحقه فيما لم يزل وانه لم يستحق اسم الخالق لخلقه

الخلق ولا باحداث البرايا استحق اسم البارئ ولا
بتصويره الصور استحق اسم المصور الى ان قالوا ان الله تعالى
لم يزل خالقا باريا مصورا غفورا رحيما وكذلك جميع صفاته
التي وصف بها نفسه يوصف بها كلها في الازل كما يوصف
بالعلم والقدرة والكبرياء والقوة كذلك يوصف بالتكوين
والتصوير والتخليق والارادة وذلك انه لما ثبت انه سميع
بصير قادر خالق باري مصور وانه مدح له فلو استوجب
ذلك بالمخلوق والمصور والمبروء لكان محتاجا الى الخلق
والحاجة امارة الحدث وروي عن بعض نقلة الآثار
انه وقف على باب دار القضاة بالكوفة فقال لقد خرج
من هذه الدار سبعون قاضيا وهم على مذهب ابي حنيفة
وهم يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق وذكر القاضي
الامام ابو العلاء صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد من
تصنيفه فقال روي عن عبد الملك بن الشوارب انه
اشار الى قصرهم العتيق بالبصرة فقال قد خرج من هذه الدار

وهذا القصر سبعون قاضيا على مذهب ابي حنيفة رضي الله
عنه كلهم كانوا يرون اثبات القدر وان الله تعالى خالق
الخير والشر ويروون ذلك عن ابي حنيفة وابي يوسف
وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن واصحابهم ويروي
هؤلاء القضاة عن ابي حنيفة واصحابه الذين سميناهم
ان من يقول ان الله تبارك وتعالى خلق الخير ولم يخلق
الشر ولم يقدرهما جميعا فهو مبتدع لا يصلى خلفه
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله تعالى
قد ثبت عند علماء الامة وحفاظهم والعارفين بمذاهب
السلف ان من انتمى الى ابي حنيفة ولم يثبت قدم صفات
الذات والفعل جميعا ولم يثبت ازلية كلام الله تعالى
ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليس هو من مذهب ابي
حنيفة في شيء وذكر القاضي ابو العلا صاعد رحمه الله
في كتاب الاعتقادات شيئا من اصول ابي حنيفة فمن ذلك
قال ابو العلاء روى عن حماد بن ابي حنيفة عن ابيه رضي

رضي الله عنه انه قال ما الامر الا ما جاء به القرآن ودعا
اليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه اصحابه رضي
الله عنهم حتى تفرق الناس فاما ما سوى ذلك فمبتدع
محدث وذكر ايضا فقال روى عن ابي مطيع قال قلت
لابي حنيفة رحمه الله اخبرني عن الايمان فقال نشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد بملائكته وكتبه
ورسله وجنته وناره وقيامته وخيره وشره ونشهد
انه لم يفوض الاعمال الى احد والناس صائرون الى ما خلوا له
والى ما جرت به المقادير وذكر ايضا فقال روى عن
محمد بن الحسن رحمه الله انه سئل ما كان ابو حنيفة يقول
في باب القدر قال سمعت ابا يوسف يقول كنت عنده
جالسا اذ جاءه رجل من ناحية البصرة فقال يا ابا حنيفة
تثبت القدر فقال كيف لا اثبت القدر وقد ثبته
الله تبارك وتعالى فقال انا كل شيء خلقناه بقدر فما بقي
في العالم شيء الا وهو داخل فيه ه

وأما قولهم وقدر لهم أقدارا

قال أقضى القضاة أبو حفص العزنوي هذا منهم إثبات أن
كل شيء يجري في الخلق وهو بتقدير الله تعالى قال سيف الحق
رحمه الله في أصوله ثم القدر على وجهين أحدهما الحد
الذي يخرج عليه كل شيء على ما جعله عليه من خير أو شر
من حسن أو قبح من حكمة أو سفه وهو تفسير الحكمة
أن يجعل كل شيء على ما هو عليه ويقدر كل شيء على ما هو
البين به متى أوجده على ما يقتضي الحكمة وجوده عليه كان
حكيما ولهذا قال أهل الحق أن خلق فعل الكفر ليس بسفه
وإنما يكون سفيها من يقصد تحصيل السفه حكمة وتحصيل
القبيح حسنا فأما إيجاد ما هو حسن حسنا وما هو قبيح
قبيحا يكون حكمة لا سفها كالإخبار بالشيء على ما هو به
يكون صدقا والوجه الثاني القدر هو بيان ما يقع عليه
كل شيء من زمان ومكان وما له من الثواب والعقاب هذا هو

تفسير لفظ القدر وهو مذهب أهل السنة والجماعة
ودليلهم على ذلك ما مر ذكره من الدلائل العقلية على أن
كل شيء لم يكن ثم كان فهو بخلق الله تعالى وتكوينه إذ
حدوث المعدوم بنفسه محال لما أن المعدوم لا حقيقة
له في نفسه فلا يكون فعل الإيجاد فثبت أن حدوثه بغير
هو قديم لما بينا من الدلائل القاطعة أن المحدث يستحيل
منه إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود ويستحيل أن
يكون خروج المعدوم وحدوثه بإنشائه لما مر من الدلائل القاطعة
على استحالة الصانعين لما في ذلك من التدافع والتمانع الموجب
لتعطل المصنوع حتى يظهر الكامل الغالب على ما قال الله
تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وعلى ما قال تعالى
وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض فثبت أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء من خير أو شر
ومن الحجج السمعية على ذلك قوله تعالى قل الله خالق كل شيء
وقوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر وقوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار

والحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القدر
خيره وشره من الله تعالى وحديث سعد بن ابي وقاص عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من كن فيه فهو مؤمن ومن
جاء بثلث وكنّ واحدة فقد كفر شهادة ان لا اله الا الله واني
رسول الله وانه مبعوث من بعد الموت وايمان بالقدر خيره
وشره فمن جاء بثلث وكنّ واحدة فقد كفر ذكره سيف الحق
في كتابه الملقب بتبصير الادلة

واما قولهم وضرب لهم اجلا

قال ابو حفص الغزنوي هذا منهم تحقيق بان الاجل المضروب
لكل احد منهم مبرم محكم لا يحتمل التأخر عنه ولا
التقدم عليه عما ضرب له اذ يكون في التقديم من غيره
تعجيز اياه عن تبليغه الحد الذي ضرب له وذلك محال
في حق الله تعالى وفي التقديم والتأخير من قبله لحوق
البداء والجهل وتعالى الله عن ذلك ومن الدليل السمعي

قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
وكذلك الحديث المعروف ان عند تصوير العبد في بطن امه
يامر الله تعالى ملكا فيكتب على جبهته رزقه واجله وسعادته وشقاوته
وفي هذه الادلة بطلان قول المعتزلة ان لكل انسان
اجلين احدهما الموت والآخر القتل والله تعالى اخبر انهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فبطل قولهم ومما
يبطل قولهم ايضا قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله اي لا تموت نفس الا بقبض المسلط على قبض الارواح
روحه وهو ملك الموت وهو كقوله تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم ان مات او قتل وعلى قول المعتزلة
يقدر كل فاسق وكافر ان يأتي الى كل محقون الدم فيقتله
قبل اجله فيكون خلاف قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله والقتل هو الموت وهو انزهاق الروح عند
انتهاء الاجل ووجوب القصاص على ارتكاب النهي لا على
انزهاق الروح وعلى قول المعتزلة تبطل ولاية ملك الموت

عن عموم تسليط الله تعالى على قبض ارواح العالمين وذلك يعجز
للوكالة الالهية وهو محال ودل على بطلان قولهم ايضا قوله
تعالى كتابا موجلا وفيه معنيان كلاهما واحد احدهما قوله كتابا
موجلا اي وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتاخر كقوله تعالى لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون والثاني كتابا موجلا اي
مثبتا في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه كقوله وكل شيء احصيناه
في امام مبين فان قالوا يجب على قولكم ان من ذبح شاة غيره
بغير امره ان لا يضمن قيمتها لانه عجل المنفعة لصاحبها
لانه لو لم يقتلها لماتت حتفا وكذي من قتل غيره ينبغي ان لا
القصاص لانه لو لم يقتل يموت قال ابو منصور رحمه الله فنقول
هذا تلبيس وتزوير لان ما علم الله تعالى ان يموت بالقتل
والذبح لا يكون موته حتف انفه وما كتب في اللوح المحفوظ
ان خروج روحه بسبب القتل يكون موته به لا محالة كيلا
يودي الى القول بتغير علم الله تعالى وحكمه لكن القاتل والذابح
منهي عن ذبح شاة الغير وعن قتل الادمي المعصوم وانما يوخذ ولم

ويذم بارتكاب النهي مختارا ولا يكون العبد بسبق القضاء والقدر
والحكم بذلك معذورا اذ يكون ارتكابه ذلك مختارا موترا
لا مضطرا مجبورا معدوم الاختيار وذلك لان القضاء والقدر
والحكم كان بما سبق به العلم في الازل انه يرتكبه مختارا وهذا
هو معنى قول ابي حنيفة رحمه الله ان ناظرنا القدرية في القضاء
والقدر غلبناهم بالعلم اي بسبق العلم انه يرتكبه مختارا لا مضطرا
فالمواخذة والذم على ارتكاب النهي وعلى المكلف مراعاة ظاهر
الامر والنهي دون اعتبار حقيقة الحكم والمعلوم الا ترى
ان المومن يعاقب بارتكاب المعاصي من الزنا والسرقة واكل
الربوا وشرب الخمر واللواطة ونحوها وان علم الله تعالى
منه ذلك وكتب في اللوح المحفوظ انه يوجد اذ لا ينقلب
علم الله تعالى جهلا ولا يمكن العاصي الخروج عن ذلك الحكم
لما فيه من تغير الحكم وانقلاب العلم جهلا تعالى الله عن ذلك
لكن لما نهي عن ذلك وكان في الظاهر ممكنا من الانتهاء بالقدرة
على ذلك من حيث الاسباب نظرا الى الظاهر دون الباطن

كان هو اخذا بالحكم المعلق على الظاهر دون العلم الباطن فهذا
مثله وقال ابو حفص الغزنوي في شرحه انما قالوا يعني بهم ابا حنيفة
وابا يوسف ومحمدا وضرب لهم اجالا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا نص محكم صريح
ولان التقدير في الاشياء ظاهر والآجال في الخلق معلومة
ومحال اضافتها الى غير الله تعالى لان التقدير وضرب الآجال
من افعال الربوبية فيعلم قطعا ان الاقدار والآجال بتقدير الله تعالى

واما قولهم لم يخف عليه شيء من

افعالهم قبل ان خلقهم وعلم ما هم عاملون قبل ان يخلقهم
قال ابو حفص الغزنوي انما اوجبوا الاعتقاد بسبق علم
الله تعالى بكل كائن من خلقه قبل كونهم لانه تعالى هو
القديم الكامل وما سواه محدث وثبوت العلم من صفات
الكمال يستحيل عليه الجهل لما فيه من التعري عن الكمال
وانما قرنوا التخليق بالعلم لان العلم بالمخلوق من شرط التخليق قال

قال الله تعالى الا يعلم من خلق الآية وقال تعالى اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو
الخلاق العليم وقال وهو بكل خلق عليم وقال وخلق
كل شيء وهو بكل شيء عليم

واما قولهم وامرهم بطاعته

ونهاهم عن معصيته

قال ابو حفص الغزنوي وانما ذكروا امره ونهيه بعد
ذكر علمه وتخليقه للعالم ليعلم انه تعالى خلقهم للاستعباد
بالاوامر والنواهي قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ولاهل الحق في تاويله وجوه احدها
وما خلقت الجن والانس الا وعليهم عبادتي والثاني
وما خلقت الجن والانس الا لامرهم وانهاهم والثالث
وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بعبادتي والكل يرجع
الى معنى واحد وقال تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون

وفي قوله بالحق وجوه أحدها أي خلق السموات والأرض
لاستعباد أهلها بالأوامر والنواهي والثاني قوله بالحق
أي لم يخلقهما عبثاً بل لأمر كائن ثابت وهو البعث بعد الموت
والثالث أي خلقهما لعاقبة الجزا بالثواب والعقاب إذ لولا
الخلق والإيجاد لذلك لكان خلقهما عبثاً باطلاً وتعالى
أن يكون فعله عبثاً ولذلك قال أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون أخبر أن الخلق لا للرجوع إليه
يكون عبثاً والكفرة لما تركوا تحمل الأمر والنهي وأنكروا
البعث فقد ظنوا خلقهما عبثاً وهو قوله تعالى وما خلقنا
السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار

وأما قولهم وكل شيء بجري

بقدرته ومشيئته فإنما قالوا ذلك لما قامت الأدلة
القاطعة على أن كل حادث حدث فهو بإرادة الله تعالى وخلقه

وتخليقه وتكوينه خيراً كان أو شراً حسناً كان أو قبيحاً
جوهراً كان أو عرضاً وهو مذهب أهل السنة والجماعة
وزعمت المعتزلة أن الله تعالى يريد بأفعالنا ما هو حكمة
أو طاعة ولا يريد ما هو معصية وقبيح وفي المباحات
قال بعضهم هو مريد لها ومنهم من زعم أنه مريد لها قال
سيف الحق رحمه الله ويكون هذا على قول معتزلة بغداد
فإنهم يزعمون أن الله تعالى لا يوصف بالإرادة في الحقيقة
وإنما يوصف بها مجازاً فما كان من أفعاله تعالى يقال إنه
أراده فمعناه أنه يفعله أو فعله وما كان من أفعال غيره
فقيل أنه أراده فمعناه أنه أمره به والمباح ليس بمأمور به
فلا يكون مراداً قال سيف الحق رحمه الله والحاصل عند
أصحابنا أن كل حادث فقد حدث بإرادة الله تعالى
على أي وصف كان ثم ما كان من ذلك طاعة فهو بمشيئة
الله وإرادته ورضاه وأمره وقضائه وقدره وما كان
معصية فهو بمشيئة الله تعالى وإرادته وقضائه وقدره

وليس بأمر الله تعالى ولا برضاه ولا بمحبته وذلك لأن محبته
ورضاه يرجع الى كون الشيء عنده مستحسنا قال سيف الحق
رحمه الله وعلى هذا قدماء اصحابنا وهو الظاهر من قول
مشايخ سمرقند ونص عليه ابو منصور الماتريدي والارادة
والمشية لفظان ينبئان عن معنى واحد ثم لمشايخنا في اضافة
الارادة عبارتان فمنهم من يضيفها على الاجمال فيقول ان الله
تعالى مريد حدوث كل ما علم حدوثه ولا يكون في سلطانه
الا ما يريد كونه كما اطلقه جميع المسلمين بقولهم ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن ومنهم من لا يقتصر عند التفصيل
عن ضم قرينة فيقول ان الله تعالى اراد الكفر من الكافر
كسبا له قبيحا مذموما وكذي في غيره من المعاصي ليلا يؤدي
الى ايهام الخطأ وحجة اهل الحق في ذلك نصوص منها قوله تعالى
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قالوا اخبر الله تعالى
انه ذرأ لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن ذرأه لجهنم اراد منه
ما به يصير لجهنم اذ لو ذرأه لجهنم مع ارادة ما به يصير للجنة يكون

يكون قد اراد منه ما يصير بادخاله ما ذرأه له ظالما وهذا
محال وبيان ذلك ان المعتزلة يقولون ان الله تعالى اراد
من كل احد الايمان الذي به يصير للجنة والله تعالى اخبر انه
ذرأ كثيرا من الجن والانس لجهنم فيستحيل ان يريد منهم الايمان
الذي به يصيروا للجنة ثم يخلقهم لجهنم وزعمت المعتزلة
بان اللام في قوله لجهنم اي يصير عاقبة امرهم لجهنم كقوله
تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اي انهم
ما التقطوه ليكون لهم عدوا ولكن صار عاقبة التقاطهم
ذلك قلنا لهم انما يتصور من الحمل على لام العاقبة فيمن
يجهل العاقبة فاما من لا يجهل العواقب كيف يريد عاقبة
بفعل يعلم حقيقة انها لا يكون على ما يريد تعالى الله عن
ذلك ومنها قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
اخبر انه متى اراد ضلالة ليلا يؤمن يجعل صدره ضيقا
فيبقى على الكفر قال سيف الحق رحمه الله واعترض الكعبي

من المعتزلة على هذا فقال معنى الآية أن من أسلم آتاه الله تعالى
من لطائفه ما لا يقدر عليه غيره ثوابا لطاعته ومن كفر
ضيق الله تعالى عليه صدره عقابا لذلك قال سيف الحق
رحمه الله وهذا تحريف لكتاب الله ونقل للكلام عن
مواضعها وليس بتأويل وذلك لأن الله تعالى أثبت له الإسلام
إذا شرح صدره والكفر إذا ضيق قلبه وجعله حرجا
ولم يقل أنه يوجب شرح القلب لأنه أسلم ولا ضيق القلب
لأنه كفر فكان فساده مما لا يخفى واعترض معتزلة البصرة
بأنه أراد بقوله يهديه أي يبين له وبقوله يضله أي يسميه
ضالا وهذا فاسد لأن شرح الصدر لو كان بيانا لكان
قد شرح صدر كل كافر لوقوع البيان للكل ولو كان يقع
ضيق الصدر لكل كافر لتسميته إياه ضالا لكان كل كافر
مشروح الصدر لحصول البيان له ضيق الصدر لوجود
تسميته كافرا وهذا محال وهكذا دأب المعتزلة يحملون
القرآن على مذهبهم ومما يدل على صحة قول أهل الحق رحمهم الله قوله

قوله تعالى خبرا عن نوح حيث قال لقومه ولا ينفعكم نصحي
إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ذكر أن الله تعالى
يريد أن يغوي الكفرة ومن ذلك قوله تعالى أولئك الذين
لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أخبر أنه لم يرد تطهير قلوبهم وعند
المعتزلة أراد الله تطهير قلوبهم وفي الآيات كثرة لإثبات
قول أهل الحق وللمعتزلة عليها اعتراضات فاسدة تركنا
ذكرها لظهور فسادها عند من له أدنى معرفة بدليل العقل
والنقل قال الله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين وقال تعالى
ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا وقال ولو شاء الله
ما أشركوا ومن المعقول أنه لو شاء من الكافر الإيمان
والكافر شاء من نفسه الكفر ثم كان الكفر دون الإيمان
على ما زعمت المعتزلة لتعطلت مشيئة الله تعالى بمشيئة
الكافر وكانت مشيئة الكافر أنفذ من مشيئة الله تعالى
وكذي تكون على قولهم مشيئة إبليس أنفذ في سلطان الله
من مشيئة الله تعالى لكون أكثر الخلق كافرين وكذي من أدل الدلائل

على ضعف الملك وعجزه أن يوجد في ملكه ما لا يشاء وأن
يشاء أشياء فلا تكون ولا يشاء أشياء فتكون على كره منه ووصف
الله تعالى بذلك محال إذ قامت الأدلة القاطعة على أنه
الواحد القهار وقد أثبت الله تعالى لنفسه الألوهية
والوحدانية بنفاذ إرادته فيما أراد وأبطل ألوهية غيره
ببطلان الإرادة فقال تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا
كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقال
قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله
غير الله يأتيكم به وقال وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب
العالمين فبطل قول المعتزلة بأن الله تعالى أراد من كل
كافر الإيمان الذي هو خير وفضل وأن إبليس أراد منهم
الكفر والضلال فنفذت إرادة إبليس ومشيئته ووجد
الكفر وتعطلت إرادة الله تعالى ومشيئته فلم يوجد الإيمان
تعالى الله عما يقول المبطلون بل إرادة الله تعالى ومشيئته
نافذة في الكل بما سبق علمه في الأزل فمن سبق في علمه أنه يؤ

يؤمن ويختار الإيمان أراد منه ذلك ومن سبق في علمه
أنه يكفر ويختار الكفر أراد منه ذلك ولا يجوز أن يتوهم
أنه يريد غير ما علم لأن ذلك يكون إرادة تجهيل نفسه
بأن ينقلب علمه جهلا وذلك مستحيل في حقه فيستقيم
لأهل الحق التوحيد والعدل وبالله العصمة والتوفيق
وقد اعترضت المعتزلة على نصوص المشيئة فقالوا إن المشيئة
المذكورة في الآيات هي مشيئة القسر والجبر أي لو شاء ربك
لجبرهم على الهدى ولآمنوا جبرا وما أشركوا واعترضوا
في المعقول فقالوا إنما يدل انعدام ما يشاء على الضعف
إن لو لم تكن له قدرة إيجاد ما يشاء ودفع ما يشاء وله
قدرة إيجاد إيمان كل كافر جبرا منه وقدرة دفع كل
كفر جبرا فلا يوصف بالضعف فقال لهم أهل الحق أنتم
تعنون بمشيئة القسر والجبر فنفروا عند ذلك في تفسيرها
فزعم أبو الهذيل منهم ومن تابعه أن تفسير الجبر أن يخلق
فيهم الإيمان جبرا بدون اختيارهم فيوجد الإيمان ويندفع

الكفر قيل لهم ان من مذهبكم ان المؤمن فاعل الايمان والكافر
فاعل الكفر ولهذا ابيتم ان يكون الله تعالى خالقا
لافعال الخلق ولهذا قلتم ان المؤمن يخلق ايمانه ليكون
مؤمنا وقلتم لو كان الله تعالى خالقا للايمان والكفر
لكان هو المؤمن الكافر المطيع العاصي فعلى هذا لو خلق
فيهم الايمان لكان هو المؤمن لا العباد فلا يتصور ايمانهم
على قولكم ولم تنفذ مشيته فبطل على تاويلكم قوله تعالى
فلو شاء لهديكم وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
فيكون على مذهب المعتزلة له تعالى قدرة جعل نفسه
مؤمنا لا قدرة جعل الكافر مؤمنا وكذا ما اندفع عنه
تعالى العجز عن جعل الكافر مؤمنا بل تكون له قدرة على
جعل نفسه مؤمنا فيصير التاويل على مذهبهم فلو شاء
لامن نفسه وابى نفسه هداها لاعتبر ومن العجب العجيب
قولهم انه تعالى لو خلق في العبد ايمانا كسبا له باختياره
وتعلقت قدرته به لم يكن العبد مؤمنا بل كان الله تعالى هو

هو المؤمن لانه هو الذي اوجد الايمان ولو خلق فيهم ايمانا
جبرا او هدى جبرا بلا اختيار من جهة العبد ولا باكتسابه
لكان العبد مؤمنا ولو لم يجذلوا عن الحق والهدى لما اوقعوا
انفسهم في هذه المناقضة الفاحشة والتحكم البارد ولاستحيوا
عن التفوه بمثل هذا الكلام السمج فلما راى الجبائي منهم عوار
هذا الكلام وتشنيع اهل الحق عليهم زعم ان تفسير مشيئة
الجبر ان يخلق الله تعالى في العبد العلم الضروري بصحة
الاسلام ويقيم له الدلائل المثبتة له العلم الضروري
فيؤمنوا حينئذ قلنا لهم وهذا ايضا فاسد لان العلم بصحة
الايمان وحقيقة الدين غير الدين والايمان وليس من
ضرورة وجود احد المتغايرين وجود الآخر بل الجائز
ان لا يوجدا الا ترى ان الله تعالى قال ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا
ليؤمنوا الخبر انه وان اقام كل دليل لا يؤمنون الا ان يشاء الله
ايمانهم فكان في الآية بيان بطلان كلام الجبائي من وجهين

أحدهما أن قيام هذه الدلائل غير مستبتة الإيمان غير
حيث قال ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله بعد وجود هذه
الدلائل والآخر أنه أثبت أن قيام هذه الدلائل لا يؤمنون
وكذبه قال تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها فمن قال
يؤمنون بها لا محالة فقد كذب الله تعالى في خبره بحقه
أن أهل العناد لم يكونوا يؤمنون وإن كان العلم بطريق الحقيقة
ثابتا لهم كما أخبر الله تعالى بقوله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون فثبت أن وجود
الإيمان والهداية ليس من ضرورة العلم والدليل قال سيف
الحق وغيره ثم الذي يبطل جميع تأويلاتهم أن الله تعالى
قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول
مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أخبر أنه إنما
لم يؤت كل نفس هداها لما أنه حق القول منه ليملأن جهنم
ولو آتى كل نفس هداها لم يتصور أن يملأ جهنم بهم لأن المهتدي
لا يملأ به جهنم وإعطاء الهدى بطريق الجبر على الطرق الذي زعموا

زعموا لا يخرجهم من استحقاقهم جهنم وأن يملأ منهم جهنم فدل
أن قولهم باطل ولأنه لا معنى لتعليقهم الإيمان الحاصل جبرا بالمشيئة
أنه لو شاء لفعل لأنه قد فعل ذلك وحصل من كل كافر إذ كل
كافر وكل مخلوق تشهد خلقته أن له صانعا حكيما عليما موصوفا
بصفات الكمال متبرئا عن سمات الحدث والنقص لا يؤيد الكاذب
المتنبي بالمعجزة فكان على هذا كل مخلوق مؤمنا بخلقته وقد
شاء الله تعالى وفعل فلا معنى لحملهم قوله تعالى ولو شاء
ربك لآمن على إيمان الجبر والقهر وقد فعل ذلك فدل أن
المراد من الآية ليس هو الإيمان الحاصل جبرا بل المراد إيمانهم
الاختياري وقد صح في المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه كان يقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكذي هذه
اللفظة متداولة على ألسنة الأمة ولا وجه لحملها على
مشيئة الجبر لأنه وإن أمكن أن يقال ما شاء الله جبرا كان
لم يمكن أن يقال وما لم يشأ جبرا لم يكن لأن الطاعات
كلها عند المعتزلة لم يشأ جبرا وكانت المعاصي لم يشأ جبرا

وقد كانت فدل أن المراد من المشيئة غير مشيئة الجبر قال
أبو المعين ومن المعقول الذي لا مدفع له أن يسأل المعتزلة
فيقال لهم هل علم الله تعالى ما يكون أبدا على ما يكون فإن
قالوا لا كفروا لأنهم جهلوا ربهم وإن قالوا نعم قيل لهم شاء أن
ينفذ علمه كما علم أو لا فإن قالوا لا فقد قالوا إن الله تعالى شاء
أن يكون جاهلا وذلك أيضا إنسلاخ لأن من شاء ذلك
فليس بحكيم فيكونوا قد وصفوه بالسفه وإن قالوا نعم قد شاء
أن ينفذ علمه كما علم فقد أقروا بأنه شاء أن يكون كل شيء كما علم
أن يكون وهذا يحكى عن أبي حنيفة حكاه عنه الشيخ
أبو منصور الماتريدي رحمه الله وهو لازم بمرة وهو المعقول
القوي في المسئلة ه

وأما قولهم ومشيئته تنفذ

فإنما قالوا ذلك لما مر بيانه من البراهين الساطعة والحجج
القاطعة على أن مشيئته تعالى صفة ذاتية فكانت نافذة
في الأشياء إذ هو الواحد القهار قهر الأشياء على مقتضى
إرادته وهو الملك القدوس الجبار جبر الأشياء على الدخول
تحت مشيئته فظهر آثار نفاذ مشيئته وإرادته بتخصيص
مفعولاته ومصنوعاته المتجانسة على هيئات مختلفة وأوصاف
متباينة في أمكنة مخصوصة وأزمنة مخصوصة على ما مر
بيانها في فصل الإرادة وظهر آثار قهره في كل شيء بالتسخير
والتذليل ولزوم التغير والزوال وظهر آثار كمال قدرته
الذاتية بقيام السماء في الهواء بلا علاقة من فوق ولا عمد
من تحت وبكون السحاب الثقال مسخرا بين السماء والأرض
حاملا بحور الماء قارا على متن الهواء فتطبق وجه السماء في الطول
والعرض وأفقا نارة وسابرا نارة بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت

وأما قولهم لا مشيئة للعباد

إلا ما شاء لهم. فلأنهم عباد والعبد اسم لمن هو موسوم
بسمة التذلل يقال طريق معبد أي مذلل لكنهم مع كونهم

عبيداً مملوكين ملك إيجاد وتخليق ليسوا في أفعالهم مجبورين
بل لهم قدرة اكتساب لا قدرة تخليق لقيام الأدلة القاطعة
على استحالة ثبوت قدرة التخليق لغير القديم تعالى ولهم
اختيار فيما يأتون ويذرون لما ركب فيهم الاختيار
والعقل فكانوا مختارين فيما يفعلون لا اختيار ربوبية
بل اختيار عجزة وكلفة متردد بين فضل الرب تعالى
وعدله ولذلك يثابون ويعاقبون كذي ذكر القاضي القضاة
أبو حفص الغزنوي وأبو المعين النسفي وغيرهما وهو مذهب
أهل السنة والجماعة قال أبو حنيفة قدس الله روحه
أقول كما قال جعفر الصادق لا جبر ولا تفويض ولا كره
ولا تسليط والله تعالى لا يكلف العباد ما لا يطيقون
ولا يرضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم وروى عبد الكريم
الجرجاني عن أبي حنيفة رحمه الله قال كذب الناس على
الحسن حيث نسبوه إلى القدر كذي ذكره القاضي أبو العلا
في كتاب الاعتقاد ه

وأما قولهم فما

وأما قولهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن

فإنما قالوا ذلك لأن نفوذ مشيئة الغير في شيء
من الأشياء بدون إرادته تعالى ومشيئته دلالة القهر
والعنوة وذلك محال في حقه تعالى قال الله تعالى وما
تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين ولأن الاستبداد
العبد بشيء لم يرد الله كونه ولم يشأ وجوده خروج عن محل
كونه عبداً وذلك محال لأن سمات الحدث ورق العبودية
لا يرتفع عنه وإن جل قدره وعظمت رتبته لاستحالة ارتفاع
التأليف والتركيب عن ذاته لما فيه من بطلان الحدثية
والمصنوعية وذلك محال ه

وأما قولهم يهدي من يشاء ويعصم

ويعافي من يشاء فضلاً قال القاضي أبو حفص الغزنوي
يبنوا بهذا أن العباد لا يستحقون على الله تعالى وجوب مراعاة

الأصلح ولا مراعاة الصلاح في حقهم وقال عامة المعتزلة
يجب على الله تعالى أن يفعل بعباده ما هو الأصلح لهم في باب
الدين وقال بعضهم لا بل يجب عليه مراعاة الصلاح في حقهم
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ثم معنى قول أصحابنا
يهدي من يشاء أي يخلق فعل الاهتداء ممن يشاء ومعنى قولهم
يضل من يشاء أي يخلق فعل الضلال ممن يشاء وهذا هو قول
أهل الحق في تأويل الهداية المضافة إلى الله تعالى والإضلال
المضاف إليه قال امام الهدى أبو منصور رحمه الله الهداية
يحتمل وجوها أحدها البيان يعني بيان الدين الحق كقوله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم
أي لتبين الطريق الحق من الباطل ومنه سمي القرآن هدى
أي بيان للحق من الباطل والثاني الدعاء كقوله ولكل قوم هاد
أي داع والثالث يحتمل الهدى التوفيق للطاعات والعصمة
عن المعاصي والتحسين للخيرات والتكريه للكفر والفسق
فيطلق اسم الهداية على جميع ما هو معاون على الطاعات والامساع

والامتناع عن أضدادها وذلك معنى قولهم في القنوت اللهم
اهدنا فيمن هديت ويحتمل الهداية خلق الاهتداء من الله تعالى
والخلق صنعه وهو أزلي والاهتداء محدث والهدى بمعنى
بيان الحق وبمعنى الدعاء إليه وبمعنى الامر بالحق يضاف إلى الله
تعالى وإلى رسله وإلى أتباعهم فإن الله تعالى أمر بالحق ودعا
إلى الحق وبين الحق من الباطل بالحجج العقلية والسمعية وكذلك
الرسل وأتباعهم وأما الهدى بمعنى خلق فعل الاهتداء والتوفيق
فلا يجوز إضافة هذين الوجهين إلى غير الله تعالى لما ثبت
بالأدلة القاطعة أن الله تعالى خالق أفعال العباد كان
هو الذي خلق فيهم فعل الاهتداء وفعل الضلال فوجد
منه الهدى والاضلال وهو مذهب أهل السنة والجماعة
وخالفت المعتزلة في إضافة خلق فعل الاهتداء وخلق فعل
الضلال وقالوا المراد من الهداية المضافة إلى الله تعالى
بيان طريق الدين لا تخليق فعل الاهتداء وما أضيف إليه في القرآن
من الاضلال والازاغة والمد والطبع بقوله تعالى طبع الله

على قلوبهم وقوله يمدهم في طغيانهم يعمهون فهو بطريق السبب
قالوا لان السبب الذي كان به منهم تلك الافعال كان من الله
تعالى وهي كاعطاء القدر والالات فاضيفت اليه لما كان منه
السبب ومنهم من قال الهداية المضافة الى الله تعالى هداية
طريق الجنة في الاخرة وهذا يحكى عن الجبائي منهم وقالوا في الاضلال
هو تسمية الله تعالى اياهم ضلالا قالوا لانه يقال اضله
اي سماه ضالا وحجة اهل الحق قالوا لما قامت لنا الدلايل
على ان الله تعالى خالق افعال العباد كان هاديا بتخليقه فعل
الاهتداء ومضلا بتخليقه فعل الضلال ثم الذي يبطل جميع
تاويلاتهم قوله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فيكون على مذهب
المعتزلة وتاويلهم ان الهدى هو البيان والامر والدعاء
لا غير يكون تقدير الاية انك لا تبين الحق ولا تامر ولا
تدعوا الى الحق من احببت ومتى حملوا على هذا افتروا على الله
وعلى رسله ولا يمكنهم حمل النص على هذا بل معنى الاية من كل بدعة على

تخليق الاهتداء والتوفيق اي انك لا تخلق فعل الاهتداء
ولا تملك التوفيق انما ذلك الى الله تعالى فدل ان وراء
البيان والامر والدعاء هداية اخرى وليس ذلك الا ما قلنا
يدل عليه ان الله تعالى قال فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ولو كان المراد من الهداية الدعوة وبيان الطريق
ينبغي ان يقال كل من دعاه الله تعالى الى الايمان وبين له طريق
الدين فهو مشروح الصدر فيصير قوله يجعل صدره ضيقا
حرجا كذبا باطلا وهو كفر وهكذي دأب من زاغ عن الحق
وعاند دليله وخالف اهله ان توقعه الحيرة والجدل عن
حججه في الحصول على المناقضة وظهور بطلانه ويدل ايضا
على جهلهم وضلالهم قسمة الله تعالى الخلق احدهما قوله تعالى
فمن يرد ان يهديه يشرح صدره للاسلام والقسم الاخر
قوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا فيصير
هذا التقسيم من الله تعالى على تاويلهم باطلا وذلك لان الله تعالى
بين الطريق لكل كافر فقد شرح صدره ووجده ضالا وسماه ضالا

عَلَى تَأْوِيلِهِمْ لِقَوْلِهِ يُضِلُّهُ أَيْ يُسَمِّيهِ ضَالًّا وَيَجِدُهُ ضَالًّا فَإِذَا كَانَ
كَافِرًا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِأَنَّهُ هَدَاهُ فِي قَوْلِهِمْ وَضَيِّقٌ صَدْرَهُ لِأَنَّهُ
أَضَلَّهُ وَفِيهِ وَصْفُ اللَّهِ تَعَالَى بِفِعْلٍ هُوَ مُحَالٌ وَفِيهِ إِبْطَالُ
تَقْسِيمِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَلْقَ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ وَهَذَا كُلُّهُ كُفْرٌ نَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنَ الْجَبْرِيَّةِ وَالرَّبْغِ وَإِنَّمَا وَقَعَتِ الْمُعْتَزِلَةُ فِيمَا وَقَعُوا لِمَا
تَلَقَّفُوهُ مِنَ الثَّنَوِيَّةِ قَوْلَهُمْ إِنَّ الْحَكِيمَ لَا يَفْعَلُ الْقَبِيحَ فَجَعَلُوا
الْأَعْيَانَ الْمُسْتَحْسَنَةَ مَصْنُوعَ صَانِعٍ حَكِيمٍ وَالْأَعْيَانَ الْخَبِيثَةَ
الْمُسْتَقْبَحَةَ مَصْنُوعَ صَانِعٍ حَكِيمٍ سَفِيهٍ وَالْمُعْتَزِلَةُ اتَّبَعُوا
هَذِهِ الْقَاعِدَةَ فَقَالُوا إِنَّ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِيَ قَبِيحٌ لَا يَجُوزُ
أَنْ يَخْلُقَهَا اللَّهُ تَعَالَى بَلِ الْعَبْدُ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُهَا وَلَوْ تَلَقَّفَتِ
الْمُعْتَزِلَةُ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِضَافَةِ الْهُدَى وَالْإِضْلَالِ
إِلَيْهِ بِالْقَبُولِ وَاتَّبَعُوا الدَّلِيلَ الْمُوجِبَ لِلْعِلْمِ بِاسْتِحَالَةِ ثُبُوتِ
خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى لِشَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ وَتَعَلَّمُوا مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ دَفْعَ
مَا تَمَسَّكَ بِهِ الثَّنَوِيَّةُ مِنَ الشُّبْهَةِ بِأَنَّ إِضَافَةَ تَخْلِيقِ الْكُلِّ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ بِقَبِيحَةٍ وَلَا سَفَهٍ بَلْ تَحْتَهَا حِكَمٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا

مِنْهَا وَصْفُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَمِنْهَا نَفْيُ وَصْفِ اللَّهِ
تَعَالَى بِكَمَالِ الْقُدْرَةِ إِذِ الْقَادِرُ عَلَى الْمُتَضَادَّيْنِ هُوَ الْكَامِلُ
وَمِنْ شَرْطِ الْقِدَمِ الْكَمَالُ وَالْعَجْزُ عَنْ خَلْقِ أَحَدِ الْمُتَضَادَّيْنِ
نَقْصٌ وَالنَّاقِصُ لَا يَكُونُ إِلَهًا وَمِنْهَا وَصْفُ اللَّهِ تَعَالَى بِالِاسْتِغْنَاءِ
لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ أَنَّهُ أَوْجَدَ نَوْعَ الْمَحَاسِنِ اجْتِلَابًا لِلْمَنَافِعِ وَمِنْهَا
الْوَصْفُ بِكَمَالِ الْعِزَّةِ بِأَنَّهُ لَا يَتَضَرَّرُ بِالْأَعْدَاءِ وَالْعُصَاةِ فَلَوْ
اتَّبَعُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَالسُّنَّةَ الْوَاضِحَةَ وَالْأُمَّةَ
الْهَادِيَةَ وَهُمُ الْجَمَاعَةُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَنْ تَلَقَّفُوا شُبْهَةَ
الثَّنَوِيَّةِ وَتَشَبَّثُوا بِهَا وَجَعَلُوهَا قَانُونًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
فَصَرَفُوا كُلَّ مَا يُخَالِفُ تِلْكَ الشُّبْهَةَ إِلَى وُجُوهٍ مُسْتَنْكَرَةٍ
وَتَأْوِيلَاتٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمَةٍ فَحَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهَا
وَأَزَالُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَارِدِهَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ
وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَقَالَ سَيْفُ الْحَقِّ أَبُو الْمَعِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِ
فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي مَنْ يَشَاءُ
فَضْلًا هَذَا مِنْهُمْ بَيَانُ أَنَّ مُرَاعَاةَ الْأَصْلَحِ وَالصَّلَاحِ لَيْسَتْ

بواجبة على الله تعالى والأصل في ذلك أن في مقدور الله تعالى
لطفا لو فعل ذلك بالكفار لآمنوا اختيارا ولم يفعل بهم ذلك
فلم يكن بأن لم يعطهم ذلك بخيلا ولا سفيها ولا جائرا ظالما ولو
فعل بهم ذلك لكان متفضلا منعما لا مؤديا حقا واجبا عليه
وأنه اذا لم يعطهم ذلك فقد منعهم ما هو الأصلح لهم وكان
اعطاؤه اياهم ذلك اللطف اصلح لهم من ترك الأصلح ويجوز
أن يفعل بالعبد ما ليس بمصلحة له واعطاء ما هو المصلحة ليس
بواجب على الله تعالى وليس لما في مقدور الله تعالى مما به
الصلاح للعبد غاية ولا نهاية فان فعل بالعبد الأصلح
والصلاح كان متفضلا منعما محسنا وان ترك لم يترك واجبا
وكان ذلك منه عدلا لا جورا وهذا هو مذهب اهل الحق
وزعم جمهور المعتزلة أن ليس في مقدور الله تعالى لطف لو فعل
بالكفار لآمنوا ولو كان ذلك في مقدوره ثم لم يفعل بهم ذلك
ولم يعطهم لكان سفيها بخيلا جائرا مانعا حقا واجبا عليه
وقد فعل بالعباد غاية ما في مقدوره مما به صلاحهم وواجب عليه

عليه أن يفعل بهم ذلك هذا قول جمهورهم وقال بشر بن المعتمر
رئيس معتزلة بغداد ومن تابعه ان الله تعالى يجب عليه
أن يفعل بالعبد ما هو المصلحة ولا يجوز له أن يفعل بالعبد
ما هو المفسدة له ولا يجب عليه فعل الأصلح اذ ليس لما
في مقدور الله تعالى من المصلحة واللطف غاية وانما يجب
عليه اعطاء ما هو صلاح لهم وازاحة عللهم فيما يحتاجون
اليه وذكر الكعبي في كتاب المقالات انه تاب عن هذا
ورجع الى قول اصحابه قال كتب بذلك الى ابو الحسين
الخياط وكان جعفر بن حرب يقول ان عند الله لطفا لو اعطاه
الكفار لآمنوا اختيارا ايمانا لا يستحقون عليه من الثواب
ما يستحقون به اذا آمنوا مع عدم ذلك اللطف والأصلح
قال الكعبي ثم ترك جعفر بن حرب هذا القول ورجع الى
قول اصحابه وشبهتهم قالوا انا وجدنا الحكيم اذا كان
آمرا لطاعته محبا لها مريدا فلن يجوز ان يمنع المأمور
ما يصل به الى طاعته اذا كان قادرا على ان يعطيه ذلك

وكان بذله اياه لا يخرجه من استحقاق الوصف بالحكمة ومنعه
لا ينفعه وكذلك اذا كان له عدو يدعوه الى موالاته ويحب
رجوعه فلن يجوز ان يعامله من الغلظ واللين الا بما يعلم
انه انجع فيما يريد منه وادعى له الى ترك ما فيه من عداوته
فلما كان هذا فيما بيننا على ما وصفنا وكان الله عز وجل قادرا
رحيما جوادا عالما بمواضع حاجة عباده آمرا لهم بطاعته
وترك عداوته لا يضره الاعطاء ولا ينفعه المنع ولا يلحقه
منه ذم علمنا انه لا يفعل بهم الا اصلح الاشياء لهم في دينهم
وادعى لهم الى طاعته سقما كان ذلك او صحة لذة او الما امنوا
او كفروا اطاعوا او عصوا قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات لعلهم يرجعون قال سيف الحق ابو المعين رحمه الله
وحجة اهل الحق كتاب الله تعالى واجماع اهل الاديان والوجود
والدليل العقلي اما الكتاب فقوله تعالى ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى فلو شاء لهديكم اجمعين
وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وايضا

ولو لم يكن في مقدوره ما لو فعل بهم لآمنوا لم يكن لهذه الآيات
فائدة سوى ادعاء قدرة ومشيئة ليشتاله كفعل الكذوب
المتحلي بما ليس فيه تعالى الله عن ذلك وحملهم الآيات على مشيئة
الجبر باطل على ما مر بيانه واما الوجود فان الكفر والمعاصي
قد وجدت وقد بينا بالدلايل السمعية والعقلية الموجبة
للعلم قطعا لمن انصف ولم يكابر ان افعال العباد مخلوقة
لله تعالى وفيها الكفر والمعاصي وهم يتضررون بها
ولا ينتفعون فلم يكن ايجادها مصلحة لهم فضلا عن الاصلح
ثم ما هو اظهر من هذا ان الله تعالى يفعل بالكافر ما لا صلاح له
فيه بل له فيه مضرة ومفسدة فان الله تعالى يبقاه الى وقت
بلوغه ويركب فيه العقل مع علمه انه لا يؤمن بل يكفر
ويعادي الله تعالى ولا شك ان الله تعالى اذا علم انه يكفر
عند بلوغه واعتدال عقله لو اماته في حال صغره وعدم
تمييزه او لم يركب فيه العقل عند بلوغه حتى بلغ مجنونا
غير مخاطب لكان ذلك اصلح له وجنبه سمة بل يفناه

وتركب فيه العقل حتى دخل في حد التكليف مع علمه انه يكفر
دل انه لم يفعل به ما له فيه صلاح وكذي من عاش مدة عمره
على الاسلام ثم ارتد بعد ذلك نعوذ بالله ولو كان الله قبض
روحه وتوفاه قبل ارتداده بساعة حتى ختم له بالاسلام
ولم يستحق التعذيب في النار خالدا مخلدا كان اصلح له وحيث
لم يفعل بل ابقاه مع علمه بانه يرتد عن الاسلام وكان ذلك
مضرة له لا صلاحا فقد فعل ذلك وهو تعالى حكيم دل ان
ذلك كان حكمة ووقعت المعتزلة فيما وقعت بجهلهم
بحقيقة الحكمة ثم بعد تقرر فعل الله تعالى ذلك كان دعوى
من زعم انه سفه وليس بحكمة وصف منه لله تعالى بذلك
وهو كفر بل ظهر بفعله انه حكمة وان جهلت المعتزلة جهة
الحكمة اذ الجهل عليهم جائز وخروج فعل الله تعالى عن الحكمة
ممتنع واما الاجماع فقد اجمع المسلمون واهل الاديان السماوية
قبلهم على الدعاء لله تعالى وطلب المعونة على الطاعات والعصمة
عن المعاصي وكشف ما بهم من الضر وباهل عنايتهم من المرض وسلامة

وتبديل ذلك بالعافية فان كان اناهم ما سالوا من المعونة
والعصمة فسؤالهم سفه وكفران للنعمة اذ السؤال عند
العقلاء لما لم يكن موجودا فكان السؤال الحاقا للنعمة
الموجودة بالمعدوم حيث اشتغلوا بسؤاله وجل الله
عن ان يامر في كتبه المنزلة عباده وانبياءه ورسله ان يشتغلوا
بما هو في الحقيقة سفه وكفران للنعمة وان كان لم يوقع
وعند المعتزلة اعطاء ما يجوز اعطاؤه واجب عليه حتى قالوا
انه يصير بمنعه جائرا ظالما فكان السؤال في الحقيقة
كانهم قالوا اللهم لا تظلمنا بمنع حقنا الواجب عليك ولا
تجر علينا ومن ظن ان الانبياء والرسل وابناءهم استجازوا
من انفسهم ان يشتغلوا بمثل هذا الكلام مناجين ربهم فقد
كفر من ساعته ومن حجج اهل الحق قوله تعالى يختص برحمته
من يشاء وقوله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقوله والله
ذو فضل عظيم وهذا كله يرد على المعتزلة قولهم وحكمهم
البارد بانه يجب على الله تعالى مراعاة الاصلح او الصلاح

وانه يجب ان يعطي كل احد ما هو معاون الدين على السواء

واما قولهم ويضل من يشاء ويخذل

ويبتلي من يشاء عدلا قال ابو حفص العزنوي رحمه الله
وهذا منهم بيان ان الله تعالى بالخذلان والاضلال لا يكون ظالما
لما ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه والله تعالى وضع
التصرف في ملكه بما سبق علمه فيهم بما يكون منهم من الكفر
والعصيان عن اختيار وايثار لا عن جبر واضطرار فلا
يكون ظالما لانه لم يعاقب على فعل ما امر ولا على الانتهاء
عما نهى عنه ه

واما قولهم وهم يتقلبون في فضله

بين فضله وعدله قال القاضي ابو حفص العزنوي
وسيف الحق وغيرهما هذا منهم رحمهم الله بيان ان خلق
فعل الاهتداء فيهم لم يكن واجبا عليه اذ لا موجب في الحقيقة عن

غير الله تعالى فمن هداه فبفضله ومن اخزاه فبعدله وذلك
كله على ما سبق في علمه في الازل على هذا دلت البراهين العقلية
والحجج السمعية وعليه اجماع الامة الهادية فلا يقال
لم كان ذلك لان ذلك معارضة في الربوبية وذلك باطل من العبد
مع الرب تعالى على ما قال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاولياؤه
يستحقون الكرامة لوجود الهداية والاعتقاد الصحيح مع
العصمة عند الابتلاء المظهر لصدق عقيدتهم والاعداء يستحقون
الهوان لعدم الهداية لتركهم التدين بالحق عند الابتلاء المظهر
لخبث عقيدتهم وخلافهم للحق على ما سبق في علمه في الازل
انه يوجد ذلك عن اختيار منهم ه

واما قولهم لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه

قال ابو حفص العزنوي رحمه الله ارادوا بهذا
قضاء التكوين الذي لا يقدر العباد على رده وقال سيف الحق
ابو المعين في فصل القضاء واذا ثبت ان الله تعالى هو الذي خلق

حلق الافعال ثبت انه تعالى قضى بكونها وقدرها على ما هي
من حسن وقبح ثم القضا يذكر ويراد به الحكم يقال قضى القاضي
على فلان بكذا اي حكم عليه به ويذكر القضا ويراد به الامر
كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر ربك
وحتم والزم ويذكر ويراد به الفراغ يقال قضيت كذا اي
فرغت منه وانقضى الامر اي صار مفروغا منه وهو انفعال
من القضاء ويذكر ويراد به الفعل وهو المراد به في المسئلة
قال بن عرفة قضاء الشي احكامه وامضاؤه والفراغ منه ويذكر
ايضا ويراد به الاعلام كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
اي اعلمناهم ثم قال ابو المعين رحمه الله والمراد من قولنا
الطاعات والمعاصي كلها بقضا الله اي بخلقه وتكوينه م

واما قولهم ولا غالب لامره

قال القاضي ابو حفص العزنوي رحمه الله يحتمل انهم ارادوا
به امر التكوين وهو قوله انما امرنا الشي اذا اردناه ان نقول له كن

كن فيكون وهو منهم اثبات الوحدانية والالوهية لله تعالى
ونفي الالوهية والربوبية عما سواه وهو تاويل قول لا اله
الا الله ويحتمل انهم ارادوا بذلك اي لا يقضي عليه غيره
غلبة وقهرا وانما يقضي سبحانه وتعالى بمشيته وارادته
فيكون هذا تاويل قوله تعالى وهو الواحد القهار ظهرت
اثار قهره ووحدانيته في كل شي بالتسخير والتذليل شهدت
بذلك السما بكونها مبنية منضدة من بنية مرفوعة ممسوكة
في الهوا بلا علاقة ولا عمد والارض بكونها مسطوحة قرارا
مبسوطة فراشا وما فيهما من سائر المخلوقات شهدت بذلك
بسمات الحدث من التاليف والتركيب وعجايب الابداعات
ان صانع الكل هو الله الذي لا اله الا هو الواحد القهار

واما قولهم امنا بذلك كله وايقنا

ان كلا من عنده قال القاضي ابو حفص العزنوي ذكروا
الايمان واتبعوه بالايقان ليعلم ان الايمان بجميع ما سبق ذكره

وشرحه واجب وان الايقان بجميع ذلك على التابيد لازم
اذ كل ذلك من حق الربوبية ثابت لله تعالى من الازل الى
الابد قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ابده الله ما ذكره
القاضي ابو حفص العزنوي من لزوم الايمان والتيقن بجميع ما
ذكروا رحمهم الله على الدوام والتابيد فهو ثابت لازم قطعا
كما ذكر وكذلك ذكر ايمة كتاب السواد الاعظم في شرح اصول
فقهاء الملة رحمهم الله وامام الهدى ابو منصور رحمه الله
يقول في تفاصيل كلامه في تاويل الجمع بين الايمان والايقان
هو ان ما اقروا به واعتقدوه ثابت بالحجج السمعية والبراهين
العقلية فالسمعيات اخبار صادرة عن الصدق وهي
متايدة بالمعجزات القاهرات فتستوجب التصديق
وهو الايمان بحقيته موجبها والعقليات توجب النظر والتامل
والاستدلال والعلم الثابت بالاستدلال يسمى يقينا
والعلم عن الاستدلال يسمى موقنا قال الله تعالى وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم

ثم ذكر ابو جعفر الطحاوي في كتابه عقيب ذكر عقيدة
فقهاء الملة في التوحيد والصفات عقيدتهم في الرسالة
فقالوا وان محمدا عبده المصطفى وامينه المجتبى ورسوله
المرتضى خاتم الانبياء وامام الاتقياء وسيد المرسلين وحبيب
رب العالمين وكل دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى وهو
المبعوث الى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى
وبالنور والضيا اما قولهم وان محمدا فقد شهدوا
برسالته ونبوته عقيب شهادتهم بوحدانية رب العالمين
لما ان الله تعالى ارسله الى الثقلين رسولا ليكون نذيرا
للعالمين داعيا الى توحيده خالقهم وقرن شهادة رسالته
بشهادة وحدانيته والوهيته فقال جل جلاله قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض
لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
وقال عز وجل محمد رسول الله واما قولهم عبده المصطفى
قال القاضي ابو حفص العزنوي وغيره من العلماء وصفوه بالعبودية

اذ هو عبده بخلقته ودعوته اما الخلقة فلان خلقته وخلقة
كل ممتحن في السموات والارض قد شهدت بالتاليف والتركيب
على كونه عبدا ومملوكا لله تعالى وما سوى الممتحن من جميع
المخلوقات شهدت خلقتها لله تعالى بالملكية والمصنوعية
واما الدعوة فلانه دعا الخلق الى توحيد رب العالمين
وعبادته وانما قدموا وصفه بالعبودية على وصفه بالنبوة
والرسالة لجسم الشبه العارضة للناس عند ظهور المعجزات
الناقضات للعادات والامور الالهية التي يعجز عنها البشر
حتى لا تعترض لاحد منهم شبهة من شبهات النصارى خذلهم الله
حيث اعتقدوا فيه الالهية بسبب ما وجدوا منه فعلا
الهيا لرسالته من نحو احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وكان اول ايآته تكلمه في المهد صبيا بان قال اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا فبدا بعبوديته قطعا لجسم الشبهة
العارضة لقومه فافتتن بعضهم من بعده وتفرقوا على ثلثة
اقانيم اخرجوه بها من العبودية ولكل نبي معجزة خارجة عن

عن العادات وكلهم ادعوا بها انهم عباد وانبياء بعثوا داعين
الى توحيد رب العالمين قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين
ايده الله ولنبينا محمد بن عبد الله النبي الامي العربي صلوات الله
عليه معجزات قاهرات وايات بينات وحجج واضحات حسيات
وعقليات وسمعيات وهي مودعة في كتب دلايل النبوة
لعلماء الامة وقد ذكرت انواعا منها في مفرد من تعليقاتي كتاب
سميته بكتاب اعلام رسالة محمد خاتم النبيين ومعجزاته
وهي مستخرجة من كتب ايمة الهدى واعلام الورى ونذكر
ههنا طرفا منها فمنها انشقاق القمر نصفين حين طلب منه
اهل مكة اية على الرسالة فاشار الى القمر فانشق ونزل
حتى وقف فوق الجبل فقال لهم اشهدوا اشهدوا ومنها
حنين الجذع اليابس وذلك انه كان يخطب مستندا
الى جذع فلما صنع له المنبر فرقي عليه ليخطب صاحت
الاصطوانة حتى كادت تنشق وسمع اهل المسجد صياحها
كصوت الناقة الخلوج وهي التي مات ولدها فنزل اليها

كتاب اعلام رسالة محمد خاتم النبيين

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

فاحتضنها وضمها إليه حتى سكنت ومنها تسبيح الحصا في كفه
بصوت كصوت الفطا ومنها انقياد الشجرة له حين دعاها
ومنها شهادة الضب ومنها شهادة الذئب وشكاية البعير
إليه ومنها كلام الشاة المصلية ومنها نبع الماء من بين أصابعه
مرارا شاهد ذلك الجيش في غزوة الحديبية وفي غزوة
تبوك مرة من سطيحة ماء ومرة من فضل وضوئه في ركوة
في غزوة تبوك فنبع من بين أصابعه عيون الماء حتى سقى
فيما روي ثلثون ألف مقاتل وشرب منه عشرة آلاف فرس
واثنا عشر ألف بعير وملؤا كل سقاء معهم ومنها أنه أطعم الجيش
من قناة يسير حتى كان الرجل ينزع قبضة فيملأه ويحمله
ولم يبق معهم غرارة إلا ملؤها من ذلك وكان ذلك الطعام
بعد أخذ الكل كهيئته حين ابتدؤا ومنها أنه أخذ قبضة
من الأرض فرمى بها في وجوه الأعداء يوم حنين وهم عشرون
ألفا وقال شاهت الوجوه فانهزموا ولم يبق منهم إنسان إلا
امتلأت عيناه من تلك القبضة وأمثال هذا من الآيات لا تحصى كثرة

كثرة وكلها وردت بالنقل المتواتر الموجب للعلم ومن أعظم
معجزاته الحجة الباقية إلى يوم القيامة وهو القرآن الذي
أعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثل سورة منه وفيه وجوه
من الإعجاز أولها النظم الذي أعجز الخلائق عن الإتيان بمثله
تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أولا العرب
العاربة أولي الفصاحة والبراعة في نظم الكلام وإنشاء
الأشعار والقصائد تحداهم بذلك بمكة ثلث عشرة سنة
وبالمدينة عشر سنين وهو قوله تعالى وإن كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فإن لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت
للكافرين الحق بهم هذا الوعيد إن لم يفعلوا تعجيزا
لهم وتبكيتا وأخبرهم أنهم لا يقدرون على ذلك ما بقيت الدنيا
بقوله ولن تفعلوا وقال أيضا قل لئن اجتمعت الإنس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ثم جعل هذا التحدي قائما إلى يوم القيامة

اذ هو يتلى الى قيام الساعة وانقراض العالم ومنها اخباره صلوات
الله عليه بما كان من لدن اول العالم من نحو خلق آدم من التراب
وخلق الجان من مارج من نار والملائكة من نور وبقصص الانبياء
والرسل مع اقوامهم ونجاة المصدقين وهلاك المكذبين
وهو صلوات الله عليه ولد من قوم اميين لا يؤمنون بالكتب
السماوية ولا بالمخصوصين بالرسالة والنبوة ولا يعرفون
الاخبار السماوية ونشأ بين قومه وعشيرته ولم يختلف
الى استاذ ومعلم ولم يقدم اليه احد من علماء اهل الكتاب
ليلازمه ويتعلمه ولم يحسن ان يقرأ كتابا ولا خطه
بيمينه ولم يفارق قومه وعشيرته وهذه الاخبار والقصص
التي اتى بها هي في الكتب السماوية بغير لسانه فاتيانه
بها في كتاب اعجز الخلائق نظمه آية خارجة عن وسع
الخلائق وعاداتهم فكان نظم كتابه معجزة قاهرة على
ما سبق ذكره وكان اخباره بتلك الانباء والقصص
في القرون السالفة آية ظاهرة ودلالة قاطعة موجبة للعلم

للعلم بانه صلوات الله عليه انما علمها بالوحي فالوحي السماوي من
قبل علام الغيوب ومنها الاخبار بما يكون في المستقبل من نحو
قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله الم غلبت
الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع
سنين وقوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد
وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا الآية وغير ذلك من الاخبار بالفتوحات
الواسعة وظهور الاسلام وفشوه في الآفاق وغيرها تحققت
على ما اخبر بها وهي كلها من علوم الغيب لا يعلمها الا صانع
العالم وهو الله تعالى يدل كل فرد منها على انه رسوله

واما قولهم وامينه المجتبى

وصفوه بالاجتباء والامانة ليعلم ان الله تعالى لا يظهر
الاعجاز الا على يدي الامين الذي يخبر بالممكن والواجب كثبوت

الصانع ووحدانيته وقدمه ودوامه وثبوت ما سواه ولا يقيم
المعجزة على يدي الكذاب الذي يخبر بما تكذبه العقول كفعل
زرادشت ومزدك وماني ومسيلمة وسائر المتقولة على الله
تعالى لما في اقامة الآية على يدي الكذاب من التلبيس على الخلق
بين النبي والمتنبي وذلك يفضي الى السفه والعجز عن التمييز
بين المحق ليتبع وبين المبطل ليجتنب اما بيان وجه السفه
فلان اقامة الآية على يدي من يثبت الوحدانية والكمال وعلى
يدي من ينفي الوحدانية ويثبت التثنية والنقص سفه
وجهل لما في ذلك من ثبوت المناقضة في الحجج والله
عز وجل واحد قديم عالم حكيم فيتعالى عن ذلك واما
وجه العجز عن التفرقة بين المحق والمبطل فلانه لو اقام
المعجزة للنبي على اثبات الرسالة وجاء مثلها على يدي
المتنبي ولا يمكن الفصل بينهما الا بالآية الخارقة اذ جوهرهما
على السواء والخبر بانه رسول لفظ يتأتى تكلمه من كل احد
افضى ذلك الى العجز عن تمييز المحق من المبطل اذ كلما قامت معجزة

معجزة للنبي جاز ظهور مثلها للمتنبي فينسد على الخلق طريق
معرفة الصادق من الكاذب والحق من الباطل فيفضي
الى العجز عن تمييز المحق من المبطل فتعالى الله الحكيم القدير
عن العجز والسفه فيمتنع قيام المعجزة على يدي المتنبي لذلك
ولا يمتنع قيام الخارق للعادة على يدي المنالة كفرعون
وجري النهر تحته والسامري وخوار العجل ودعوته
الوهية العجل ويكون ذلك واستدراجا لمن ادعى ذلك
ولمن اتبعه على ذلك مع ظهور آيات كذبه وانما لا يمتنع
وجود ذلك على يدي المنالة لان امارات كذبه في دعوى
الربوبية ظاهرة فانه تكذبه خلقته بشهادة التأليف
والتركيب وسائر الدلائل كونه محدثا مصورا مصنوعا فلا
يقع في كونه كاذبا التباس على الخلق بخلاف المتنبي
لانه ليس في خلقته امارة تكذبه في دعواه
فيقع الالتباس بينه وبين النبي فلذلك
افترق الامران

وأما قولهم ورسوله المرتضى

فإنما قالوا ذلك اقتداء بالكتاب الذي هو من أعظم المعجزات
واتباعاً له وإيماناً وتصديقاً حيث قال الله تعالى قل يا أيها الناس
إني رسول الله إليكم جميعاً وقال إنك لمن المرسلين وقال إنا
أرسلناك للناس رسولاً ولم يرسله إلا بعد ارتضائه للرسالة
لأنه تعالى لا يرسل غير المرتضى وهو الذي يخبر بالمغيبات
كرراً دشت ومالي ومن ذلك حيث ادعوا الرسالة من عند
صانع سفيه جاهل

وأما قولهم وخاتم الأنبياء

فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولما تواتر الخبر عمن قامت
المعجزات الظاهرات على رسالته وعصمته صلوات الله عليه
أنه قال لا نبي بعدي وقال أنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبه فصرح

فصرح فقهاء الملة بكونه خاتماً حسماً لدعاوي المتنبئين والدجالين
ولهذا المعنى قال مشايخنا رحمهم الله إذا ادعى أحد بعد نبينا
محمد صلوات الله عليه النبوة لا يقال له ما أبينك على ما تدعي
بل يقابل بالتكذيب والرد لقيام الدلالة القاطعة على أنه
لا نبي بعد محمد نبينا صلوات الله عليه فثبت أن من ادعى
النبوة بعده فهو كذاب دجال فإن كانت له شبهة اعترضه
كشف فإن أسلم وتاب وإلا وجب تطهير الأرض منه
بالحسام القاضب والإلجام الغالب

وأما قولهم وإمام الأتقياء

فإنما قالوا ذلك لأنه بعث بالتقوى عن الشرك والمعاصي
وهو أكثر الأنبياء اتباعاً بالتصديق والتقوى
فأمته الحامدون وهو نبي الحامدين وأمته المتقون وهو
إمام المتقين وهو يوم القيامة قائد الغر المحجلين من آثار
الوضوء وصح بذلك الخبر المنقول

وأما قولهم وسيد المرسلين

فانما قالوا ذلك لدلايل منها قول الله تعالى وإذ أخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية فذكر النبيين
وقدمه عليهم فدل تقديمه في الذكر عليهم مع كونه اخرهم
مبعوثا على تعظيمه واجلاله وتفضيله عليهم ومنها ان الله
تعالى خاطب الانبيا عليهم السلام باسما الاشخاص كقوله
تعالى يا نوح اهبط بسلام وقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا وقوله
وما تلك بيمينك يا موسى وقوله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت
للناس الاية وقال يا هود ونحو ذلك وخاطب نبينا عليه
السلام باسما الشرف والاجلال والتفخيم فقال يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك وقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
وقال يا ايها النبي قل لازواجك ونساء المومنين ولما ذكر
اسم علمه قرنه باسم الرسالة والاختصاص فقال محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار وقال ما كان محمد ابا احد

من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهذا كله
دلالة على تقديمه وتفضيله عليهم ومنها انه ناسخ لشرايع
من تقدمه وليس بعده من ينسخ شريعته وهذا يدل على تفضيله
عليهم ومنها ما روي عنه عليه السلام انه قال لو كان موسى
وعيسى حيين لما وسعهما الا اتباعي وهما صاحبا شريعة منسوخة
وهذا يدل على تفضيله وكونه متبوعا لهم ومنها ما روي عنه
عليه السلام انه قال انا سيد ولد ادم ولا فخر انا اول من
ينشق عنه الارض ولا فخر انا اول شافع انا اول مشفع وهذا دليل
على كونه سيدهم ومنها ما روي انه قال انا اول من يقرع
باب الجنة فيقول الرضوان من فاقول محمد فيفتح ويقول
بك امرت ولا افتح لاحد قبلك ومنها ما روي في حديث
الشفاعة ان الناس يكونون يوم القيامة في كرب فيقول
بعضهم لبعض لو اتينا بعض اصفيا الله ليشفع لنا الى ربنا فيرحنا
من مكاننا هذا فياتون ادم صلوات الله عليه فيدلهم على
نوح صلوات الله عليه فياتون نوحا فيقول لست بصاحب ذلك

وَيَدَّعِي لَهُمْ عَلَى ابْرَهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ فَيَقُولُ
لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ وَيَدَّعِي لَهُمْ عَلَى عِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ
وَيَقُولُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ وَيَدَّعِي لَهُمْ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللهِ
عَلَيْهِ فَيَأْتُونَ فَيَقُولُ أَنَا لَهَا وَهَذَا دَلِيلٌ كَوْنِهِ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ
فَلِذَلِكَ قَالُوا بِأَنَّهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ ع

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

فَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْاِسْمَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ
كَمَا اخْتَصَّ ابْرَهِيمُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ خَلِيلُ اللهِ وَمُوسَى
صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ كَلِيمُ اللهِ وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ
بِأَنَّهُ رُوحُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ
مُحَمَّدًا حَبِيبُ اللهِ وَعَلَى ذَلِكَ اجْمَاعُ الْأُمَّةِ ع

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَكُلُّ دَعْوَةٍ نُبُوَّةٍ

بَعْدَ نُبُوَّتِهِ فَنَفْيٌ وَهُوَ يَ هَذَا اثْبَاتٌ مِنْهُمْ أَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ
بَعْدَهُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ فَدَعْوَاهُ كَاذِبَةٌ بَاطِلَةٌ وَالْغَيُّ
عِبَارَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ وَالضَّلَالِ وَقَوْلُهُمْ فَغَيٌّ أَيْ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ
وَقَوْلُهُمْ وَهَوَيٌ أَيْ أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَى صَدَرَتْ عَنْ هَوَى النَّفْسِ
لَيْسَتْ بِهُدًى مِنَ اللهِ تَعَالَى وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِمَا سَبَقَ بَيَانُهُ
مِنَ الْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ عَلَى كَوْنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ
اللهِ عَلَيْهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ الْخَاتَمِ فَمَنِ ادَّعَى ادَّعَى
النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ فَهُوَ يُرِيدُ تَكْذِيبَ اللهِ تَعَالَى فِي خَبَرِهِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا
خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَتَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ وَيُرِيدُ أَيْضًا تَكْذِيبَ
مَنْ قَامَتِ الدَّلَائِلُ الْقَاطِعَةُ عَلَى ثُبُوتِ رِسَالَتِهِ وَصِدْقِهِ
فِي كُلِّ مَا يُخْبِرُ وَهُوَ مَا ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَا نَبِيَّ
بَعْدِي وَيُرِيدُ أَيْضًا تَكْذِيبَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ حَيْثُ
قَالَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
إِلَى قَوْلِهِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَقَالَ الرَّسُولُ
النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَقَالَ اللهُ تَعَالَى خَبَرًا عَنْ عِيسَى إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُبَشِّرًا

برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فواحد من هذه الادلة
القاطعة كافي في ايجاب العلم قطعا بختم النبوات لمحمد
صلى الله عليه وسلم وانه لم يبق بعده وقت يجوز فيه
دعوى النبوة ولو كان بعده نبي ينتظر لاخبر به فثبت
لان حجج الله تعالى لا تتناقض بل تتأيد وتتعاضد ولذلك
جاء كل واحد من الرسل داعيا الى توحيد الله تعالى
والى الايمان بجميع الرسل وبجميع الكتب السماوية
وكلهم بشروا بنبينا محمد صلوات الله عليه وامروا قومهم
بالايمان به وكما امر نبينا صلوات الله عليه امته بالايمان
بجميع الانبياء عليهم السلام فلو كان بعده نبي لاخبر به
واوجب عليهم الايمان به فلما قال لا نبي بعدي ثبت قطعا
انه لم يبق بعده شيء وهو المبعوث الى عامة الجن وكافة
الورى فهذا اخبار منهم ان رسالته عمت الجن والانس
وانما قالوا ذلك لدلالات موجبات للعلم قطعا منها
قول الله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا

ومنها قوله تعالى وارسلناك للناس كافة فتعميم رسالته
جميع الناس دليل على تعميمها جميع الجن اذ الجن كالتبع
للناس في تسخير الله تعالى العالم للبشر فيكونون تابعا في باب
لزوم الديانة والمحنة لما ركب فيهم العقل والتمييز
ومنها قوله تعالى في غير موضع خطابا للانس والجن
فباي الاء ربكما تكذبان وعلى ذلك روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه اتاه وفد الجن ليلة الجن يسألونه
ان يأتيهم فيعلمهم معالم الدين فمضى اليهم وقرأ عليهم سورة
الرحمن فاتى الى قوله فباي الاء ربكما تكذبان الا كانوا
احسن جوابا من الانس وقال الله تعالى واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما قضي ولوا الى قومهم
منذرين وقال تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من
الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به
وذكر في القصة انهم لما سمعوا القرآن اتفقوا كونه معجزة
فلما عملت الآية فيهم كادوا يكونون عليه لبدا فدلت

هذه الدلائل على أن دعوته عامة لكافة الثقلين

وأما قولهم بالحق والهدى

يحتمل قولهم بالحق أي بعثه الله تعالى بالحق الذي لأجله
خلقت السموات والأرض وهو الدلالة على وحدانيته
صانعهما والاستعباد بالأوامر والنواهي والبعث بعد
الموت والفناء للجزاء في دار البقاء ويحتمل بالحق أي
بالحق الذي لله تعالى عليهم وما لبعضهم على بعض والكل
يرجع إلى معنى واحد وقولهم والهدى أي بالبيان
ليبين للخلق طريق الدين الحق بوفاق الكتب السماوية
والرسل والأنبياء وبما تعرفه العقول المستقيمة
فإن كل من تأمل فيما دعا إليه محمد صلوات الله عليه
من حدث العالم وتوحيد الصانع وإثبات البعث
والجزاء وتصديق الكتب المنزلة من السماء والرسل والأنبياء
وتحقق كونه مبعوثا بالحق والهدى قال الله تعالى وإنك

لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ملك السموات
والأرض ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في القرآن وهو
قولهم وأن القرآن كلام الله عز وجل منه بدا بلا كيفية قولا
وأنزله على نبيه وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وأيقنوا
أنه كلام الله جل وعلا بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية
فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى
وأوعده بسقر حيث قال تعالى فيمن قال إن هذا إلا قول البشر
سأصليه سقر فلما أوعد الله تعالى بسقر لمن قال إن هذا إلا
قول البشر علمنا أنه قول خالق البشر ولا يشبهه قول
البشر ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد
كفر فمن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر
وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر

أما قولهم إن القرآن كلام الله تعالى

فإنما قالوا ذلك بدليل السمع والعقل والإجماع أما دليل

السمع فقول الله تعالى وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله وقوله تعالى يريدون ان يبدلوا
كلام الله ولان الكفرة كانوا يطعنون فيه بانه كلام محمد
يقوله من تلقاء نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لهم انه كلام الله تعالى وعلى ذلك اجمعت الامة
واما دليل العقل فلان الكلام من صفات المدح والكمال
في الشاهد وضده نقص وذم والله تعالى حي قديم ومن
شرط القديم ثبوت الكمال وانتفاء الذم والنقايص
فوجب وصفه بالكلام واما الاجماع فقد اجمعت
الامة على ان القران كلام الله عز وجل واجماع الامة
دليل موجب للعلم ه

واما قولهم منه بدا بلا كيفية

قال الامام ابو حفص الغزنوي رحمه الله في شرحه لعقايد
فقهاء الملة رحمهم الله وغيره من المشايخ انما قالوا ذلك لان
لان كلام الله تعالى صفته اذ هو حي متكلم فلا يشبه كلامه
كلام الخلق كما لا يشبه سائر صفاته من القدرة والعلم
والحيوة والسمع والبصر صفات الخلق اذ صفات الله تعالى
قديمة قايمة بذاته من الازل الى الابد وصفات غيره اعراض
محدثة تحل بذواتهم وتزول فلم يريدوا بقولهم منه بدا
بلا كيفية حدوثه اذ ما كان مخلوقا فمحدثا لا يخلوا عن
الكيفية لكنهم ارادوا بذلك انه تعالى اظهر للسامع قولا
بلا كيفية فارادوا نفي الكيفية عن كلامه تعالى اثبات
ازلية كلامه وقدمه ولا يعنون به حدوث معنى في ذات
الله تعالى ولكن يعنون به انه يطلع الملك او من شاء من
الانبياء على قوله الذي هو صفته ازلية قايمة بذاته وليس
من ضرورة الاطلاع حدوث ما يطلع عليه فانا اطلعنا
على اثار قدرته في خلق العالم وايجاده عند تاملنا فيها
ولم يلزم من ذلك حدوث قدرته تعالى وقد زاغت
المعتزلة وخالفت اهل الحق حيث قالت بحدوث الكلام

لله تعالى والدليل على أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق
أنه تعالى حي متكلم فالكلام صفة له قديمة بذاته كالعلم
والقدرة والحيوة على أن المعتزلة لا يثبتون لله تعالى صفة
لا ذاتية ولا فعلية وإنما الصفة عندهم وصف الواصف
لا غير فصاروا معطلة إذ القول بحي لا حيوة له وقادر لا قدرة
له وعالم لا علم له متناقض ظاهر البطلان كقول القائل
أبيض لا ببياض وأسود لا بسواد ه

وأما قولهم وأنزله على نبيه وحيا

فإنما قالوا ذلك للنصوص المصرحة بالتنزيل والوحي
كقوله تعالى وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن
بلغ وقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات
متشابهات الآية فقال فقهاء الملة رحمهم الله إن القرآن
كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله على ما نص
الله تعالى عليه ه

وأما قولهم وصدقه

وأما قولهم وصدقه المؤمنون

على ذلك حقا فهذا منهم بيان أن الصحابة الذين
شهدوا نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحققوا
إعجازه صدقوا كونه كلام الله تعالى وكتابه وتنزيله ثم
نقلوه إلى من بعدهم على ما تلقوه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ودعوا الخلق إلى إقامة اعتقادا وعملا وجاهدوا
من امتنع على الانقياد له ه

وأما قولهم وأيقنوا أنه كلام الله

جل وعلا بالحقيقة أي تحققوا بالسمع والعقل
بأن كلام الله تعالى صفة له كالعلم والحيوة فيستحيل
أن يكون مخلوقا ككلام البرية ه

وأما قولهم فمن سمعه وزعم أنه

انه كلام البشر فقد كفر وهذا ظاهر لان فيه تكذيبا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه قال القرآن كلام الله عز وجل فمن
زعم انه كلام البشر فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في خبره فيكون كافرا بالرد والتكذيب

واما قولهم وقد ذمه الله تعالى

واوعده بسقر اي عابه الله واوعده عذابه حيث
قال تعالى فيمن قال ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر
اي ما هذا القرآن الا قول البشر فصار ذلك القائل
بذلك كافرا مستحقا دخول سقر من قال بخلق القرآن
فقد جعله كلاما للبشر فيصير كافرا مستحقا للوعيد
المذكور وذلك لوجهين احدهما ان الكلام صفة
من صفات الله تعالى فيكون القائل بكونه مخلوقا قائلا
بتعري ذات الله تعالى عن صفة الكمال في الازل
وواصفا له بضده وهو الخرس والآفة وهو كفر والثاني ان

ان القول بخلق كلام الله تعالى جعل له كلام غيره فيكون
تكذيبا لرسول الله في خبره حيث اخبر ان القرآن كلام
الله تعالى وتكذيب الرسول في خبره يكون كفرا وفيه قول
بحدوث الكلام في ذات الله تعالى اذ الكلام قائم بذات
المتكلم ويستحيل ان يكون ذاته محلا للحوادث ويحال
ايضا حدوثه لا في محل لانه حينئذ يكون عرضا وقيام
العرض بغير محل يقوم به محال فبقي ان يقولوا هو حادث
في محل غير ذات الله تعالى فيكون القرآن كلاما لذلك المحل
لا لله تعالى وهذا قول ذلك الكافر حيث قال ان هذا
الا قول البشر فيكون القول بخلقه تكذيبا لرسول الله صلى الله
عليه في قوله ان القرآن كلام الله وتكذيب الرسول من
اشد المعاصي فيستحق اشد العذاب وهي النار فتوعده
بسقر اذ هو اشد العذاب

واما قولهم فلما اوعد الله تعالى

بسقر لمن قال ان هذا الا قول البشر ولا يشبهه قول البشر
فانما قالوا ذلك لان الكلام صفة المتكلم والقول صفة
القائل فكان القول بخلق القرآن وحدوثه وصفا لله تعالى
بمعنى من معاني البشر فيكون كفرا لما فيه من تشبيه الرب
بالخلق اذ البشر لما كان مخلوقا محدثا كان كلامه الذي هو
صفته مخلوقا وتعالى الله عز وجل عن معاني خلقه

واما قولهم فمن ابصر هذا اعتبر

معناه فمن تامل في هذه المعاني وبحث عنها حتى فهمها
وقع له الاعتبار وهو الوقوف على معاني الاصول والفروع
وقولهم وعن مثل قول الكفار انزجر يجب عليه ان ينزجر
عن مثل قول الكفار وقولهم وعلم ان الله تعالى بصفاته
ليس كالبشر اي ويجب عليه ان يعلم ان الله تعالى بصفاته ليس
كالبشر لان الله تعالى قديم باسمائه وصفاته لم يخل تعريه
عنها في الازل لان في تعريه عن شيء من صفات الكمال نقصا

نقصا والقديم يتعالى عن ذلك لانه واجب الوجود لذاته فكان
ازليا بصفات المدح والكمال وقد تمدح تعالى بقوله هو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله
الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى فكان وصفه بحدوث
شيء من صفات المدح والكمال اشتراكا اياه مع غيره في حدوث
الصفات ووصفا له بتعريه عن صفات المدح في الازل
وذلك في حقه محال وهذا كله من كلام القاضي ابي حفص
الغزنوي وغيره كالقاضي ابي العلا صاعد بن محمد في كتاب
الاعتقاد عن ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد وغيرهم
من العلماء انهم كانوا يقولون القرآن كلام الله غير مخلوق
ولا يتعرضون لما سوى ذلك ثم ذكر ابو العلاء عن ابي يوسف
انه كان مع ابي حنيفة يوما فمر برجل يخوض في القرآن فقال له
ابو حنيفة ان كنت تخوض بذلك الى الله قربة فلا قربة لك اليه

وعليك بما عليه السلف ولا تمار في الله وفي صفاته فان
القرآن كلام الله وآله عما سواه وذكر عن الحسن بن زياد
انه قال اتيت داود الطائي انا وحماد بن ابي حنيفة فجرى
ذكر شيء فقال داود لحماد رحمه الله يا ابا اسمعيل مهما تكلم
المتكلم فيه من شيء رجا ان يسلم منه فليحذر ان يتكلم في
القرآن الا بما قال الله عز وجل لقد سمعت اباك يعني ابا حنيفة
يقول علمنا الله انه كلامه فمن اخذ بما علمه الله فقد
استمسك بالعروة الوثقى فهل بعد التمسك بالعروة الوثقى
الا السقوط في الهلكة فقال حماد جزاك الله من اخ
خيرا فنعم ما اشرت به وعن ابي يوسف قال اما القرآن
فانه كلام الله ووحيه وتنزيله على هذا وجدت ابا حنيفة
والائمة ولم يكن عندهم مخلوقا ولا خالقا وروى عن
الحسن بن زياد انه قال ادركت مشيختنا بالكوفة ابا حنيفة
وزفر وابا يوسف وكل من ادركنا يقولون القرآن
كلام الله لا يجاوزونه فقال له رجل فنعلم كيف كان يقول

يقول فيه ابن ابي ليلى والحجاج بن ارطاة وابن شبرمة قال
ما بين احد منهم اختلاف فيما ذكرت لك قال الشيخ
الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله ذكر اصحاب التواريخ
ان ابا حنيفة رحمه الله ولد سنة ثمانين من الهجرة وتفقه
في زمن التابعين ولقي معهم وناظر عطا وطاوس والشعبي ولقي
نفرا من الصحابة وسمع منهم وكان هو واصحابه يواظبون
على ما كان عليه الصحابة وقد روى الحسن بن ابي مالك
عن ابي يوسف انه قال جاء رجل الى مسجد الكوفة يوم الجمعة
فدار على الحلق يسالهم عن القرآن وابو حنيفة في غيبته
الى مكة فاختلط الناس في ذلك والله ما احسبه الا
شيطانا تصور لي في صورة الانس حتى انتهى الى حلقتنا
فسالنا عنه فنهى بعضنا بعضا من الجواب وقلنا ليس شيخنا
حاضرا ونكره ان نتقدمه بكلام حتى يكون هو المبتدئ
بالكلام فيه وفي رواية غير الحسن بن ابي مالك انه لما قدم
ابو حنيفة رحمه الله من سفر الحج ذكروا له مسئلة وقوع القول

في القرآن فاطرق ابو حنيفة ثم رفع رأسه وقال القرآن
كلام الله ووحيه وتنزيله ثم قال ما احسب هذه المسئلة
تنتهي حتى توقع اهل الاسلام في امر لا يقومون له ولا يقعدون
اعاذنا الله واياكم من الشيطان الرجيم والذي روي عن
ابن زياد عن داود الطائي وقوله لحماد وما يضاهيه من الرواية
عن ابي حنيفة واصحابه وابن ابي ليلى والحجاج وابن شبرمة
فذلك لشدة مواظبتهم على النصوص المصرحة بكون القرآن
كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله اذ لم تكن وقعت مسئلة
القول في القرآن في زمن الصحابة الا ما ذكر عن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه حين قالت له الخوارج حكمت في دينك
الرجال وذلك حين بعث الحكمين فقال رضي الله عنه
ما حكمت مخلوقا انما حكمت القرآن فاقتصر هؤلاء الائمة
في اول وقوع القول في القرآن على ما سبق ذكره ثم لما شاع
القول في الناس وتكلم بعض الناس بخلقه فعند ذلك
تكلموا في معاني النصوص الصريحة من نحو قوله تعالى حتى يسمع كلام

كلام الله وقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله وقوله وكلم الله
موسى تكليما وان الكلام صفة المتكلم كالحيوة والقدرة
والعلم صفات للمتصف بها وروي عن ابي يوسف انه قال
ناظرت ابا حنيفة رحمه الله في القرآن كذي كذي شهرا فاتفق
رأيي ورأيه على ان من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن ابي
يوسف وابي حنيفة فالا من قال القرآن مخلوق فهو ضال
ومبتدع وعن ابي سليمان الجوزجاني وغيره قال سمعت محمد بن
الحسن يقول لا يصلى خلف من يقول القرآن مخلوق ومعلوم
بين ائمة مذهب ابي حنيفة رحمه الله ان كتاب العقائد
الذي رواه ابو جعفر الطحاوي عن ابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد هو الذي اعتمد عليه اهل السنة والجماعة سلفهم وخلفهم
وقد تقدم بيان قولهم وعقيدتهم في القرآن وما تكلم في
شرحه ابو حفص الغزنوي على وجه الايجاز فنذكر الآن
طرفا من اصول سيف الحق ابي المعين النسفي رحمه الله
في فصل ازلية كلام الله عز وجل على مذهب الحق واقاويل رؤساء

نزهة الخلق في الرد على من قال القرآن مخلوق

المعتزلة في ذلك قال ابو المعين في كتابه قال اهل الحق ان
كلام الله تعالى صفة ازلية وهي صفة قائمة بذاته منافية
للسكوت والآفة من الطفولية والخرس وغير ذلك والله
تعالى متكلم آمر ناه مخبر وزعم جمهور المعتزلة بان كلام
الله تعالى عرض محدث احدثه الله تعالى في محل فصار به
متكلما وكلامه من جنس الحروف والاصوات وزعم
الجبائي ومن تابعه بان الكلام حروف مؤلفة واصوات
مقطعة وزعم جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر ومن
تابعهما من المعتزلة بان القرآن خلقه الله تعالى في اللوح
المحفوظ واليه ذهب ابو القاسم الكعبي ومن تابعه من معتزلة
بغداد ولهم اختلافات فيما بينهم لم نذكرها هاهنا وعند
النظام منهم ان الكلام في الشاهد جسم لان عنده لا عرض
الا الحركة على ما يذكر في كتب الكلام ثم عند هؤلاء كلهم
الله تعالى متكلم لانه خالق الكلام والمتكلم عندهم
هو الخالق للكلام وهو آمر بها ناه لانه خلق الامر والنهي قال

قال النسفي وحجة اهل الحق ما تعلق به بعض من قال بازلية
كلام الله تعالى وهو قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون اخبر الله تعالى ان محدث المحدثات
بخطاب كن ولو كان هذا الخطاب محدثا لاحدثه بخطاب
آخر وكذا الثاني والثالث الى ما لا يتناهى فتعلق وجود
العالم بما لا يتناهى مما يدخل في حيز الممتنعات لانه لا يتحقق
وجوده حتى ينتهي الى تكوين ازلي لما قامت الادلة القاطعة
ان المحدث لا يتصور منه الايجاد ومن المعقول لهم
في المسئلة ان يقال ان كلام الله تعالى لو كان حادثا لا يخلوا اما
ان يكون حادثا في ذات الله تعالى او في محل سوى ذات الله تعالى
او لا في محل وهذه الاقسام كلها ممتنعة اما القسم الاول
وهو توهم حدوث الكلام في ذات القديم تعالى وهو ممتنع
محال لوجهين احدهما ان الكلام من صفات المدح
في الشاهد وثبوت ضده نقص فيستحيل تعري ذات القديم
عن صفات المدح والثاني ان القول بحلول الكلام الحادث

في ذات الباري تعالى قول بتغير ذاته والتغير على القديم
محال لأن التغير لا يكون الا بمغير وبذلك عرفنا حدوث
العالم وحدوث الهيولى وبهذا يتبين بطلان قول الكرامية
وأضرابهم حيث جوزوا حدوث الكلام وحدوث صفة
التكوين في ذات القديم تعالى عما يقول الظالمون علوا
كبيرا وأما القسم الثاني وهو القول بحدوث الكلام
لا في محل فمحال ايضا لأن الكلام الحادث يستحيل أن يكون
جسما أو جوهرا لأن الكلام من قبيل الصفات والصفة
ما يتميز به الذات المتصف بها والجسم والجوهر كل واحد
يمتاز بالصفات فتعين كون الكلام الحادث عرضا
لانحصار المحدثات في هذه الأقسام الثلاثة ثم قد تقرر
في الأدلة وبدايه العقول أن العرض لا يقوم بنفسه
بل يفتقر الى محل يقوم به ولهذا لم يقل احد من العقلاء بوجود
حركة أو سكون أو اجتماع أو افتراق أو شيء من الألوان
أو رائحة أو طعم لا في محل ولهذا اتفق جمهور العقلاء

على نسبة الدهرية الى الغباوة بتجويزهم قيام الصور مجردة
عن محالها على أن الكلام لو جاز وجوده لا في محل لم يكن ذات
ما متكلما به اذ ذات ما ليس بأولى بالاتصاف به من ذات
ويستحيل أن يكون الذوات كلها متكلمة بكلام واحد
كما يستحيل أن يكون جميع الأجسام متحركة بحركة واحدة
ولا يشكل بطلان قول من يقول ان الله تعالى وجميع خلقه
موصوفون بكلام واحد واما القسم الثالث وهو القول
بحدوث الكلام في محل سوى ذات القديم فيكون هو
المتكلم به فمحال ايضا لأن الكلام لو حدث في محل لكان
المتكلم الآمر الناهي المخبر هو ذلك المحل لا الله تعالى لأن
الاسم المشتق من الصفة يكون راجعا الى محل الصفة
لا الى محدثه والصفة تكون صفة لمحلها لا لمحدثها الا ترى
أن الميت والأعمى والأعور والأشل والأعرج والأسود
والمتحرك بحال هذه الصفات لا موجدها ومن وصف
موجد هذه الصفات بها تسارع الناس الى اكفاره وقصدوا

ضرب علاوته فكذى هذا ثم بعد ظهور بطلان هذه
الاقسام اما ان ينقاد الخصوم للدليل فيقولوا ان كلام الله
تعالى قايم به وهو امر ناه كما قال اهل الحق فاما ان ينكروا
ان يكون لله تعالى كلام وامر ونهي فتبطل فرضية الايمان
والعبادات وحرمة الكفر والمعاصي لانعدام امره ونهيه
وكون هذا كفر ظاهر فان قالوا ان الله تعالى يخلقه الكلام
في محل آخر يكون متكلما امرا ناهيا قيل فيكون على
زعمكم موجد العرج والشلل والعمى ونحوها هو الموصوف
بها دون من قام بها فان قالوا نعم فقد انسلخوا من الدين
وان لم يلتزموا ذلك لزمهم القول بانعدام الكلام والامر
والنهي من الله تعالى فيكون الله تعالى على زعمهم تعذيب
من جحده وصد عن سبيله وسفك الدما معذبا بغير
جريمة فيكون على قود مذهبهم ظالما لا عادلا تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم هم بنفي الصفات
عن الله تعالى يسمون انفسهم اهل توحيد وهو قولهم انه تعالى

حي لذاته لا حيوة له وقادر لا قدرة له وعالم لا علم له ويسمون
انفسهم ايضا اهل عدل لاثباتهم قدرة تخليق الافعال لغير الله
تعالى قالوا لان تخليق الافعال لو كان من الله تعالى لكان معذبا
لهم على فعله لا على فعلهم وقد ابطلوا بعدلهم هذا توحيد صانع
العالم اذ العالم اعيان واعراض واكثر الاعراض التي هي
الافعال الاختيارية مخلوقا لفاعليها من جميع من يوصف
بالحيوة من الممتحنين وغيرهم من كل ما دب ودرج فكان
العالم عندهم مخلوقا لله تعالى ولمن لا يحصون من الخالقين
وقد سموا انفسهم مع هذا اهل توحيد ولهذا قال علماؤنا
ان المعتزلة يسمون انفسهم اهل عدل وتوحيد وقد
ابطلوا عدلهم بتوحيدهم وتوحيدهم بعدلهم وهذا ظاهر
بحمد الله تعالى قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين
ايده الله ولهم على هذا القسم الاخير اسولة كثيرة اذ هو مذهب
جمهورهم فرددنا عليها الاصول واودعوها كتبهم وحجج
اهل الحق لا تقوم لها شبهات اهل الاهوا والخصومات

اذ حجتهم السمعية محكمة لا يحتمل الانتقاض بتأويلات المبتدعة
وكذلك اجماعهم لا يقوم له خلاف اهل الاهوا لسقوط اعتبار
من خالفهم اذ اجماعهم صار حجة قاطعة بنصوص محكمة
من الكتاب والسنة المتواترة الموجبة للعلم منها قوله صلوات
الله عليه ستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة
في الجنة والباقون في النار قيل يا رسول الله ومن الناجية
قال من كان على ما انا عليه واصحابي وقد صح ايضا قوله
عليه السلام عليكم بالسواد الاعظم وصح ايضا قوله عليه
السلام من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه وقال ايضا في المتواتر لا تجتمع امتي على ضلال وعند
عرض الاقاويل على الكتاب والسنة الواضحة واجماع الصحابة
وسلف الامة يتبين من شذ عن الجماعة وبالله العصمة
ولاهل الحق معقول اخر في المسئلة وهو ان الله تعالى
لو لم يكن متكلما في الازل لكان موصوفا بضد من اضداد
الكلام كالسكوت والافة وذلك محال لان الافة والخرس

عدم بالسواد الاعظم .

والطفولية وغيرها على القديم محال ممتنعة اذ هي من امارات
الحدث وكذي السكوت عنه في الازل منتفي فانه لو كان ساكتا
في الازل لكان لا يتصور اتصافه بالكلام البتة لان الامر
لا يخلوا اما ان كان ساكتا لذاته واما ان كان ساكتا لمعنى
والاتصاف بالكلام مع وجودها يوجب اتصافه بالسكوت
محال ممتنع اذ العدم على ما يوجب كونه ساكتا محال
ذاتا كان ذلك الموجب او معنى لما مر من استحالة العدم على القديم
واذا لم يكن موصوفا بضد من اضداد الكلام ولا يستحيل
اتصاف الذات بالكلام لما هو من صفات الكمال كان موصوفا به
ضرورة اذ لا واسطة بين الكلام واضداده فيستحيل التعري
عنه وتعلقت المعتزلة بقوله تعالى انا جعلناه قرانا عربيا
قالوا والجعل والتخليق واحد وبقوله ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث وبقوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث
قالوا ولا فرق بين المحدث والمخلوق قال الشيخ الامام العالم
نجم الملة والدين ايده الله وجواب اهل الحق في حل شبهاتهم

التسمية هو ان يقال لا تعلق لهم بقوله انا جعلناه قرآنا عربيا لان
معناه والله اعلم جعلنا العبارة عنه بلسان العرب وافهمنا
المراد به باللسان العربي ثم ان اهل اللغة قالوا اذا تعدى
الجعل الى مفعول واحد كان بمعنى الفعل والخلق كقوله
تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور اي خلق الظلمات والنور واذا تعدى الى مفعولين
لا يكون بمعنى الخلق بل يكون بمعنى الحكم والتسمية قال الله
تعالى خبرا عن الكفرة وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا والمراد منه التسمية لا التخليق اي سموا
الملائكة اناثا وقد تعدى قوله جعلناه قرآنا عربيا الى مفعولين
وكذي في قوله الذين جعلوا القرآن عضين والمراد منه التسمية
لا التخليق قال سيف الحق رحمه الله والمراد من قوله من
ذكر من ربهم محدث يحتمل ان الذكر هو الرسول على ما قال
ذكرا رسولا فيكون تاويله ما ياتيهم من رسول محدث الا عليه
استمعوا قوله ويحتمل اي ما ياتيهم من وعظ من النبي صلى الله

ويحتمل اي من ذكر من حديث العهد بهم لا ان يكون في نفسه
حديثا كمن له غلام صغير واشترى غلاما مسنا فانه قد
يقول ادعوا غلامي الحديث وان كان اكبر سنا من الاول
فلم يبق للخصوم في محل النزاع دليل ولاهل الحق دليل اخر
وهو ان كلامه تعالى لو كان حادثا لكان مستحيل البقا اذ الكلام
الحادث عرض والعرض اسم لما لا دوام له ولا يبقى زمانين
وابو هاشم منهم ساعد في الكلام وابو القاسم الكعبي منهم
ساعد في استحالة بقا الاعراض كلها فقد ثبت استحالة
البقا فيما نزل من القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم
على مذهبهم فلم يبق اليوم على قولهم لله تعالى كلام ولا امر
ولا نهي وبطلت الشرايع ثم رامت المعتزلة التخلص عن
هذا الالزام فقالت ان كلام الله تعالى واوامره ونواهيه
وان انعدمت بقيت الشرايع لبقا الاجماع على تلك الشرايع
قال سيف الحق رحمه الله هذا منهم كلام باطل لان الاجماع
كان حجة بالقرآن فبطل بانعدام الكلام والامر به وعرف

بهذا مآل مذاهب المعتزلة هو السعي في ابطال الشرايع ودفع
الدين ورفع الملة الحنيفية نعوذ بالله من قول عقباه هذا
واما قول المعتزلة بان الامر والنهي في الازل مع انعدام المكلفين
مستحيل فهو تشنيع عايد عليهم وهو مع ذلك الحق مناقضة
واشد انقطاع لانهم سالكون هذا المسلك وبان هذا
ان يقال لهم ان عندكم كان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
خطابا لمن يوجد من اهل العقل الى قيام الساعة عند
البلوغ وان كانوا معدومين حال نزول الخطاب ولم يعد
ذلك سفها ولا خروجا من الحكمة استدلالا بالشاهد
فكذي ما قلنا ومن لم يجعل لمن وجد بعد ذلك العصر
مخاطبا بذلك الخطاب مع انقطاع الوحي فقد ابطل
الشرايع واخرج كل الخليقة بعد وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم عن لوازم الامر والنهي واقلتهم عن ربقة الخطاب
والقول به كفر صراح ثم يقال لهم ان كان الامر والنهي
مع انعدام المامور سفها في الشاهد فلم ينبغي ان يكون

في الغايب هكذي فلا بد من اثبات التسوية بينهما ليمكن
الاستدلال وتعدية الحكم الى الغايب عند اتحاد المعنى
اليس ان كل فاعل في الشاهد جسم وهو لحم ودم وعظم
وعصب ولا يلزم مثله في الغايب فكذا فيما نحن فيه ثم
نكشف عن المعنى فنقول الاصل ان وجود المحدث هو
الذي يتعلق بالعلل والحكم لا وجود القديم اذ المحدث لم يكن
ثم كان تكوين غيره اياه فنفحص عن الحكمة التي لاجلها
احدثه الصانع واوجده فاما ما لا ابتداء لوجوده وهو واجب
الوجود لم يكن وجوده متعلقا بمعنى وراء ذاته الذي هو
واجب الوجود اليس ان من قال لا حكمة في وجود صانع
العالم سابقا على العالم سبقا لا نهاية له يستحق وينسب
الى الغباوة والجهل لما مر من العلة فكذا هذا ثم نقول ان
كلام واحد منا في الشاهد محدث فيطلب لوجوده
جهة الحكمة فان كان المخاطب حاضرا موجودا احصلت
له العاقبة الحميدة وان كان معدوما او غايبا لم يتعلق به

العابثة الحميدة فكان سفهاً فأما كلام الله تعالى فهو أزلي
واجب الوجود فلا يطلب لثبوته في الأزل حكمة كما في حق
الذات وهذا هو الجواب لقولهم إن التكلم في الخلوة مع
نفسه لن يكون إلا لتذكر أو لدفع الوحشة والتكلم بدون
ذلك سفه فيقال لهم إن كان هاكذي في حق من كلامه
محدث فأما في حق من كان كلامه أزلياً غير محدث وغير
داخل تحت القدرة فلا يكون كذلك ثم هذا يرد على المعتزلة
حيث زعموا أنه تعالى أحدث كلامه في عصر النبي صلى الله
عليه وسلم خطاباً لمن في عصره ولمن يوجد إلى قيام الساعة
فأما علينا فلا يرد ه وأما قولهم إن الأخبار عن آدم وعصيانه
بلفظ الماضي وعن إبرهيم وإذ قال إبرهيم رب اجعل هذا
البلد آمناً وعن الفاموسي العصا وعن فرعون فكذب
وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى ونحو ذلك قبل وجودها
يكون كذباً والكذب على الله مستحيل قال سيف الحق أبو المعين
رحمه الله في أصوله فيقال لهم أليس إن المروي على طريق

الاستفاضة ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
في أشراط الساعة منعت العراق قفيزها ودرهمها ومنعت
الشام أردبها ولم يوجد بعد وقال صلى الله عليه وسلم
هذا القول قبل هذا بقريب من خمسمائة سنة أكاذب
هو عليه السلام أم صادق فإن قال هو صادق فقد أبطل
احتجاجه ووقع فيما عاب وإن قال هو كاذب فقد كفر وإن
قال هو صادق لأن ثبوت ذلك قد تقرر في علمه كما يتقرر
ثبوت ما وقع فلذا قال منعت قيل له فما قبل منا هذا العذر
ثم يقال أليس إن الكذب كما يتحقق في الأخبار عن الماضي
بأن كان على خلاف ما هو به فكذي يتحقق في المستقبل إذا كان
على خلاف ما هو به فلا بد من بلى فيقال أليس إن الله تعالى
قال قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد
فلا بد من بلى قيل أليس إن هذا قد مضى لأن المخلفين قد انقرضوا
فلو كان الدعا لهم لم يوجد حال حيوتهم وانقرضوا قبل الدعاء
كان هذا إخباراً عن المخبر لا على ما هو به وكذي قوله وهم من بعد

عليهم سيغلبون قد مضى ذلك فلا وجود لشيء من ذلك في المستقبل
بعد مضي هذه الحوادث فان قالوا نعم كل ذلك قد مضى قيل أكذب
هذه الآيات ام لا فان قالوا لا ابطلوا ذلك لهم وان قالوا نعم كفروا
ثم الجواب البرهاني ان يقال ان اخبار الله تعالى اخبار عن المخبرات
باحوالها على اوصافها فاذا لم يوجد مخبره وجب ان يقول بانه
خبر عنه انه يكون واذا وجد وجب القول بانه خبر ثابت
واذا مضى وجب ان يقول بانه خبر عنه انه كان والتغير على
المخبر عنه لا على الخبر دليله ما نلونا من الآيات وكذي علمه
تعالى بالمعلومات فان علم الله تعالى بوجود ادم صلوات الله
عليه قبل وجوده علم بانه يوجد وبعدما وجد علم بانه موجود
وبعد انقراضه علم بانه كان وكذي في كل معلوم سبق علمه
بوجوده ولا تغير على العلم انما التغير على المعلوم
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الرؤية انهم قالوا والرؤية حق
لاهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا جل
وعلا وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتفسيره على ما اراد الله

تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قال ومعناه على ما اراد
لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين باهوائنا فانه
ما سلم في دينه الا ما سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه
وسلم ورد علم ما اشتبه عليه الى عالمه ولا يثبت قدم الاسلام
الا على ظهر التسليم ومن رام علم ما حظر عنه علمه ولم
يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي
المعرفة وصحيح الايمان فتذبذب بين الكفر والايمان
والتصديق والتكذيب والاقرار والانكار موسوسا تائها
شاكا زائغا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا ولا يصح
الايمان بالرؤية لاهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم او
تاولها بفهمه اذ كان ذلك تاويل الرؤية وتاويل الرؤية معنى
يضاف الى الربوبية الا يترك التاويل ولزوم التسليم وعليه
دين المرسلين ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب
النزه فان ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية

منعوت بنعوت الفردانية لبين في معناه احد من البرية
تعالى الله عز وجل عن الحدود والغايات والاركان
والاعضاء والادوات لا تحويه الجهات الست
كسائر المبتدعات

اما قولهم والرؤية حق لاهل

الجنة بغير احاطة ولا كيفية هذا من فقهاء
الملة وهم ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد ومن تابعهم اثبات
بان رؤية الله تعالى حق لاهل الجنة في الجنة وقد اعتقدوا
ثبوتها وحققتها بالكتاب وبالاحاديث الصحيحة
والعقل الصحيح يثبتها ولا ينفيها

واما قولهم بغير احاطة ولا

فانما قالوا ذلك لما قامت الادلة القاطعة على استحالة
الاحاطة به سبحانه وتعالى لانه لا نهاية له ونفوا الكيفية

عن الرؤية الموعودة بها لاستحالة الكيفية في ذات الله
تعالى وصفاته على ما مر في فصل الصفات من البراهين
العقلية والحجج السمعية على تعاليه سبحانه عن الكيفية
والمماثلة لما فيها من امارات الحدث ثم في اثباتهم الرؤية
لله تعالى بغير احاطة ولا كيفية بيان الرؤية لا تتضمن
تشبيه المرئي ولا احاطته ولا تكييفه بل يرى المرئي
على ما هو به كالعلم سواء فان العلم لا يتضمن شيئا من ذلك
بل يعلم المعلوم على ما هو به فان كان المرئي مكيفا يرى
كذلك وان كان غير مكيف يرى غير مكيف فيرى الله تعالى
بلا احاطة ولا كيفية كما يعلم بلا احاطة ولا كيفية

واما قولهم كما نطق به كتاب ربنا

جل وعلا وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة هذا منهم
احتجاج بهذه الآية على اثبات الرؤية وهذا يدل على ان
هذه الآية موجبة بنظر العين وان تأويل المعتزلة اياها على

انتظار الثواب والكرامة تأويل فاسد اذ ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله هم المتبحرون في علم الاصول والفروع وهم
اعرف بالتأويل والتنزيل وقد صرحوا على اثبات الرؤية
فيسقط تأويل المعتزلة

واما قولهم وكلما جاء في ذلك

من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو كما قال ومعناه على ما اراد فهذا منهم اثبات لصحة
الاحاديث المروية في اثبات الرؤية وشهادة منهم
بحقية موجبها اذ ما ثبت في الشريعة يجب الاعتقاد
به لكونه شريعة الله تعالى ثبتت بالمعجزات القاهرات
والدلائل الواضحات فما ثبت كونه منها يقابل بالسمع
والطاعة ولا تضرب له الامثال والمقاييس قال
الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله اخبرني الشيخ
الثقة امين الدين ابو سعد ثابت بن مشرف ابن ابي سعد بن
ابرهيم وهو البناء البغدادي المعروف بابن شيسنان قراءة
عليه قال اخبرنا عمي ابو الحسن علي بن ابي سعد بن ابرهيم قراءة
عليه وانا اسمع قال اخبرنا الشيخ الامام ابو ياسر عبد الله
بن محمد البرداني قراءة عليه وانا اسمع قال اخبرنا القاضي
ابو المظفر هناد بن ابرهيم بن نصر النسفي قراءة عليه وانا
اسمع في الجامع سنة ست وخمسين واربعمائة قال اخبرنا
ابو القاسم علي بن احمد بن محمد ابن الحسن الخزاعي بخاري
قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن يعقوب الحارثي قال حدثنا
ابو عبد الله محمد بن خزيمة بن حسان بن عيسى البخاري
قال حدثنا جابر بن عبد الله النهشلي بمكة قال حدثنا شقيق
ابن ابرهيم البلخي قال حدثنا حماد بن ابي حنيفة عن ابيه
ابي حنيفة النعمان بن ثابت عن اسمعيل بن ابي خالد عن قيس
بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون
القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا

تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا
قال حماد وحدثنا اسمعيل وبيان عن قيس بهذا الحديث
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله تعالى
واخبرني ابو سعد ثابت قراءة عليه قال اخبرني عمي ابو الحسن
علي بن ابي سعد قراءة عليه قال اخبرنا محمد بن احمد بن محمد
ابو عبد الله الموصلي بها قال حدثنا محمد بن عمر بن سلم قال
حدثنا علي بن الفضل بن الطاهر قال لنا هنا دكتب عني
هذا الحديث ابو حازم الحافظ بنيسابور وابو الفضل
الجارودي وهبة الله بن الحسن الطبري وابو عبد الله
الصوري وابو بكر الخطيب الحافظ وجماعة من الحفاظ
وغيرهم قال الشيخ ايده الله هذا حديث صحيح اخرجه
الحفاظ في الصحاح وقد رواه الامام الجليل ابو حنيفة
رحمه الله باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذ به وكذلك رواه ابو يوسف يعقوب بن ابرهيم
باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ به ذكره

القاضي ابو العلا صاعد في كتاب الاعتقاد فقال روى
عن بشر بن الوليد قال كنت جالسا عند ابي يوسف القاضي
فدخل عليه بشر المريسي قال ابو يوسف حدثنا اسمعيل
عن قيس عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديث
الرؤية يعني قوله صلى الله عليه وسلم سترون ربكم لا تضامون
في رؤيته كما تنظرون الى القمر ليلة البدر ثم قال ابو يوسف
اني والله اومن بهذا الحديث واصحابك يكفرون به
قال الشيخ ايده الله فجمع ابو يوسف في حديث الرؤية
بين لفظ الايمان وتاكيده بالقسم بالله عز وجل وهذا
تاكيد ثبوت هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالنقل المشهور اذ الاعتقاد لا يبنى الا على دليل
موجب للعلم وذلك كتاب ناطق او خبر متواتر او مشهور
تلقاه السلف بالقبول او اجماع الامة

واما قولهم ومعناه على ما اراد

فإنما أرادوا بذلك النظر المذكور في الكتاب إلى الرب
تعالى وما صح في ذلك من الخبر فإنه يجب قبوله باعتقاد
الحقيقة والتسليم لما أراد الله تعالى ورسوله صلى الله
عليه وسلم من غير بحث وتأويل لأن الله تعالى لا يعرف
بالقياس ولا يقاس بالناس وإنما يعرف بهدايته وكماله
بصفاته وعلى تعاليه عن معاني خلائقه على ما مر بيانها
فيما مضى

وأما قولهم لا ندخل في ذلك

متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فإنما قالوا
ذلك لأن الربوبية معنى يضاف إلى الربوبية ولا يقاس
ذاته بالذوات لوجدانيته وقدمه ولا يفهم من صفاته
ما يفهم من صفات غيره لأن صفات غيره دلالات
على أن صانعا قديما صنعها ودبرها وذلك يستحيل في حق
صفات القديم تعالى فمن دخل في ذلك متأولا برأيه

فأما أن يؤديه رأيه إلى النفي على الظن أن ذلك تنزيه فيصير
رادا الثابت بالدليل القطعي وذلك ضلال وباطل وإما
أن يؤديه رأيه إلى التشبيه والتجسيم على ظن أنه يثبته
فيصير غلوا وذلك باطل فوجب اعتقاد حقيقة ما ثبت
بالدليل الموجب من غير تشبيه ولا تعطيل وهو سبيل
أهل الحق

وأما قولهم فإنه ما سلم

في دينه إلا ما سلم لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه فإنما قالوا ذلك في كل
ما ثبت كونه من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم
بالدليل الموجب للعلم من كتاب ناطق أو خبر متواتر
أو إجماع فإنه يجب تسليمه لله تعالى ولرسوله صلى الله
عليه وسلم سواء علم الحكمة فيه أو لم يعلم إذ هو من شريعة
علام الغيوب وعقول البشر تقصر عن الوقوف على الحكم
البشرية إذ العقل جزء من أجزاء العالم فكيف يحيط بالكل

الربوبية ما هو جزء من اجزاء عالمه

وأما قولهم ورد علم ما أشتبه

عليه الى عالمه فانما قالوا هذا لوجوب الايمان بالآيات المتشابهات
والاحاديث المتشابهة الثابتة بالنقل المتواتر من غير حمل
اياها على مخالفة النصوص المحكمة الموجبة للعلم ومن غير
اتباع المناقضة بين حجج الحكيم القديم على ما مر في فصل
الصفات والمتشابهات فان قوما تأولوا بآرائهم فعطلوا
وقوما حملوها على ظواهرها فوقعوا في التشبيه والتجسيم
فصاروا معطلة من حيث المعنى اذ قامت البراهين الساطعة
والحجج القاطعة على ان صانع العالم ليس بجسم ولا جوهر
ولا عرض وانه لا مشابهة بينه وبين شيء من العالم

وأما قولهم ولا يثبت قدم

الاسلام الا على ظاهر التسليم فلان الاسلام هو دين الله عز وجل

الذي تعبد به عباده وبعث لاجله الانبياء والرسل
وانزل الكتب السماوية وهو في الحقيقة جعل كلية الاشياء
لله تعالى سالمة لا شريك له فيها في ملك ولا انشاء ولا تقدير
ثم الايمان والاسلام واحد عندهم اعني ابا حنيفة وابا يوسف
ومحمد وسائر المحققين لان الايمان هو التصديق لله تعالى
بالربوبية بشهادة كلية الاشياء لله تعالى بانه خالقها
وربها على ما هي عليها من اثار الحدثية فالمسلم الذي جعل
الاشياء كلها سالمة لله تعالى فجعل خلق الاجسام والجواهر
والاعراض كلها خيرها وشرها من الله تعالى لا كما قالت الثنوية
ان خالق الخيرات هو الله تعالى وخالق الشرور والقبائح
هو اهرمن تعنون به الشيطان فهذا تفسير الاسلام
واما تفسير الايمان ففيه عبارتان احداهما الايمان هو
التصديق لله تعالى بما اخبر انه رب كل شيء وان له الخلق
والامر والعبارة الثانية الايمان هو التصديق بما جاء به
الرسل وذلك يرجع الى ما بينا ان الاسلام والايمان في الحقيقة

هكذى ذكر امام الهدى ابو منصور في كتاب التاويلات وعليه
ائمة التحصيل انهما واحد عند العلماء ودليلهم على ذلك اتحادهما
في المعنى على ما بيناه ونصوص كثيرة منها قوله تعالى قولوا امنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
فامر الله تعالى بالاسلام له في جميع ما امر الله بالايمان به
ومنها قوله تعالى في قصة لوط فاخرجنا من كان فيها
من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فعبر
بالاسلام عمن عبر عنهم بالايمان فالذين سماهم مسلمين
هم الذين سماهم مؤمنين فكان الايمان والاسلام
واحدا في التحقيق ثم الاعمال من نحو العبادات وسائر
الطاعات من موجبات الايمان وشرائع الاسلام
ويدل على ذلك ايضا حديث جبريل عليه السلام حيث
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام

فقال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر والقدر خيره وشره من الله تعالى ثم قال في جواب سؤاله
عن الاسلام فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وان تقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا فذكر في الاسلام الشهادتين وفيهما
جميع ما يجب ان يؤمن به اذ في الشهادة بوحدانية الله تعالى
الايمان والتصديق بالوهية الله واسمائه وصفاته وفي الشهادة
بالرسالة الايمان بجميع ما جاء به محمد من عند الله ثم اتبع ذلك
بشرائع الاسلام وكذى الحديث المشهور المتواتر يؤكد هذا
ويوضحه وهو قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وفي رواية الا بحق الاسلام وحسابهم على الله وهذا
بيان واضح ان الايمان والاسلام واحد وان العبادات وسائر
الاحكام من حقوق الايمان والاسلام وشرائعهما وهذا الذي
ذكرنا كله داخل تحت قولهم ولا يثبت قدم الاسلام الا على ظهر التسليم

فالإسلام هو التسليم لله عز وجل في كل ما ثبت بالدليل الموجب
للعلم والإيمان هو التصديق بحقيقة كل ما ثبت بالدليل الموجب
للعلم وقد مضى ذكر أنواع الأدلة الموجبة للعلم قطعا

وأما قولهم ومن رام علم ما حظر

عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص
التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فمعناه أن كل
من لم يستقبل ما ثبت بدليل يوجب العلم قطعا من كتاب ناطق
أو خبر متواتر أو إجماع الأمة الهادية بالتسليم لله ولرسوله
ولم يقنع بالتسليم فهمه وطلب الوقوف على الحكمة فيما حظر
عن الخلق علمه كان مرامه ذلك منه تحكما وعدولا عن موجب
الإسلام والإيمان فيصير برأيه وتحكمه محجوبا عن خالص التو
حيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان فيبقى متردد ابين نقيضين
بين الكفر والإسلام وبين التكذيب والتصديق ولا إيمان مع
التردد ولا إسلام مع التحكم ولهذا قالوا فتذبذب بين الكفر

والإيمان والتصديق والتكذيب والإقرار والإنكار موسوسا
تائها شاكا رابعا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا
قال الشيخ الإمام العالم نجم الملة والدين فمن أراد أن
يعرف الحق فعليه بالتمسك بالأدلة الموجبة للعلم قطعا
وهي الكتاب المتلو بلا شك والخبر المروي بلا امتراء وهو المتواتر
وإجماع الأمة الهادية وما اشتبه علينا من متشابهات
الكتاب والخبر المتواتر فيؤمن بمراد الله تعالى ومراد رسوله
صلى الله عليه وسلم منها وينفي عن الله تعالى مشابهة الخلق
عملا بالنص المحكم وهو قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
ويصفه بما وصف نفسه في صورة التوحيد والإخلاص
ويعتقد أن الله تعالى قديم حكيم لم ينزل كتابه متناقضا ولا بعث
رسوله صلى الله عليه وسلم بدين متناقض بل يعلم أن الله تعالى
أنزل الكتاب وفيه المحكمات ليتبعوها بالعمل والاعتقاد
وفيه المتشابهات وأخبر أن اتباع ما تشابه منه زيغ فقال
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وثبت قطعا

ان هذه المعاني موافقة للمحكمات ولكن الله تعالى امتحن عباده
باتباع المحكمات والايمان بحقيقة مراده في المتشابهات ليظهر
ما علم في الازل من يحقق ممن يزيغ كما امتحن العباد بالاوامر
والنواهي ليظهر للخلق المطيع من العاصي ومن لم يعرف الحق
بما ذكرت من الادلة القاطعة فهو بما بعدها ابعد وهذا
كما ذكر القاضي ابو العلا الصاعدي في كتاب الاعتقاد فقال
روي عن ابي يوسف انه قال ان لم يعرف الحق بالقرآن والسنة
فهو بالخصومة بالراي عن معرفته ابعد قال ابو العلا رحمه الله
وروي عن ابي سليمان ان رجلا جا الى ابي حنيفة قدس الله روحه
فقال اري مقالات الناس مختلفة ولقد بقيت فيما بينهم متحيرا
لست اقف على صواب القول منهم احب يا ابا حنيفة ان تبين
لي طريقا اكون عليه فانجو غدا من النار وترضى لي ما ترضاه
لنفسك واذا اتابعتك عليه لا الام عليه فقال ابو حنيفة
رضي الله عنه ادركت الناس يقولون من قال اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فقد اخلص الملك لله وبرا ممن عبد

من دونه وخلع الانداد والاشباه ثم البراة من الكفر
والشرك ثم الواجب عليهم بعد الشهادة بوحدانيته واثبات
رسوله اقراره بالمفروضات من الصلوة والزكوة والصوم
والحج لمن استطاع اليه سبيلا فمن استقام على ذلك ومات
عليه فهو من اولياء الله ومن استقام على الشهادة وقصر في هذه
المفروضات فامره الى الله تعالى ان شا عذبه على تضييعه
وان شا عفى عنه واياك ان تشتم احدا من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم ودع سرايرهم الى الله تعالى تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم وتؤمن بالقدر كله ولا تقل
على الله غير الحق وارض للناس ما ترضى لنفسك واكره لهم ما
تكره لها ولا تغل في دين الله ولا تتكلم على الله فان الله لا يسأل
عما يفعل والعباد مسؤلون يوم القيامة قال
الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله قد جمع الامام
الجليل ابو حنيفة قدس الله روحه في هذه الجملة فصولا
بطول شرحها نذكر منها حرفا واحدا وهو قوله ادركت الناس

وهم يقولون من قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
اراد بقوله ادرك الناس الاحتجاج بجماعة الامة وهو
من اعظم الادلة الموجبة للعلم اذ مراده بالناس جماعة
المسلمين وهم الذين نقلوا القرآن وعدد الصلوات
الخمس وجميع الشرعيات والاحكام والحدود فمن خالف
اجماعهم فقد خالف ما نقلوه وهو القرآن والسنة الواضحة
اذ اجماعهم صار حجة موجبة بهما كذي فسره علما الاصول
وذكر القاضي ابو العلا ايضا فقال روي عن ابي عمرو
ابن مطر قال سئل محمد بن اسحق بن خزيمة عن الكلام في الاسماء والصفات
قال بدعة ابتدعوها ولم تكن ائمة المسلمين من الصحابة
والتابعين وائمة الدين وارباب المذاهب مثل ابي حنيفة
ومالك بن انس وسفيان الثوري وابي يوسف ومحمد بن الحسن
والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق الحنظلي ويحيى بن يحيى
وعبد الله بن المبارك ومحمد بن يحيى يتكلمون في ذلك وينهون
عن الخوض فيه وعن النظر في كتبهم بحال والله تعالى انساك

ان يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن

واما قولهم ولا يصح الايمان بالرؤية

لاهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم او تاولها بفهم فهذا
منهم اثبات لرؤية الله تعالى في الجنة اذ دار السلام هي
الجنة قال الله تعالى والله يدعوا الى دار السلام اي يدعوا
الى الجنة وفي تسميتها دار السلام وجهان احدهما ان السلام
اسم من اسماء الله تعالى قال الله تعالى السلام المؤمن فيكون
معناها دار الله تعالى اذ هي دار اولياء الله والثاني سميت الجنة
دار السلام لان من دخلها سلم عن الافات والعيوب والزوال
فيكون معناها دار السلامة وانما قالوا لا يصح الايمان
بالرؤية لاهل الجنة لمن اعتبرها بوهم لان الوهم انما يقع على
الموهوم وهو ما ينطبع في الحواس وهو ما يوصف بالجنس
والكيفية وذلك محال في حق الله تعالى وانما قالوا او تاولها
بفهم لان الفهم يكون بالتامل بالعقل وذلك يكون لمعرفة الدلائل

المنصوبة في العالم على حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته
وقدمه وعلى براءته عن سمات الحدث وامارات النقص واما
فهم المعنى الذي يضاف الى الربوبية فلا سبيل الى ذلك وهذا
هو معنى يضاف الى الربوبية ارادوا بان الربوبية منزهة
عن الماهية والكيفية فلذلك قالوا لا يصح الايمان بالربوبية
الا بترك التاويل ولزوم التسليم كما في العلم بالذات والصفات
يعلم ذاته بانه واحد حي قديم موصوف بصفات المدح
والكمال بلا احاطة ولا كيفية واما قولهم الا بترك
التاويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين فهذا منهم
بيان ان المرسل عليهم السلام سلكوا طريقة واحدة
في الهدى والتوحيد فتوادينهم على ما اقام الله تعالى من
ايات الوحدانية والالوهية وايات الرسالة فاسلموا
لرب العالمين على ما قال تعالى لنبيه عليه السلام قل
ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين
وعلى ما امر خليله ابرهيم صلوات الله عليه بقوله اذ قال له

ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه
الاية وعلى ما قال تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
قال اهل الاصول امروا في الاسماء والصفات وما يجب اعتقاده
ان يكونوا على دين واحد ونهج واحد على ما قال تعالى شرع
لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا
به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فالانبياء
كلهم عليهم السلام على دين واحد وهو الاسلام لرب العالمين
واما في الشرايع فلكل واحد منهم شريعة على حدة على ما قال
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فالانبياء صلوات الله عليهم
تطابقوا في الدين على الطريقة الواحدة المستقيمة والسيرة
المرضية المهدية فدانوا لحجج الله تعالى وبراهينه
وعصموا عن طريقة الفلاسفة والمتكلمين ليعلم انهم
منقادون لوحي الله تعالى وملتزمون لحكمه ومستسلمون
لامره فوجب علينا الاستسلام لما استسلموا والاتباع لسيرتهم
والتدين بطريقتهم ومن رغب عن شيء مما استسلموا له فقد زاغ

عن الحق والهدى ووقع في السفه والضلالة على ما قال تعالى
ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه اذ الانبياء
كانوا على ملته وامر نبينا صلوات الله عليه باتباع ملته على ما قال
تعالى واتبع ملة ابرهيم وذكر القاضي ابو العلا صاعد في كتاب
الاعتقاد فقال روى جماعة من الصحابة قالوا خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني اسرائيل افترقوا على
احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة
وان امتي ستفترق على ثلث وسبعين فرقة كلها في الضلالة
الا السواد الاعظم قالوا يا رسول الله وما السواد الاعظم
قال ما انا عليه واصحابي

واما قولهم ومن لم ينف النفي

والتشبيه زل ولم يصب التنزيه قال القاضي ابو حفص العمري
وهذا ايضا قالوه في الرؤية لان الرؤية لما ثبتت بالنقل
كان نفيها نفيا لما اثبته الشرع ونفي ما اثبته الشرع ضلال

والتشبيه باطل بالنقل والعقل فمن لم يجتنب النفي الذي هو
خلاف الشرع والتشبيه الذي هو خلاف الشرع والعقل
زل عن الدين الحق ولم يصب التنزيه الذي اوجبه الشرع
والعقل فان ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية
منعوت بنعوت الفردانية وهذا ايضا قالوه في فصل
الرؤية حتما عن الحوض في تاويل معاني صفات الرب بالوهم
وفهم الراي لكيلا يقع في التشبيه والكيفية والتجسيم لاستحالة
هذه المعاني على القديم تعالى فان الله تعالى وصف نفسه
بصفات الوحدانية بقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو
الرحمن الرحيم وبقوله وهو الله الواحد القهار وبقوله
وعنت الوجوه للحي القيوم وبقوله قل هو الله احد الله الصمد
ونعت نفسه بنعوت الفردانية بقوله بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وبقوله لم يلد ولم يولد

واما قولهم ليس في معناه احد من البرية

وإنما قالوا ذلك ليلا يتوهم أحد في إثبات الرؤية الموعودة
في الآخرة معاني الرؤية المعهودة في الشاهد من البرية
وإنما يراه أهل الجنة في الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما
عرفوه في دار المحنة والعبادة بلا إحاطة ولا كيفية فإن الله
تعالى نزه نفسه عن معاني خلائقه على المبالغة على نسق
ذكر أقسام العالم فبدأ بذكر الوهيته وربوبيته بقوله تعالى
ذلكم الله ربكم إلى أن ذكر قهره وسلطانه بقوله فاطر السموات
والأرض فدخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات وما فيها
وما فوقها من مخلوقاته ودخل بذكر الأرض تحت قهره وسلطانه
الأرض وما فيها وما تحتها ثم ذكر المقصود من العالم وهم
البشر المشتمل على الأزواج والأصناف بقوله جعل لكم
من أنفسكم أزواجا ثم ذكر ما جعل لهم من الأنعام المشتملة
على الأزواج والأصناف بقوله ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم
فيه ثم ذكر على نسق جميع أقسام العالم تعاليه عن مماثلة
شيء من أقسام عالمه فقال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير فهذا نص محكم لا احتمال فيه نفي تعالى عن نفسه
مشابهة شيء من مصنوعاته ومخلوقاته ومحدثاته التي هي
بذواتها وصفاتها دلالات على ثبوت صانع واحد
حي قديم قادر حكيم مدبر عليم مريد سميع بصير وقد
تقدم ذكر البراهين القطعية فيما مضى فلهذه الأدلة
القاطعة قال فقهاء الملة في تنزيه ذات القديم تعالى
وصفاته ليس في معناه أحد من البرية إذ البرية جميع
الخليقة فيستحيل كون المحدث المخلوق في معنى القديم الخالق

وأما قولهم تعالى الله عز وجل

عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات
فإنما قالوا ذلك لما سبق بيانه من البراهين الساطعة
والحجج القاطعة على تعاليه عن جميع معاني خليقته
إذ الحد وصف المحدود وهو المحصور والغاية عبارة
عن النهاية والأركان والأعضاء صفات الأجسام

والادوات الات الاجسام والقديم سبحانه تعالى عن
هذه الاوصاف كلها لما هي دلالات على صانع قديم صنعها
ودبرها فيستحيل ان يكون الصانع القديم متصفا باوصاف
المصنوعية

واما قولهم لا تخويه

الجهات الست كسائر المبتدعات فانما قالوا ذلك بالنصوص
المحكمة والبراهين القاطعة اما النصوص فنحو قوله تعالى
ليس كمثله شيء نفى عن نفسه مشابهة العالم اياه ففي التحيز
بجهة من الجهات مشابهة الاجسام والجواهر وفي التمكن
في مكان مماثلة للجواهر المتمكنة في الامكنة ففي وصفه
بالجهات قول بالانحصار فيها وفي القول بالتمكن بالمكان
اثبات الحاجة الى المكان وفي كل ذلك اثبات حدوثه
وازالة قدمه وذلك كله محال في حق القديم ومن تلك النصوص
قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد والكفو المساوي والمماثل
فنفى عن نفسه المماثلة والمساواة ومنها قوله تعالى سبحان الله

عما يصفون وقوله سبحان الله عما يشركون فوجب تنزيهه عن
صفات الخلق ومنها قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء
فوجب اثبات تعاليه عن كل ما يفتقر اليه الخلق من الاتصاف
بالمكان والجهة ومنها قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين فاثبت
لنفسه الاستغناء عن جميع العالمين والجهات والامكنة
من اجزاء العالم فوجب اثبات تعاليه واستغنائه عن العالمين
وعن كل وصف من صفات المحدثين ومن البراهين القاطعة
ان الجهات الست محدثة وهي اوصاف للعالم المحدث والله تعالى
قديم لم يزل كان ولا مكان ولا حيز ولا زمان ولا فوق ولا تحت
ولا خلف ولا قدام ولا يمين ولا يسار فلما احدث العالم واخرجه
من العدم الى الوجود صار محصورا بجهات ست فما قطعه من اعلى
صار فوقا وما قطعه من اسفل صار تحتا وما تقدمه صار امامه وما
تاخر عنه صار خلفا وما تيامن عنه صار يمينا وما تياسر عنه صار
شمالا فصار العالم محصورا بالجهات وصانع العالم قديم لم يزل دائم
لا يزال وهو بكل شيء محيط لا كاحاطة الحقة باللؤلؤة بل بالعلم

والقدرة والقهر والسلطان لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وكل شيء بحسب حكمه وقهره وسلطانه ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وهذا كله مذهب اهل الحق وهم اهل السنة
والجماعة وخالفهم في ذلك اليهود والكرامية والغلاة فقالوا بان
الباري تعالى جسم متبعض على مثال صورة البشر وانه في الجهة
العليا في مكان مخصوص وهو العرش وقالت النصارى انه تعالى
جوهر وقد مر ذكر البراهين الساطعة والحجج القاطعة في غير
موضع بان الله تعالى ليس بعرض لان العرض اسم لما لا دوام له يقال
عرض لفلان امر اي معنى لا قرار له ومنه سمي السحاب عارضا لما انه
يعرض ثم يزول ولا يقوم بذاته بل يفتقر الى محل يقوم به فيتعالى
الله عز وجل عن الاتصاف بمعنى لا يدوم وقد قامت الدلائل
القاطعة على ان صانع العالم حي قديم ازلي دائم ابدي واجب
الوجود لا اول لوجوده واجب البقاء لا انتهاء لدوامه وبقائه
والقول بقدم ما لا بقاء له محال وكذا قامت الدلائل القاطعة
ان الفعل المحكم المتقن لا يتأتى الا من حي قادر عالم واتصاف

ما لا دوام له بذاته بكونه حيا عالما قادرا محال وكذا افتقار
القديم الى المحل محال اذ شرط القديم الاستغناء في الوجود
عن غيره وكذا القول بقدم المكان محال وكذا قد قامت
الدلائل القاطعة على استحالة كون صانع العالم جوهرا
اذ الموجود في الشاهد قسمان اعيان واعراض لا يقوم بذواتها
ويستحيل بقاؤها وقد ثبت بالدلائل القاطعة ان صانع العالم
ليس بعرض واما الاعيان فينقسم قسمين الى مركب وهو
الجسم وغير مركب وهو الجوهر وهو الذي يسمى جزءا لا يتجزى
فتأملنا فوجدنا اتصافه بكونه جوهرا محالا ممتنعا
وزعمت النصارى بانه تعالى جوهر ولم يساعدهم احد من
اهل القبلة الا ما ذكر ابن الاسفرايني في كتابه المسمى بتجنيس
المعتزلة ان ابن كرام ذكر في كتابه الملقب بعذاب القبر في
وصف الله تعالى انه احدي الذات احدي الجوهر قال
سيف الحق في كتاب تبصير الادلة هذا من ابن كرام خروج
عن اجماع المسلمين والتحاق بالنصارى وشبهة النصارى

في ذلك ان الجوهر في الشاهد كان جوهرا لانه قائم بالذات
قالوا لان الله تعالى موجود والموجود اما ان يكون عرضا واما
ان يكون جوهرا والله تعالى ليس بعرض فيكون جوهرا اذ لو لم
يكن جوهرا مع انه ليس بعرض لما كان موجودا لان الموجود
ينقسم الى قسمين عين متركب وغير متركب وعرض فلو خرج
الباري عن القسمين جميعا لما كان موجودا قالوا ولانه
تعالى فاعل وما يحوزه الفعل في الشاهد فهو جوهر
وحجة اهل الحق ان الجوهر في اللغة عبارة عن الاصل يقال لمن
اشتهر بالاحسان من ابناء الشرف والسيادة فلان يجري
في الاحسان على شاكلة جوهره الشريف ويقال للثوب
اذا كان بحكم الصنعة جيد الاصل انه ثوب جوهري
وعلى هذا اسموا ما لا يتجزى من اجزاء الجسم جوهرا لما يتركب
منها المتركبات وتجري تلك الاجزاء مجرى الاصول لها فيكون
كل فرد اصلا في المركبات لاستحالة المتركبات بدون الافراد
التي تركب هي منها والله تعالى يستحيل تركيبه الى غيره ليصير

جسما فلم يكن اصلا يتركب منه الجسم فلم يكن جوهرا ثم يقال
لهم ألستم كل جوهر في الشاهد قابل للعرض فهو جوهر
افتجعلون كونه قابلا للعرض حدا له لذاته معه وجودا
وعدما فان قالوا نعم تركوا اصلهم فانهم يقولون انه تعالى ليس
بقابل للاعراض وان قالوا لا ابطلوا دليلهم وقولهم ان الموجود
في الشاهد اما ان يكون عرضا واما جوهرا والله تعالى موجود
وليس بعرض فيكون جوهرا هذا الكلام باطل لان الجوهر في الشاهد
ما كان جوهرا لانه ليس بعرض بل كان جوهرا لانه اصل يتركب
منه الجسم والله تعالى يستحيل عليه ان يكون اصلا يتركب منه
الجسم وليس من ضرورة كونه موجودا كونه جوهرا لان العرض
موجود وليس بجوهر وقولهم ان الله تعالى فاعل وكل فاعل في
الشاهد جوهر قلنا وكل فاعل في الشاهد جسم فاما ما رأينا
جوهرا غير متركب يفعل فعلا فان التزموا جعلوا لله جسما
وهو خلاف مذهبهم وان لم يلتزموا ابطلوا دليلهم ثم ان
هؤلاء الجهال يزعمون ان الله تعالى جوهر واحد ثلثة اقانيم

وكل ما هو قابل للعرض

والأقنوم الصفة عندهم فيكون معناه انه جوهر واحد
ثلث صفات ويفسرون ذلك انه ذات وعلم وحيوة ويسمون
الذات ابا والعلم ابنا والحيوة روحا ويقولون بلسانهم
السورية ابا وابنا وروحا قدسا يعنون به الاب والابن
وروح القدس وهذه جهالة متفاحشة حيث يجعلون
الواحد ثلثة والثلاثة واحدا وكذى يجعلون الذات صفة
ويعدونه في الصفات وكذى يجعلون الذات ابا والصفة
ابنا له وكذى يجعلون الاب والابن قديمين ولا بد من تقدم
الاب على الابن وتاخر الابن عنه ولتجاز هذا مع ارتفاع التقدم والتاخر
لجاز على القلب فيحصل الذات ابنا والعلم ابا وكذى يقتصرون
على هاتين الصفتين مع الذات وهو جهل اذ لا بد من اثبات
صفة البقاء والسمع والبصر والقدرة والارادة اذ البقاء معنى
ورا الذات والسمع والبصر معنيان ورا العلم والقدرة والارادة
معنيان ورا الحيوة قال الشيخ الامام العالم نجم
الملة والدين ابده الله فالنصارى وقعت في هذه الجهالات

المتفاحشة لعدولهم عن آيات الوحدانية والالوهية وتركهم اتباع
البراهين والحجج بهواهم وتكذيبهم من قامت المعجزات القاهرات
على يديه وهو محمد الرسول النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل
وهو بشارة عيسى برسول ياتي من بعده اسمه احمد ولذلك
دعوا الى المباهلة بقوله تعالى قل تعالوا ندع ابنانا وابناءكم ونسانا
ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
فامتنعوا عن المباهلة ودخلوا تحت قبول الجزية لعلمهم بان
من باهل نبيا مرسلا يصطلم وقصة المباهلة مشهورة نطق
بها الكتاب وهي اية من ايات رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه
وانما ذكرنا هذا ليعلم الموحد عظيم نعمة التوحيد فيواظب ابدا
على اتباع حججه واما ابطال قول المجسمة واذ قد ثبت بالادلة
القاطعة ان صانع العالم ليس بعرض ولا جوهر فنا ملنا وقد دلت
البراهين القاطعة على انه تعالى ليس بجسم ويستحيل اتصافه جسما
ولا جوهرا لا من حيث الاسم ولا من حيث المعنى وذلك لان المؤلف
من جوهرين او ما له ابعاد ثلثة وهي الطول والعرض والعمق

هو الجسم وكل ذلك يستحيل على الله تعالى وقد خالفنا في ذلك
طوائف كثيرة من اليهود والمشبهة والغلاة والكرامية وتعلقوا
في ذلك بظواهر المتشابهات المذكورة في الكتاب والاحاديث
واما اهل الحق فانهم يقولون ان القول بان الله تعالى جسم مؤتلف
متبعض متجزي مخالف للآيات المحكمات التي ذكرناها في غير موضع
في فصل اثبات صانع العالم وفي فصل الوحدانية وفي فصل اثبات
الصفات ومخالف ايضا لحجج العقول التي احتج بها ابرهيم
عليه السلام على قومه وسماها الله تعالى حجته فمن حجج
العقول ان القول بانه جسم متبعض يؤدي الى القول بقدم
العالم او الى القول بحدوث الباري تعالى او الى القول بعدم
الصانع للعالم ويؤدي الى ابطال دليل التوحيد اما الاول وهو
ان القول بانه جسم مؤتلف متجزي يؤدي الى القول بقدم العالم او حدوث
الصانع وتقرير ذلك من وجهين احدهما انه تعالى لو كان
جسما مؤتلفا ذا ابعاض واجزاء كما زعمت اليهود والكرامية
المجسمة لكان متناهيا وذلك باطل ولا وجه الى القول بعدم

التناهي مع القول بانه جسم متجزي لان كل جزء منه متناهي وخروج
ما اجتمع من الاجزاء المتناهية عن المتناهي في الذات محال
ولو جاز مع ذلك ان لا يكون متناهيا لجاز كون العالم غير
متناهي من جميع الجهات كما زعمه الدهرية وذلك محال باطل
فصار قولهم انه جسم قابل للتناهي فيثبت كونه على قدر
مخصوص مع كون غيره من الاقدار مساويا له في الكون عليه
واختصاص احد الجائزين لن يثبت الا بمخصص وبهذا استدلت
اهل الحق على ابطال قول الدهرية لاثبات حدوث العالم
والتقرير الثاني ان ما كان متبعضا متجزيا لا بد من ان يكون
على شكل من الاشكال فيكون طويلا او عريضا او طويلا عريضا
وهو المسطح او طويلا عريضا عميقا وهو المكعب او غير ذلك
من الاشكال ثم الكون على جميع الاشكال محال لما فيها من التنافي
والتضاد ولو جاز ذا في الغائب مع امتناعه في الشاهد لجاز
في الغائب اجتماع الحركة والسكون والسواد والبياض
والاجتماع والافتراق وحيث بطل هذا بطل الاول فلم يبق

الا انه على شكل من هذه الاشكال وهيئة من الهيئات ثم بعد ذلك
اما ان يقولوا اختص بالثبوت بشكل من الاشكال لا تخصيص
مخصص فلو جاز ذلك لجاز في العالم ولم يثبت حدوثه مع قيام
دلائل الحدوث وبطل دليل افتقاره الى صانع اوجده وهو
مذهب الدهرية وقد اقمنا الدلائل القاطعة على ابطال ذلك
وخصماؤنا في المسئلة ساعدونا على ذلك واما ان يقال بانه اختص
بذلك تخصيص مخصص فيكون قولا بكونه محدثا محلا لقبول
قدرة الغير وهو محال اذ المحدث لا يكون الها لما مر بطلان
ذلك بالبراهين العقلية والدلائل السمعية التي قامت لثبوت
الصانع القديم الواحد المتعالي عن الاشباه والامثال
والاشكال بحيث لا يقع لمحة عين ولا لحظة بصر على شيء في
العالم الا وهو يدل على وحدانية الصانع وقدمه وكمال
صفاته وتعاليه عن معاني خلقه فثبت ان القول بكون
الباري جسما يؤدي الى القول بقدم العالم وتعطيل الصانع
او الى القول بحدوث الصانع وذلك محال وكل قول يؤدي

الى المحال فهو محال واما الجواب عن تعلقهم بمتشابهات الكتاب
من نحو قوله تعالى خلقت بيدي وقوله ولتصنع على عيني وقوله
الرحمن على العرش استوى وقوله ءامنتم من في السماء وعن تعلقهم
بمتشابهات الاخبار المروية من نحو ما روي ان الصدقة
لتقع في كف الرحمن فيربيها كما يربي احدكم فلوه وما روي ان
الجبار يضع قدمه في النار فقال اهل الحق ان هذه الالفاظ
الواردة في الكتاب التي توهم ظواهرها التشبيه وكون الباري
تعالى جسما متبعضا متجزيا كلها محتملة لمعاني وراء ظواهرها والحجج
المعقولة التي بينا ها غير محتملة والعقول من اسباب المعارف
وقد احتج بها ابو الانبياء ابرهيم صلوات الله عليه على قومه لابطال
الوهية ما سوى الله تعالى بامارات احدثت من الافول والتغير
والانتقال بالذات من مكان الى مكان وهو قوله تعالى خبرا عنه
في افول الكوكب فلما افل قال لا احب الافلين ثم برأ من الوهية من ينتقل
بالذات من مكان الى مكان وفي افول القمر قال يا قوم لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين وفي افول الشمس قال يا قوم اني بريء

بما يشركون جعل وصف الرب بالانتقال والذات من مكان الى مكان
ضلالا وشركا واخبر تعالى انه قال لقومه افتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون فابطل الوهية ما يقع عليه الصنع
ويكون على هيئة وشكل وقد سمى الله تعالى حجة العقل التي احتج
بها على قومه حجته بقوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه في حمل المتشابهات على ظواهرها على ما توهمت المجسمة
والمشبهة اثبات المناقضة بين الكتاب وبين الدلائل المعقولة
وهي كلها حجج الله تعالى وتعالى الله عن تناقض حججه اذ من تناقضت
حججه فهو سفيه جاهل بمآخذ الحجج ومقاديرها والله تعالى
حكيم لا يجوز عليه السفه عالم لا يجوز عليه الجهل قديم لا
يجوز عليه وصف الحدث ولو حملت المتشابهات على ما يوافق
حجج العقول كان فيه اثبات الموافقة بين حجج الله تعالى السمعية
والعقلية وذلك عمل ما تقتضيه الحكمة البالغة فكان حمل تلك
الدلائل السمعية على ظواهرها محالا ممتنعا وكذى في حمل
المتشابهات على ظواهرها اثبات المناقضة بينها وبين الآيات

المحكمات التي وصف الله تعالى بها نفسه بالتعالي عن مماثلة
العالم واثبت لنفسه بها الوحدانية والربوبية فمنها قوله
تعالى مخاطبا لرسوله ولكل عاقل من خلقه قل هو الله احد
نفى به عن ذاته العدد والتجزي وبقوله الله الصمد نفى
عن ذاته معاني الخلق وبقوله لم يلد نفى عن ذاته مشابهة
الاجسام واشكالها اذ من يلد يكون جسما وبقوله ولم يولد
نفى عن نفسه مشاكلة الخلق اذ الولد يكون على شكل الوالد
وبقوله ولم يكن له كفوا احد نفى عن نفسه مساواة شيء
من الاشياء اياه وهو كقوله ليس كمثله شيء فثبت قطعا ان ارادة
الجوارح والاعضاء والتناهي والجسمية مستحيلة عليه ومن
المحكمات قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين اثبت لنفسه
الاستغناء عن العالمين فدخل تحت هذا النص المحكم العرش
وما دونها ومنها قوله تعالى سبحان الله عما يشركون فانتفى عنه
بهذا النص مشاركة الغير اياه في التخليق وفي الصفة وفي
استحقاق العبادة فلا يشاركه شيء في ذات ولا صفة ولا في

شيء ومنها قوله تعالى سبحان الله عما يصفون ومنها قوله تعالى
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير نفى عن نفسه مماثلة العالم
ومنها بهتهم على المبالغة والتصريح فانه ذكره على نسق ذكر اقسام
العالم فذكر الوهيته وربوبيته بقوله تعالى ذلكم الله ربكم
ثم ذكر قهره وسلطانه وقدرته بقوله فاطر السموات والارض
فدخل تحت قهره وسلطانه بذكر السموات وما فيها وما فوقها
من جميع المخلوقات ودخل تحت قهره وسلطانه بذكر الارض
الارض وما فيها وما تحتها ثم ذكر المقصود من العالم وهم
البشر الذين سخر لهم ما في السموات وما في الارض فقال تعالى
جعل لكم من انفسكم ازواجا وهم المشتملون على الازواج
والاصناف والاشكال ثم ذكر ما جعل لمنافعهم بقوله وجعل
لكم من الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ثم ذكر عقيب ذكر اقسام
العالم تعاليه عن مماثلة شيء من اقسام العالم اياه على المبالغة
فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فمن حمل تلك
المتشابهات على ظواهرها التي توهم التشبيه والجوارح والاعضاء

والجسمية التي نفتها هذه المحكمات فقد اثبت المناقضة والمخالفة
بين آيات الكتاب وذلك منه نسبة السفه والجهل الى منزلها
حيث جعل حجج الله تعالى متناقضة مختلفة وذلك كفر
وفيه ايضا نسبة الخطأ والخلف الى الله تعالى وهو ايضا
كفر لانه نفى الاختلاف عن كلامه وكل ذلك وقع فيه المجسم
بهواه وخلافه اتباع الحجج والبراهين وتركه الايتمار بامر الله
تعالى الذي امر به لانا لله ما يرايا من الاختلاف من حيث
الظاهر وهو قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال كتاب مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وانما يزول الاختلاف
عنه بالتدبر والتذكر بنظر اولي الالباب فاطبق اهل الحق
سلفهم وخلفهم على نفي التشبيه والتجسيم والتبعيض والحدود
والاعضاء والاستقرار في مكان والانتقال بالذات من
مكان الى مكان اتباعا للبراهين الساطعة والحجج السمعية
القاطعة وعلموا قطعا ان ما توهمت اليهود والمجسمة والمشبهة

من الاوصاف المذكورة منفية عن الله تعالى وانها ليست
بمرادة بظواهرها المتشابهات وان لها معاني وراء ظواهرها
لائقة بتوحيد الله تعالى وصفاته ثم العلماء اهل السنة والجماعة
في المتشابهات طريقان فطريقة عامتهم الامساك عن التاويل والايمان
بمراد الله تعالى مع نفي التشبيه والتجسيم روي ذلك عن محمد
بن الحسن رحمه الله رواه عنه نصر بن يحيى البلخي عن عمر
بن اسمعيل بن حماد بن ابي حنيفة رحمه الله قال سيف الحق
ابو المعين واليه ذهب من اصحابنا ابو عصمة سعد بن معاذ
المروزي واليه ذهب مالك بن انس امام اهل المدينة وعبد الله
بن المبارك وابو معاذ خالد بن سليمان صاحب سفيان الثوري
وجماعة اهل الحديث كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه ومحمد
بن اسمعيل البخاري وابي داود السجستاني وذكر القاضي ابو
العلا صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد فقال روي عن
ابي يوسف عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد ان ينطق في الله
تعالى بشيء من ذاته ولكن يصفه بما وصف نفسه ولا يقول فيه

برأيه تبارك الله رب العالمين قال ابو العلا وروي عن
ابي مطيع البلخي قال قال ابو حنيفة لا يوصف الله تعالى بصفة
المخلوقين البتة بل يوصف كما وصف نفسه احد صمد لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد حي قادر سميع بصير عليم
يد الله فوق ايديهم ليست كايدي خلقه وليست بجارحة
وهو خالق الايدي ووجهه ليس كوجوه خلقه وهو
خالق الوجوه ونفسه ليست كانفس خلقه وهو خالق
النفوس ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وروى حماد
ابي حنيفة عن ابيه ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال ما الامر
الا ما جاء به القرآن ودعا اليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عليه اصحابه رضي الله عنهم حتى تفرق الناس فاما ما سوى
ذلك فمبتدع محدث واما المتشابهات الخبرية فما صح ورده
بالتواتر والتسليم فيها ما مر ذكره في متشابهات الكتاب
نؤمن بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مع نفي ما توهمت
الجهلة من ظواهرها ونعلم قطعا ان رسول الله صلى الله عليه

لا يصف الله تعالى بخلاف ما وصف الله تعالى نفسه بالمحكمات
التي مر ذكرها وبعض العلماء اشتغلوا بصرف متشابهات
الكتاب والاخبار الى ما يحتمل من الوجوه التي لا تناقض دلائل
التوحيد والآيات المحكمات وذكر سيف الحق ابو المعين في
تعليقهم بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وبقوله أأمنتم
من في السماء وبقوله ان ربك لبالمرصاد وفي آية اخرى ما يكون
من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فقال ائمة الهدى رحمهم الله
لا وجه على اجرائها على ظواهرها فانه لا وجه الى القول
بانه تعالى على العرش وانه في السماء وانه بالمشرق عند المتناجين
بهذا النص وبالمغرب والروم والهند والزنج والعراق بل في
كل بلدة وقرية في حالة واحدة في هذه الامكنة بالذات
على ما توهمت المجسمة انه على العرش مستقر فيكون مستقرا
على العرش بالذات حملا على ظاهر اللفظ وانه في السماء بذاته
على ظاهر قوله أأمنتم من في السماء اذ السماء تحت العرش وسماء
الدنيا تحت العرش وتحت سماوات ولا يمكن الاجراء على ظاهر

قوله انه كل شيء محيط ان يكون محيطا بكل شيء من جوانبه الاربعة
كالحاطة الحقة لما في الحمل على الظواهر من الاستحالة في
القول بالحركة والحلول ومن الكون تحت العرش وتحت السموات
ومن الانتقال بالذات وقد ابطل ابرهيم الوهمية من تنقل
بالذات من مكان الى مكان ومن استحالة كون شيء واحد
في امكنة كثيرة بالذات وليس من يجري بعض هذه الآيات
على الظاهر ويصرف ما وراها الى ما عنده من التاويل
باولى من صاحبه الذي يرى في تعيين المكان خلاف رايه
خصوصا على مذهب من يمنع من التاويل والصرف عن
الظاهر فان نحا على الامكنة مع منع المحكمات والبراهين
القطعيات من الحلول بالمكان صار تاركا قوله أأمنتم من
في السماء وغيره من النصوص المذكورة فيكون تاركا للعمل
بظواهر المتشابهات ومخالفا معاندا للآيات المحكمات
التي تعبد الله تعالى الخلق بها عملا واعتقادا ومعاندا
للحجج العقلية التي احتج بها ابرهيم على قومه وسماها حجته

ولذلك وقعت المجسمة في هذه المناقضات المتفاحشة
التي تقدم ذكرها فاذا ظهرت صحة ما ادعى اهل الحق
من تعذر حمل المتشابهات على ظواهرها وظهر وجوب
صرفها الى موافقة المحكمات وبالله التوفيق والعصمة
ثم السلف في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى يقولون
انه تعالى استوى على العرش كما قال ولا ندعي في استوائه علما
كما ادعت اليهود والمجسمة من الاستقرار والجلوس
والحلول والحركة والانتقال بالذات من مكان الى مكان
وكذي في قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده قال سيف الحق
وما يروى عن السلف من الفاظ يوهم ظاهرها اثبات الجهة
والمكان فهو محمول على هذا الذي ذكرنا من امتناعهم عن
اجرائها على ظواهرها والايمان بتنزيلها وتلاوة كل
اية على ما ذكرنا عنهم وبين السلف الاختلاف في الالفاظ
التي يطلقون فيها كل ذلك اختلاف منهم في العبارة مع
اتفاقهم جميعا في المعنى انه تعالى ليس بمتمكن في مكان ولا متحيز

بجهة ومن اشتغل منهم بتاويل يليق بدلائل التوحيد قالوا
في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اراد به
ثبوت الوهيته في السماء لا ثبوت ذاته وهكذي هذا في قوله
وهو الله في السموات والارض اي الوهيته فيهما لا ذاته
وكذي في قولهم ءامنتم من في السماء اي امنتم من في السماء
الوهيته الا ان الالوهية اضمرت بدلالة ما سبق من
الايات وقوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم اي علم
ذلك ولا يخفى عليه شيء وقوله ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد اي بالسلطان والقدرة وكذي القول بانه فوق
كل شيء اي بالقهر على ما قال تعالى وهو القاهر فوق عباده
وقالوا في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح ان الله تعالى جعل ديوان اعمال العباد في السماء والحفظة
من الملائكة فيها فيكون ما رفع هناك رفعا اليه وهذا
كما في قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقوله
وانتم حينئذ تنظرون قالوا ملك الموت واعوانه والمجسمة

لا يمكنهم ان يقولوا انه بالذات عند كل محتضر ولا ان يقولوا
انه بالذات في السماء لما يلزمهم القول بجعله تحت العرش
وتحت عاتق من السماوات فوقعوا بهواهم في مثل هذه المناقضات
الفاحشة فكون معنى قوله اليه يصعد الكلم الطيب كما في
قوله تعالى حكاية عن ابرهيم اني ذاهب الى ربي اي الى الموضع
الذي امرني ربي ان اذهب اليه وقالوا في قوله ان الذين عند
ربك يعني الملائكة ان المراد منه قرب المنزلة لا قرب المكان
كما قال في موسى وكان عند الله وجيها وقال تعالى واذكر
عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار
قال المفسرون وائمة الهدى اي اولوا القوة في الدين والبصارة
في الامر ولم يفهم احد من السلف والخلف منه الايدي
الجارحة مع كونهم موصوفين حقيقة بالابصار الجارحة
والايدي الجارحة وكيف فهمت المشبهة من قوله خلقت
بيدي اليدين الجارحتين ومن قوله ولتصنع على عيني العين
الجارحة ومن الخبر المروي ان الصدقة تقع في كف الرحمن

مع قول الله تعالى ليس كمثله شيء وقوله ولم يكن له كفوا احد
وقوله سبحان الله عما يصفون وقوله ان الله لغني عن العالمين
فما فهموا من ذلك المتشابهات اثبات الجسم والجوارح والصورة
الا لخبث عقيدتهم وسوء تربيتهم وبالله العصمة من الخذلان
واما قول المجسمة الموجودين القائمين بالذات كل واحد
منهما بجهة من صاحبه فيقال لهم الموجودان القائمان
بالذات كل واحد منهما في الشاهد يجوز ان يكون فوق صاحبه
والآخر تحته انجوزون هذا في الغائب فان قالوا نعم تركوا
مذهبهم فانهم لا يجوزون ان يكون الباري تحت العالم وان
قالوا لا ابطلوا دليلهم فان قالوا ان جهة تحت جهة ذم
ونقص قيل لهم فاذا اثبتم التفرقة بين الشاهد والغائب
عند وجود دليل التفرقة وهو استحالة النقيصة على
الغائب فكذا فيما نحن فيه وجد دليل التفرقة وهو ايجاب
الحدوث وهو ممتنع على الغائب ثم قولهم ان جهة تحت
ذم ونقيصة غير مسلم في الشاهد فانه لا رفعة في علو

المكان اذ كم من جارٍ فوق السطح والسلطان في البيت وكم
من طبيعة وسقاط الرعية على قلة الجبل والسلطان فيما
انهبطا منه ثم يقال لهم كل قائم بالذات في الشاهد جوهر
وكل جوهر قائم بالذات افستدلون بذلك على ان الغائب
جوهر فان قالوا نعم تركوا مذهبهم والتحقوا بالنصارى وان
قالوا لا نقضوا دليلهم ثم انما تجب التعدية الى الغائب
اذا تعلق احد الامرين بالآخر تعلق العلة بالمعلول كما في
العلم والعالم والحركة والمتحرك ثم لا يقتصر على مجرد
الوجود بل يشترط ان تستحيل اضافته الى غيره الا ترى ان
العالم كما لا ينفك عن العلم والعلم عن العالم يستحيل
اضافة كونه عالما الى شيء وراء العلم فعلم انه كان عالما
لان له علما فوجبت التعدية الى الغائب والجوهرية
مع القيام بالذات وان كانا لا ينفكان في الشاهد
ولكن لما لم يكن جوهرا لقيامه بالذات بل لكونه اصلا تتركب
منه الجسم لم يجز تعدية كون الموجود جوهرا تعدي

كونه قائما بالذات الى الغائب ولا تعدية كون الموجود جسما
بتعدي كونه قائما بالذات الى الغائب واذا كان كذلك لم يكن
وجود كل واحد منهما بجهة من صاحبه في الشاهد علة
للوجود اذ لو كان علة للوجود لكان الموجود القائم بالذات
بالجهة وان لم يكن معه غيره ولكان الباري في الازل بجهة
لانه كان موجودا قائما بالذات وهذا محال فان الباري قديم
لم يزل ولم تكن الجهات موجودة في الازل ولان الجهة لا تثبت الا
باعتبار غير الا ترى ان الجهات كلها محصورة على الست وهي
فوق وتحت وخلف وقدام وعن يمين وعن يسار وكل جهة
منها لن تتصور ثبوتها الا بمقابلة غيرها والكل تتركب
من الفرد فكان كل فرد من الجهات لن تتصور الا بين اثنين
فكان تعليق الجهة بالوجود والقيام بالذات جهلا بالحقائق
مع ان كل واحد من الموجودين يثبت باعتبار نفسه دون
غيره والجهة لا تثبت الا باعتبار الغير وامّا قول
الخصوم ان نفي المذكور عن الجهات قول بعدمه لان ما لا

قول الخصوم

جهة له لا يتصور وجوده والجواب ان هذا قول صدر عن
الجهل بمعرفة القديم والمحدث فانهم لما عدوا اهل الحق
في عدم الجهات في الازل وفي ازليته القديم ولا جهة فمن اين
هذا الجاهل ان ما لا جهة له لا يتصور وجوده نعوذ بالله
من الخذلان واجاب بعضهم فقالوا ان النفي عن الجهات كلها
انما يوجب عدم من كان محدودا منحصرا في الجهات فاما
من كان موجودا قائما لم يزل ولا جهة فلا ينصرف اليه
النفي وهذا معنى قول فقهاء الملة فان ربنا جل وعلا موصوف
بصفات الوحدانية منعوت بنعوت الفردانية ليس في معناه
احد من البرية تعالى الله عن الحدود والغايات الى قولهم
لا يحويه الجهات الست كسائر المبتدعات ولان من لم يرض
عقله في التفكر والتدبر والنظر في الدلائل بظن ان صانعه
بجهة منه لما لا يعرف ان التحيز بجهة من امارات الحدث
وانها منفية عن القديم ولما يرى ان صفا الاجرام العلوية
وشرق الاجسام النيرة في الحس يظن جهلا انه تعالى

لا بد من كونه سلك الجهة وما همال النظر في الدلائل الدالة على
الحدث والعدم عبد قوم من الكفرة الاجرام النيرة من الشمس
والقمر والكواكب وبالنظر والتامل في الدلائل الحدث ودلائل
القدم تبرا ابرهيم صلوات الله عليه من الوهية من ما قل وبتنقل
بالذات على ما اخبر الله تعالى في كتابه وسمى ذلك حجته ثم قال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما واما
العارفون بالفرق بين الجائز والممتنع فهم يبنون الامر على الدلائل
دون الوهم وقد قام عندهم الدليل القاطع بان الجهات محدثة
وان صانع العالم قديم لم يزل وان الجهات صفات للعالم وهي
محتوية عليه وتعالى القديم الحكيم عن ان يكون محصورا
بشيء وقد تعلقوا ايضا برفع الايدي الى السما عند المناجاة
والدعا وهذا تعلق باطل لما ليس في ذلك دليل كونه تعالى في تلك
الجهة هذا كما انهم امروا بالتوجه في الصلوة الى الكعبة وليس هو
في الكعبة وامروا برمي ابصارهم الى المواضع سجودهم حالة
القيام في الصلوة بعد نزول قوله تعالى قد افلح المومنون

الذين هم في صلوتهم خاشعون بعدما كانوا يصلون ناظرة
ابصارهم نحو السماء ولم يبدل ما امروا برمي ابصارهم الى مواضع سجودهم
انه في الارض وكذي حالة السجود امروا بوضع الوجوه على الارض
وليس هو تحت الارض وقد امر الله تعالى بالسجود والاقتراب
وورد الخبر اقرب ما يكون العبد من الله تعالى اذا كان ساجدا
ولم يدل ذلك على قرب الذات ولا على كونه تعالى تحت الارض
فكذا هذا بل هو تعبد وكذي المتحري يصلي الى المشرق واليمن
والشام وليس هو تعالى في هذه الجهات بل هو تعبد وقيل ان
العزى جعل قبلة للقلوب عند الدعاء كما جعلت الكعبة قبلة
للوجوه في حالة الصلوة وتعلقت المجسمة ايضا بلفظة
الانزال والتنزيل والجواب عن ذلك ان ذلك منصرف الى الاتي
بالقران وهو جبريل صلوات الله عليه كان ينزل من جهة العلو
لما ان مقامه كان تلك الجهة واما القران فلا يوصف بالانتقال
من مكان الى مكان وانما يحتمله ظهوره وتعلق المجسمة بانهم
لم يجدوا في الشاهد حيا قادرا عالما فاعلا الا جسما فيوصف

بانه جسم باطل فيقال لهم انكم لم تجدوا في الشاهد حيا
قادرا عالما فاعلا الا ما هو لحم ودم متناه من الجهات
الست محل قابل للاعراض افتشترطون هذا في الغائب فان
قالوا نعم فقد انسلخوا من الدين وان قالوا لا ابطلوا دليلهم
ولان استدلالهم بالشاهد هاهنا دعوى بلا برهان لان
كون الموجود جسما في الشاهد لو كان متعلقا بكونه حيا
قادرا فاعلا تعلق العلل بالاحكام لما احتمل الانفكاك
بينهما اذ لا انفكاك بين العلل العقلية وبين احكامها
كما في الحركة مع كون محلها متحركا والسواد مع كون محله اسود
والعلم مع كون محله عالما اذ لا حركة الا بمتحرك ولا
سواد الا باسود ولا علم الا بعالم وحيث رأينا اجساما
ليست بحية ولا قادرة ولا عالمة ولا فاعلة وهي الجمادات
علم ان كونه جسما لم يتعلق بكونه حيا قادرا عالما فاعلا
تعلق العلل بالاحكام فلم يبق الا مجرد الوجود فتبطل تعبديته
بمجرد الوجود وهكذي شان الباطل يتعلق اهله بشبهات

سلاسي ويضمحل عند التبر والتأمل فثبت بالأدلة القاطعة
ان الله تعالى ليس بعرض ولا جوهر ولا جسم وانه لا مشابهة
بينه وبين شيء من الحدثات ثم الكلام في معرفة حد المشابهة
قالت الاشعرية ان المتشابهين والمثلين هما غير ان يسد كل
واحد منهما مسد صاحبه ودليل تفسيد الحد بالمغايرة
ان الشيء لا يشبه نفسه ولا يماثله فدل ان ذلك بين المتغايرين
وانما قالوا يسد كل واحد مسد صاحبه لان ما لا يسد
مسد صاحبه لا يعد مثلا له وان كانت بينهما موافقة
في اوصاف كثيرة كالسواد مع البياض فانهما ليسا بمثلين
وان كان كل واحد منهما موجودا وعرضا ولونا فدل
انه لا مماثلة بينهما مع ثبوت المخالفة بوجه من الوجوه
وقال ابو هاشم وابو بكر بن الاخشيد من المعتزلة ان
المتشابهين هما المشتركان في اخص وصف فقالا لا مماثلة
بين السواد مع البياض مع اشتراكهما في الوجود وفي كونهما
عرضين ولونين لما ان هذه اوصاف عامة وبين السوادين

مماثلة لاشتراكهما في اخص اوصافهما وابو العباس احمد بن
ابرهيم الفلانسي الرازي من متكلمي اهل الحديث يقول
ان المحدثين يشتبهان في الحدوث من حيث هما محدثان
وان اختلفا بعد ذلك في اوصاف سوى الحدوث والشيخ
ابو منصور بهما يميل الى هذا في خلال كلامه وذهب
كثير من المتفلسفة الى ان التشابه يقع بالاشتراك في
اوصاف الاثبات دون السلب فزعموا انه لا يطلق على
الباري تعالى من الاسماء والصفات الا ما طريقه السلب
دون الايجاب فزعموا انه لا يقال انه موجود بل يقال
انه ليس بمعدوم ولا يقال انه حي عالم قادر ولكن يقال
ليس بميت ولا جاهل ولا عاجز قال سيف الحق ابو المعين
في اصوله وساعدهم على هذا الهذيان الباطنية فيقال
لهم هل للعالم صانع فان قالوا لا فقد اظهروا ما هو مكنون
سرائرهم من تعطيل الصانع ونفيه وان قالوا نعم قيل لهم
من هو وباي شيء نعرفه وباي شيء نصفه ومن الموصوف

بالوجدة عندكم ومن الذي به بدور العالم العلوي والسفلي
ومن الذي ابدع العقل والنفس فسميتموهما المبدع الاول
والمبدع الثاني فان اجابوا بشيء هذه هو اصلهم وان سكتوا كفتا
مؤنة مجادلتهم ثم نقول لهم ان المماثلة ليست بما خوذة
عن اطلاق الاسم والقول بل هي ثابتة في المعنى وان لم يطلق
عليه قول فانا اذا رأينا شيئين مماثلين عرفنا ثلهما وان
لم نسمع قولا يطلق عليهما واذا رأينا غير مماثلين عرفنا هما
غير مماثلين وان اطلق عليهما قول واحد وهذا لان الاشياء
دلالات على حقائق المسميات واحوالها واوصافها والدليل
لا اثر له في المدلول الا بالاظهار فاما الوجود او التغير
فلا يتعلق بالدليل الا ترى انا لو رأينا بياضين فسمينا احدهما
باسم والاخر باسم لا تثبت بينهما مخالفة بمخالفة الاسم ولا تزول
المماثلة الثابتة بينهما بمخالفة الاسم ولو سمينا مختلفين
او متضادين باسم واحد لا يوجب التماثل بينهما ولا ترتفع المخالفة
الثابتة ليصيرا متماثلين من جميع الوجوه ثم يقال لهم هل بين

من تنسبون اليه ثبوت العالم وبين العالم مماثلة في المعنى فان
قالوا نعم اثبتوا التشبيه في المعنى بعد ما امتنعوا في الاسم
وان قالوا لا قلنا قد سلمتم خصومكم ثم نقول لهم ان
الموجود منا موجد والعالم منا مستدل او مضطر
والله تعالى موجود بلا موجد وعالم ابتين مستدل ولا مضطر
فان قولنا انه موجود لا يتعرض لكونه موجدا ولا قولنا عالم
يتعرض لكونه مستدلا ولا مضطرا فلا يقع المماثلة لانعدام
ما به يقع المماثلة فدل ان ما ذهبوا اليه باطل ثم مع هذا
يلحق بالاسم المشترك ما يوجب نفي ما يسبق الى توهم المماثلة
وان لم يكن اللفظ متعرضا لذلك صيانة عن الاوهام من لا ادنة
له بالحقائق فنقول هو موجود لا كالموجودين حي لا كالاحياء
عالم لا كالعلماء وكذلك في جميع الصفات وابو حنيفة قدس الله
روحه هو السابق الى هذه النصيحة لعامة الخلق ثم اتبعه علماء
الاصول على ذلك قال سيف الحق ابو المعين ثم اعلم بانا لا نقول
ما نقوله الاشعرية ان لا مماثلة الا بالمساواة من جميع الوجوه

بل نقول يجوز أن يكون الشيء مماثلاً لشيء من وجه مخالفاً
من وجه فإنا نجد أهل اللغة لا يمنعون من القول بأن
زيداً مثل لعمرو في الفقه أو في الطب إذا كان يساويه فيه
ويسد مسده في ذلك الباب وإن كانت بينهما مخالفة بوجوه
كثيرة وكذي في الطول والقصر والشجاعة والجبن وغير
ذلك وكذي قال النبي صلى الله عليه وسلم للحنطة بالحنطة
مثل بمثل وأراد به الاستواء في الكيل دون الوزن وعدد
الحبات والصلابة والرخاوة وأشباه ذلك بحقيقة أن
المماثلة اسم جنس يشتمل على أنواعه وأنواعه أربعة الأول
المشابهة وهي جارية في الحقيقة في نوع من الكيفية
على صورة واحدة كاشتراك ذاتين في قبول الألوان وغيرها
من الأعراض والثاني المضاهاة وهي جارية في الحقيقة
في نوع من الإضافة كاشتراك زيد وعمرو في النسبة
إلى خالد إذا كان أباهما والثالثة المشاكلة وهي في
الحقيقة جارية في نوع من الجوهر على رتبة واحدة كتوبي

نظن وتوبي كسان كل واحد منهما من شكل صاحبه
والنوع الرابع المساواة وهي في الحقيقة جارية في نوع
من الكمية على مقدار واحد كخشبتين أو ثوبين كل
واحد منهما عشرة أذرع أو صبرتين من حنطة كل واحدة
منهما عشرة أقفزة أو زبرتين من حديد كل واحدة خمسة
أمناء كذي ذكر سيف الحق عن بعض من له علم بالحقائق وإذا
كانت المماثلة اسم جنس ويحته هذه الأنواع ثم لا شك
أن إطلاق اسم الجنس على كل نوع من أنواعه جائز فإن
الآدمي يقال له حيوان وكذي جميع أنواعه من الدواب
والسباع والطيور يجوز إطلاق اسم المثل على كل هذه
الأنواع بالحيوانية ثم قد يختص شيئان بثبوت المساواة
بينهما وهو الاشتراك في القدر مع انعدام المشاكلة
والمضاهاة والمشابهة وكذي كل نوع مع سائر أنواعه
ولا شك أن عند انعدام الأنواع الأخر تثبت المخالفة
من ذلك الوجه ومع ذلك لا يمتنع أهل اللغة عن إطلاق

اثم المماثلة بحقيقته ان علماء الاصول استدلوا على المسئلة
في نفي التشبيه فقالوا لو كان الله تعالى مثلا للعالم اما ان
كان مثلا له من جميع الوجوه او كان مثلا له من وجه دون
وجه فلو كان مثلا له من جميع الوجوه كان القديم محدثا
من جميع الوجوه او كان العالم قديما من جميع الوجوه
لان العالم بجميع وجوهه محدث والقديم تعالى قديم
بجميع اسمائه وصفاته ولو كان مثلا له من وجه دون
وجه لكان القديم محدثا من ذلك الوجه او كان العالم
قديما من ذلك الوجه لان العالم من ذلك الوجه محدث
والباري قديم وهذا يبين صحة ما قلنا ان المماثلة بجهة
تثبت مع المخالفة بجهة اخرى عند ارباب الاصول
واهل اللغة وجميع العقلاء وقد تقدم ذكر الحجج
السمعية الموجبة للعلم قطعا باثبات المماثلة بين الله تعالى
وبين شيء من العالم على الاستقصاء والمبالغة والاصل في هذا
كله ان دلائل ثبوت الصانع ووحدانيته وقدمه قد ملأت

السموات والارضين وجميع اجزاء العالم بآيات الصنع
والتدبير حتى لا يرى شيء من اجزاء العالم صغرا او كبرا جلا او دقا
ظهرا او استترا الا وهو يشهد بخلقه بان له صانعا واحدا
قديما قادرا عالما سميعا بصيرا مدبرا حكيما كونه واوجده
ودبره وصنعه فقلنا بثبوته وقدمه ووحدانيته وهذا
كما اخبر الله تعالى عن جواب رسله عليهم السلام حسما لشك
الكفرة حين قالت انا في شك مما تدعونا اليه بقوله قالت رسلهم
افي الله شك فاطر السموات والارض فكما لا شك ولا ريب في وجود
السماء والارض وما بينهما من الموجودات موسومة بسمات
الحدث والمصنوعية من التأليف والتركيب والتسخير فكذلك
لا شك في وجود الصانع وثبوته وكما قال انه لحق مثل ما انكم تنطقون
وكذلك قامت البراهين العقلية والحجج السمعية على استحالة ثبوت
امارات الحدث من المكان والجهة والجسمية وغيرها في حق
القديم تعالى فنفينا ذلك كله عنه لما في اثباتها اثبات حدوث
القديم او بطلان دلائل الحدث وقد قررنا الدلائل القطعية

في مواضع كثيرة ان اثبات حدوث القديم محال باطل وكذلك
بطلان دلائل الحدث محال باطل فوجب العلم قطعا ويقينا
بان الله تعالى واحد قديم حي قادر عالم سميع بصير مريد
مدبر حكيم لم يزل قديما باسمائه وصفاته ولا يزال ابدا
باقيا دائما باسمائه وصفاته وانه كان ولا مكان ولا جهة
ولا زمان وانه لم يزل غنيا بنفسه عن كل شيء يكون ابد
الابدين كما اخبر بقوله ان الله لغني عن العالمين وانه موصوف
بما وصف به نفسه هو الله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
وانه يرى يوم القيامة في الجنة كما وعد واخبر بغير
احاطة ولا كيفية كما يعرف في دار المحنة بلا احاطة ولا
كيفية فيبطل قول منكري جواز الرؤية لثبوتها بالدلائل الموجبة
وكذلك يبطل قول المجسمة المشبهة في اثباتهم الحاجة
الى المكان والجهة واثباتهم التجسيم والتشبيه بالدلائل القطعية
فمعرفة الله تعالى بهدايته وتوفيقه تثبت بالبراهين الساطعة

والحجج السمعية القاطعة لا بالاوهام ولا بمجرد الافهام
بالرأي اذ هما يوقعان في التعطيل تارة وفي التشبيه تارة
فان العقول وان كان يعرف بها حدث العالم وثبوت الصانع
ووحدانيته وقدمه لكنها تقصر عن الحكم البشرية فكيف
تحيط بالحكم الربوبية فان الله تعالى اثبت في نفس كل عاقل
معاني خارجة عن الوهم بخروجها عن درك الحواس ويعلم
وجودها وثبوتها على وجه لم يكن للشك فيه مدخل
لثبوت آثارها وتحقق وجودها كالعقل والروح
والسمع والبصر والشم فان ثبوت هذه الاشياء متحقق
والاوهام والعقول عن الاحاطة بماهيتها قاصرة لخروجها
عن الحواس المؤدية صور محسوساتها الى الفكرة
لتصير حجة على كل من انكر الصانع مع ظهور الايات الدالة
على ثبوته ووجوده لخروجه عن التصور في الوهم
وليعلم ان لا مدخل للوهم في معرفة ثبوت الاشياء الغائبة
عن الحواس ومن اراد الوصول الى ذلك بالوهم ونفى ما لم يتصور

فيه مع طوارئ ثبوته فقد عطل الدليل القائم لانعدام
التصور في الوهم الذي لا يصلح دليلا فيصير كمن انكر وجود
البياض لانعدام ذكره بالسمع بالاذن مع معاينته بالبصر
وجهل الله من هذا فعله لا يخفى على الناس فكذا هذا
فيجب اتباع الدليل الثابت بالنقل سواء وصل اليه الفهم او لم
ومن ذلك النقل المثبت للرؤية في دار الكرامة حتى روي
في غير خبر ان الزيادة المذكورة في قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة هي النظر الى الله تعالى ولا يفهم الرؤية
من الزيادة المذكورة بنفس الصيغة فدل ورود الروايات
على انها هي النظر الى الله تعالى وكان امرا بين السلف
وهذا في الحاصل استدلال باجماع الصحابة وشيوع
القول بالرؤية فيهم قال سيف الحق ابو المعين وذكر الشيخ
ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم في تصنيف له
سماه مسئلة في سلوك اهل العدل بين المشبهة والمعطلة
فقال اتفقت على حديث الرؤية عدة من اصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اجمعين كلهم ائمة منهم
عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس
وصهيب وانس بن مالك وابو موسى الاشعري وابو هريرة
وابو سعيد الخدري وعمار بن ياسر وجابر بن عبد الله
ومعاذ بن جبل وثوبان وعمار بن رويبة الثقفي وحذيفة
عن ابي بكر الصديق وزيد بن ثابت وجرير بن عبد الله
وابو امامة وبريدة الاسلمي وابو برزة وعبد الله ابن
الحارث بن جزء الزبيدي كلهم رووا في اثبات الرؤية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن رد هذا فقد قصد
تكذيب هؤلاء قال ابو المعين في كتاب تبصرة الادلة
الترتيب يقتضي اثبات جواز الرؤية اولا بالدلائل العقلية
ثم الثبوت بالدلائل السمعية الا انا قدمنا الدلائل السمعية
لما ان فيها الثبوت والجواز جميعا فمن اكتفى بها كان
كافيا له ولا يحتاج الى الخوض في الدلائل العقلية قال
سيف الحق ابو المعين في اصوله ومن رام الخوض في الدلائل

المعقول الذي اعتمد عليه المتأخرون من أصحابنا رحمهم الله
فهو أن العلة المطلقة للرؤية في الشاهد هي الوجود فإن
كل موجود رؤيته ممكنة جائزة ودليل ذلك أنا نرى
الجواهر والألوان والأكوان وهي الحركة والسكون
والقرب والبعد والاجتماع والافتراق وقد وافق
الجبائي من المعتزلة على رؤية هذه الأشياء وافق ابنه
أبو هاشم على رؤية بعض الأعراض أيضا وهي الألوان
ووافق النظام منهم على رؤية الألوان غير أنه ادعى أنها
أجسام لأن عندهم لا يرى إلا الجسم وادعاؤه أنها أجسام
ممنوع بل هي أعراض لوجود حد العرض فيها فإن الحركة
عرض بالاجماع وكانت عرضا لاستحالة بقائها بذاتها
واستحالة بقائها وهذا هو حد جميع الأعراض فبطل تعليله
جواز الرؤية بالأجسام حيث لزمه بالدليل جواز رؤية
ما ليس بجسم ثم الدليل مع هذا على ثبوت رؤية الأعراض هو
هو التمييز بالبصر بين الأسود والأبيض وبين المجتمعين

والمفترقين من غير قيام السواد والبياض والاجتماع والافتراق
بآلة الرؤية وهو البصر ولم نعرف كون الجواهر مرئية إلا بالتمييز
بالبصر بين أحيازها فكانت مرئية ولو لم تكن مرئية لعرف وجود
الجوهر وكان لا يوقف على كونه متحركا أو ساكنا أو مجتمعا
أو مفترقا كما لا يوقف على الطعوم والروائح بمجرد الرؤية
لانعدام تعلق الرؤية بها على ما أجرى الله تعالى العادة
وإن كانت مرئية عندنا لكونها موجودة إذا خلق الله تعالى
للعبد رؤيتها والدليل على أن الجواهر مرئية موافقة جميع
المعتزلة إيانا على ذلك فيغنينا الاجماع عن إقامة البرهان
على ذلك وإذا ثبتت رؤية الجواهر والألوان والأكوان
فنقول لا بد من سبر الأوصاف لتتبين العلة المجوزة
للرؤية من الأوصاف الاتفاقية ثم نعدي تلك العلة
من الشاهد إلى الغائب إذ التعدية تكون بأوصاف العلة
لا بأوصاف الوجود اتفاقا فنقول وبالله التوفيق لا جائز
أن يكون المرئي في الشاهد مرئيا لكونه جسما لثبوت رؤية

الألوان والأكوان بالدليل وهما ليستا بجسم ولا جائز أن
يرى لكونه عرضا لثبوت رؤية الجسم وليس هو بعرض
ولا جائز أن يرى لكونه لونا لثبوت رؤية ما ليس بلون
وهو الجوهر والكون ولا جائز أن يرى لكونه ملونا
أو متلونا بالثبوت رؤية الألوان والأكوان وليست هي
بمتلونة لاستحالة قيام اللون بهما ولا جائز أن يرى لكونه
قائما بالذات أو لكونه موصوفا لثبوت رؤية اللون والكون
وليسا بقائمين بذاتهما ولا موصوفين بصفة تقوم بهما
ولو علق الخصوم الرؤية بالقيام بالذات أو بالكون موصوفا
سلمت لنا المسئلة لأن أوائل أصحابنا كانوا يعلقون الرؤية
بالقيام بالذات ولا جائز أن يرى لكونه معلوما أو مذكورا
لأن المعدوم معلوم ومذكور وليس بمرئي ولو علقوا
الرؤية بكونه معلوما أو بكونه مذكورا لزمتهم المسئلة
ولا جائز أن يرى لكونه محدثا لأن من المحدثات ما يستحيل
رؤيته لأن عندنا وإليهم ما سوى الجسم من الموجودات مستحيل

الرؤية وهي محدثة ولا جائز أن يرى لكونه باقيا لأنها لو تعلقت
بالباقي ثبت ما ادعينا لأن الله تعالى باق ونفينا بالدليل
رؤية الألوان والأكوان وهي أعراض وتستحيل رؤيتها
عندنا وإذا ارتفعت هذه الوجوه تبين أن جواز الرؤية كان
متعلقا بالوجود والله تعالى موجود واجب الوجود
والرؤية إثبات الموجود فكان جائز الرؤية بالعقل ثم عرفنا
بنبوتها للمسلمين في دار الكرامة بالدلائل السمعية الموجبة
للعلم ولا يقال إن كثيرا من الموجودات لا يتعلق بها الرؤية
كالقدرة والإرادات والعلوم والطعوم والروائح لأنا
نقول إن التعليل وقع لجواز الرؤية لا للوجوب وهذه
الأشياء جائزة الرؤية إذا خلق الله تعالى رؤيتها
ولم يخلق ضد رؤيتها فإن وجوب الرؤية بتخليق الله
تعالى الرؤية في آلة الرؤية فإذا خلق الرؤية للشيء يرى
ذلك وإن لم يخلق الرؤية لا يرى ولا يخرج الشيء من
أن يكون مرئيا وهذا كما أن الله تعالى لو خلق الإنسان

العلم بشيء من الأشياء علم ذلك الشيء أو لم يعلم ولو لم تخلق
له العلم بقي ذلك الشيء مجهولاً ولم يخرج من أن يكون معلوماً
فكذي هذا فإن بالواقعي فرد كلامكم هذا نحو أن يكون
ههنا بحضرتنا فيلة عظام ترقص وبوقات تنفخ فيها وأعلام
منشورة وفرسان تجول ولم تخلق فينا الرؤية والسمع فلم نقف
على ذلك وركوب مثل هذا خروج عن المعقول قلنا لهم.
شيء مما ذكرتم ليس بلازم فإن الرؤية لما كانت معنى في الآلة
يخلقه الله تعالى عند فتح الإنسان العين لا محالة بلا خلاف
بيننا وبين المعتزلة فإذا كان الرؤية معنى في العين تخلق
الله تعالى عرف ذلك بالاجماع والله تعالى يخلق ما يخلق
باختياره فمن الجائز أن لا يخلق الرؤية فلا نرى وإن لم يكن
بين الرائي والمرئي حجاب لانعدام الرؤية غير أن الله تعالى
لجرى العادة أن يخلق ضد الرؤية عند وجود الشرائط
نظراً للعباد ليمكنهم اخفاء ما لا يعجبهم اطلاع غيرهم عليهم
بتحصيل الشرائط فيحصل ضد الرؤية في الآلة فلا يوجد فكذي

في هذه الأشياء التي ذكروها من الطعوم والروائح والقدرة
والذي يحقق هذا كله ثبوت رؤية النبي صلوات الله عليه
الملك وانعدام رؤية غيره بلا شائبة ولم يكن ذلك إلا
لخلق الله تعالى الرؤية في عين النبي صلى الله عليه وسلم
وخلق ضد الرؤية في عين غيره وكذي المحتضر يرى ملك
الموت وأعوانه صلوات الله عليهم ومن يحضرهم من العواد
والممرضين لا يرون شيئاً من ذلك ثبت ذلك بأدلة سمعية
قطعية يثبت جاحدها إلى الإلحاد والخروج
عن الإسلام فدل أن ما ذهبنا إليه كلام صحيح لا يتوجه
عليه السؤال وبهذا التحقيق نعلم أن الطعوم والروائح
وغيرها من الأعراض التي لم يجر الله العادة برؤيتها مرئية
لوجود العلة المجوزة وانعدام رؤيتها ما كان لاستحالة
رؤيتها بل لخلق الله تعالى ضد رؤيتها في أبصارنا ثم ما أوردوه
من فصل استحالة كون الفيلة بحضرتنا والخيول التي تجول
والبوقات التي تنفخ فيها ونحن لا نراها ولا نسمعها فذلك

فذلك اشكال على انفسهم في رؤية الرسل صلوات الله عليهم
جبريل والملائكة عند تبليغ الرسالة والوحي ورؤية
المحتضرين ملك الموت واعوانه عليهم السلام وقد ثبتت
بالادلة القاطعة فان التزموا اشكالهم الذي اوردوا
ابطلوا على انفسهم الايمان بالرسالة والنبوات وان لم يلتزموه
وجب عليهم الاشتغال بحل ما جعلوه اشكالا على غيرهم
اذ هو اشكال على الكل اما نحن فقد اقمنا البراهين
العقلية الساطعة والحجج السمعية القاطعة التي تبطل
كل شبهة وتحل كل اشكال ثم بعض اصحابنا اجابوا عن
الزامهم بذلك فقالوا ان هذا وان كان من الجائزات ولكن
لما لم يجر الله تعالى العادة بخلق رؤية الفيلة والخيول
المذكورة وغير ذلك في اعيننا فلا نراها وان كانت بحضرتنا
وقع لنا الامان عند انعدام رؤيتنا اياها عن وجودها
بطريق العادة فان الله تعالى لا ينقض العادة المستمرة
الا عند بعث الرسل صلوات الله عليهم معجزة لهم وحجة على

على قومهم او على يدي الولي في بعض الازمنة كرامة له واظهارا
لحقية دين الرسول الذي كان هو به والعلم بالمعتاد
يقين ونقضه ممتنع عادة فيقع لنا الامان من ذلك كما ان
انسانا لو اخبر ان الله تعالى حول رجال خراسان اناثا ونساءهم
ذكرانا عرفنا كذبه بيقين لانعدام العادة وان كان ذلك
ممكنا ثابتا في مقدور الله تعالى وكذي لو ان انسانا اخبر
في وسط الشتاء ان بجبال الترك اشتد الحر وهبت السموم
يعلم كذبه يقينا لانعدام جريان العادة بذلك وكذي
لو ان انسانا دخل بيته ثم خرج علمنا يقينا انه ذلك الرجل
بعينه وان كان من الممكن ان اعدم الله تعالى ذلك الرجل
وخلق اخر على شبهه وهيئته ولكن لما لم يكن ذلك معتادا
علم يقينا بانعدامه كذي ما نحن فيه والعجب من وقاحة المعتزلة
وغفلتهم انهم ينسبون اهل الحق الى التشبيه ولاثباتهم الرؤية
ولم ينظروا ان الرؤية تتعلق بالمتضادات من نحو السواد والبياض
والحمرة والخضرة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق

ولا ريب انه لا مشابهة بين المتضادات وكذي تعلق بالمختلفات
من نحو الجواهر والالوان والاكوان ولا مشابهة بين هذه
الاجناس المختلفة ولا يوجب تشبيه بعضها ببعض فكذي
يتعلق الرؤية بالقديم والمحدث ولا يوجب تشبيه المرئي
بالمرئي ثم انهم اعتمدوا على مجرد الوجود من غير تمييز بين
المعنى المجوز وبين اوصاف الوجود اتفاقا فقالوا وجدنا
الرؤية في الشاهد تتعلق بالاجسام وبعضهم قالوا وجدنا
الرؤية في الشاهد تتعلق بالاجسام والالوان والاكوان
وجعلوا مجرد الوجود حجة وهو مذهب المجسمة والمشبهة
حيث قالوا كل فاعل في الشاهد جسم فكذي في الغائب
هكذي زعمت اليهود وكذي زعمت النصارى انه جوهر
لكونه موجودا ليس بجسم ولا عرض ولا محيص للمعتزلة
عن الزام هؤلاء بمجرد الوجود ولا بد لهم من الرجوع الى
بيان العلة المجوزة للرؤية وليس ذلك الا بما بيناه من سير
الاوصاف التي تكون علة او موجودة اتفاقا ثم اجبنا لهم لنفي

الرؤية باصولة فاسدة تندفع كلها بمعرفة ما بيناه من الاصل
منها قولهم لا بد للمرئي ان يكون في مكان ولا بد من المسافة
بين الرائي والمرئي ولا بد من اتصال الشعاع وانطباع المرئي
في عين الرائي ولا بد من ارتفاع الحجب والستر وغير ذلك
من سنخها ثم كلها تبطل برؤية الله تعالى اياه فانه تعالى
يراه من غير مسافة ومن غير اتصال شعاع ومن غير انطباع
المرئي لمقابلته عن جميع ذلك وهذا مما لا محيص لهم عنه
وتبين بتحقيق رؤية الله تعالى اياه ان جميع ما وجده في
الشاهد فهو من اوصاف الوجود لا من اوصاف العلة
ثم اعترضت المعتزلة على هذا الكلام بما اوجب لهم الانسلاخ
من الدين فانكر النظام والكعبي ومن وافقهما رؤية الله
تعالى للاشياء وقالوا ان الله تعالى لا يرى شيئا من الاشياء
ومعنى وصفه بانه بصير اي انه عالم بالمرئيات فنقول ان
فساد هذا مما لا يخفى لان الرؤية معنى وراء العلم فان انسانا
لو قال رايت كذي ولم اعلم به كان صحيحا ولو كانت الرؤية

في العلم لصار ينفي العلم بافنا عين ما اثبته وصار مناقضا
كالوما لبعد ولم يجلس فبطل ما ذكروا والذي يقرر
هذا ان من راى شيئا ثم غمض عينيه والمرئي بعد بين يديه بدلت
حاله لا محالة وانعدمت منه في هذه الحالة صفة كانت
موجودة قبل الغمض عينيه والمنعدم هي الرؤية لا العلم
وانعدامها مع بقاء العلم دليل انها معنى وراء العلم ثم لو
فتح عينيه بعد ذلك حصلت له صفة كانت منعدمة
في حالة التغميض فدل ان الرؤية معنى وراء العلم والله تعالى
براء عن جهة قال سيف الحق رحمه الله في كتابه
ولم يحصل من هذا المنع لهؤلاء الملحدين الا تكذيب الله
تعالى فيما وصف به نفسه بقوله اني معكما اسمع واري
ونحو ذلك من النصوص وتكذيب رسله صلوات الله
عليهم بما وصفوا به ربهم من نحو جواب رسول الله صلى
الله عليه وسلم لجبريل صلوات الله عليه حين سأله
عن الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم

تكن تراه فانه يراك فحصل لهم من مخالفة اهل الحق في اثباتهم
الرؤية تكذيب مثل هذه النصوص ونسبة العمى الى
الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا اذ الحي
لا يخلو عن اتصافه بالبصر او العمى فاذا انفي عنه البصر
وصفوه بالعمى ضرورة وهو من امارات الحدث ونفي امارة
الحدث او النقيصة اولى من نفي الرؤية عنه ثم ان هؤلاء
مع هذا ينسبون انفسهم الى التنزيه والتوحيد مع ابتنائهم
لخس العيوب واوضح دلالات الحدث قال الشيخ الامام
العالم نجم الملة والدين ابده الله وهذا كله شرح عقيدة
فقهاء الملة في اثبات رؤية الله تعالى ونفيهم عن الله
تعالى ما لا يليق بصفاته من التشبيه والتجسيم والمكان
والصورة والكيفية والجهة وبالله العصمة
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في اثبات المعراج
فقالوا المعراج حق وقد اسرى النبي صلى الله عليه وسلم
وعرج بشخصه في اليقظة الى السماء ثم الى حيث شاء الله تعالى

مِنَ الْعُلَى وَأَكْرَمَهُ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى

أَمَّا قَوْلُهُمْ وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْرَاءَ مِنَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَهُوَ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
بِنَصِّ الْكِتَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْآيَةَ وَكَانَ
فِي ذَلِكَ ظُهُورُ آيَةِ رِسَالَتِهِ فَانْقَطَعَ مَسَافَةَ مَا كَانَتْ
الْقَوَافِلُ تَقْطَعُهَا فِي شَهْرَيْنِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَقَدْ تَوَاتَرَ
النَّقْلُ أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ طَالَبُوهُ بِالْآيَةِ عَلَى أَخْبَرَهُمْ بِهِ
مِنَ الْإِسْرَاءِ وَكَانَ لَهُمْ عِيرٌ سَافَرُوا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
فَسَأَلُوهُ عَنِ الْعِيرِ فَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَ الْعِيرِ وَأَنَّهُ رَآهُمْ فِي طَرِيقِهِ
فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ وَرُوِيَ أَيْضًا أَنَّهُمْ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ إِنَّهُ
لَمْ يُسَافِرْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَنَا وَلَمْ يَرَهُ فَهَلُمُّوا نَسْأَلْهُ
عَنْ آيَاتِهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ وَكَانَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ لَقِيَ الْمَلَائِكَةَ

وَالْتَقَى بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا قَبْلَهُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَمْ يَثْبُتْ
آيَاتِهِ قَالَ فَرَفَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَوَضَعَهُ
بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ آيَاتِهِ إِلَّا أَخْبَرَهُمْ عَنْهَا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ

فِي الْيَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْعُلَى
وَأَكْرَمَهُ بِمَا شَاءَ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى قَالَ الْقَاضِي الْإِمَامُ
أَبُو حَفْصٍ الْعَزْنَوِيُّ وَغَيْرُهُ إِنَّمَا أَثْبَتُوا رَحِمَهُمُ اللهُ الْمِعْرَاجَ
بِشَخْصِهِ فِي الْيَقْظَةِ إِلَى السَّمَاءِ لِمَا تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ
عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ وَالنَّجْمِ
وَغَيْرِ ذَلِكَ وَلِتَجْوِيزِ الْعَقْلِ ثُبُوتَ ذَلِكَ وَكَوْنِهِ فَإِنَّ قِيَامَ
السَّمَاءِ فِي الْهَوَاءِ مَعَ عِظَمِهَا وَسَعَتِهَا وَثِقَلِهَا بِلَا عَلَاقَةٍ مِنْ
فَوْقٍ وَلَا عَمَدٍ مِنْ تَحْتٍ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى أَمْرٌ مُشَاهَدٌ
مُوجِبٌ لِلْعِلْمِ قَطْعًا بِأَنَّ ذَلِكَ بِقُدْرَةٍ ذَاتِيَّةٍ وَقُوَّةٍ أَزَلِيَّةٍ
لَا تَقْدِرُ بِقُوَى الْخَلَائِقِ وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ قِيَامُ

السحاب الثقال وعليها يجوز الماء والسحاب شيء غليظ كثيف
وهو على متن الهواء وهو شيء لطيف لا يحتمل ان يكون مقرا
لشيء كثيف وعليه يجوز الماء وهو شيء ثقيل من شانه وطبعه
النزول والتسفل وهو اعني السحاب الثقال قائم على متن
الهواء بين السماء والارض قد طبق وجه السماء في الطول والعرض
بلا علاقة من فوق ولا عمد من تحت يقف تارة ويسير
تارة فهو امر ظاهر مشاهد محسوس دليل على ان ذلك
بقدرة ذاتية وقوة ازلية لا يعجزها شيء فعروج محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشخصه في اليقظة الى السماوات
العلى مما يثبته العقل ويجوزه فاذا تأيد بالنقل المتواتر
عمن لا يجوز عليه الكذب وجب الايمان بثبوته والاعتقاد
بحقيته وانكاره الحاد وضلال نعوذ بالله من الخذلان
ثم ذكر الطحاوي قولهم في الحوض المورود فقالوا والحوض
الذي اكرمه الله تعالى به غياثا لامته حق قال ابو حفص
الغزنوي وهذا ايضا مما يستجيزه العقل اذ اغاثة الله تعالى

لكافة خليقته بجار الماء محمولا على متن الهواء في السحب الثقال
في هذه الدنيا امر معتاد وكذي اغاثته تعالى بانزال
الغيث عند سؤال انبيائه صلوات الله عليهم عند مسائل
الحاجة معهود معروف فكذي اغاثته في كربات الموقف
يوم القيامة لاهل معرفته عند شدة عطشهم وعظم
كربهم بحوض يردون عليه رحمة بهم واظهارا لعظيم
جاه رسولهم مما يجوزه العقل الصحيح وقد ورد به
النقل الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
قدر حوضي كما بين صنعاء الى ايلة وان آنيته كعدد نجوم
السماء وقد وردت في اثبات الحوض اخبار مشهورة بطول
ذكرها فوجب الايمان به والاعتقاد لصحته وثبوته
ثم ذكر الطحاوي قولهم في اثبات الشفاعة فقالوا
والشفاعة التي ادخرها لهم حق وانما قالوا بثبوتها وحقيتها
لنصوص دلت على ثبوتها من الكتاب والسنة الواضحة
اما الكتاب فنحو قوله تعالى واستغفر لهم وهذا امر

بالشفاعة وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وصاحب
الكبيرة داخل تحت الارتضاء له بالشفاعة لما معه من الايمان
والتوحيد الذي هو اعظم الطاعات المؤهلة الارتضاء وروي
انه لو وضعت السماوات السبع في كفة ووضعت كلمة لا اله
الا الله في كفة لرجحت كلمة لا اله الا الله عليهن وقال
الله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وفي هذا
ثبوت الشفاعة باذنه تعالى وبه نقول وقد تواترت
الاخبار في اثبات الشفاعة منها قوله صلى الله عليه وسلم
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي ولا وجه الى انكارها مع هذه
الدلائل فوجب الاعتقاد بحقيتها ثم ذكر الطحاوي
قولهم في اخذ الميثاق فقالوا الميثاق الذي اخذه الله
تعالى من ادم صلوات الله عليه وذريته حق قال القاضي
ابو حفص الغزنوي اثبتوا ذلك بقوله تعالى واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى اثبتوا اخذ الميثاق ولم يتكلموا في كيفيته فانهم

عدوا ذلك من المتشابه واوجبوا اعتقاد حقيته لورود
الكتاب ولم يشتغلوا بكيفيته لتمكن وجوه الاحتمال
في تاويله ذكر الشيخ ابو منصور في تاويل اية اخذ الميثاق
عن بعض اهل التاويل انهم قالوا ان الله تعالى انما قال الست
بربكم عندما خلق ادم عليه السلام اخرج من يكون
من ذريته الى يوم القيامة مثل الذر فعرض عليهم قوله
الست بربكم قالوا بلى قال الشيخ ابو منصور رحمه الله ثم
اختلف هؤلاء فيما بينهم فمنهم من قال انه جعلهم بالمبلغ الذي
يجري على مثلهم القلم بان جعل فيهم الحيوة والعقل والتمييز
ثم قال لهم الست بربكم فقالوا بلى وهو قول الحسن ومنهم
من قال عرض ذلك على الارواح دون الابدان وقال بعضهم
انه خلقهم صنفين فقال هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء
في النار ولا ابالي وما عرض عليهم قوله الست بربكم وقال
بعضهم عرض على الكل التوحيد فقال الست بربكم
واعلمهم ما عليه احوالهم واحوالهم في الدنيا من الفقر والغنا

والاجل ونحو ذلك ثم قال الشيخ ابو منصور والله اعلم
كيف كانت القصة او كيف ترى احوال الفقر والغنا في
الذر او كيف قال هؤلاء في كذى ولا ابالي مع اجتماع الكل
على القول بلى وقد رأينا في تلك الاخبار التي فيها حديث الذر
ما كان الواجب على المرء وحفظ نفسه وحفظ العوام
عن تبليغها الزم واعظم في النفع وابعد عن الشبه من
الاشتغال برواياتها فنسأل الله العصمة عما به الهلاك والتوفيق
للنصح لمن به نجاة كل سامع فانه لا قوة الا بالله ثم قال ومنهم
من ذهب في تاويل الاية الى المعروف من امر ذرية آدم
واخذهم عن اصلاب الآباء والانشاء في الارحام على ما كان
ويكون الى يوم القيامة على ما قال تعالى فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب
وعلى ما قال تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
الاية وغير ذلك مما احتج الله تعالى به لاثبات ربوبيته

والوهيته من اول ما جرى به تدبير البشر الى آخر ما ينتهي به
امر البشر كقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم وكقوله هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء مما يعجز عن تقديره وسع الخلائق وكيف قلبهم
من حال الى حال وصورهم في احسن تقويم في ظلمات
ثلث مع ما ركب فيهم من العقل والسمع والبصر وما جعل
في كل من ذلك مما لا تبلغه الاوهام ولذلك قال وفي
انفسكم افلا تبصرون فكان ذلك هو العهد الى جميع الذرية
واشهادا انفسهم عليه بتعالي من دبرهم على ذلك وانشاهم
عن ان يكون له كفوا او شريك فذلك هو معنى اشهادهم
على انفسهم اي جعلهم على انفسهم شهودا ان يعلموا ان مدبرهم
هو ربهم لا رب لهم غيره مع ما يعرف كل منهم عجز نفسه عن
تدبير ولده ويعرف جهله باحواله من حين سل من صلبه
واستقر في رحم امه ففي ذلك بيان على انه لم يكن هو بابائه
وامهاته ولم يكن لهم فيه علم ولا تدبير في حالة كونه في مضمون

ابوته ولكن كان تكونه وتصوره في تلك الظلمات الثلث
برب العالمين وقد عرف هذا كل منهم فذلك هو المعنى
الذي يلزمهم ان لا يقولوا انا كنا غافلين عن هذا وذلك
قوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قال
ابو منصور رحمه الله والذي يبين ان هذا التاويل احق
من الاول قوله في سياق الاية واذ اخذ ربك من بني
ادم من ظهورهم واقا ويل اولئك على الاخذ من ادم
وانه خلاف ظاهر القران ويدل ايضا على كون هذا التاويل
احق قوله واشهدهم على انفسهم ان يقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين وهو المعنى الذي سبق ذكره
تكونه وتصوره بصنع رب العالمين وكيف يقع تحذيرهم
عن القول بذلك على قول اولئك هم مثل الذر ولبس
احد منهم بذكر انه خرج كالذر قال الست بربكم وان نبه
بكل انواع التنبيه ويدل عليه ايضا قوله او تقولوا انما
اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اي لا تقولوا انما اشرك

واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي يقول لهم يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين

اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ولبس في ذلك
العرض الذي ذكروا ما يمنعهم عن هذا القول اذا لم يكن عندهم
بذلك فدل ان التاويل الثاني احق ولان اولئك قالوا انه
جعل الذر فريقين فقال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء
في الجنة ولا ابالي وفي القران اجتمعوا جميعا في القول
بلى حيث قال الست بربكم قالوا بلى ليس فيه انه اقر البعض
دون البعض وذلك عدل توحيدا فدل ان التاويل الثاني
احق قال الشيخ ابو منصور رحمه الله ثم قوله خبرا
عنهم قالوا بلى يكون نطقا ويكون خلقة فاما النطق فانه
لا يسال احد قبل التلقين الا وهو يقول بالرب والخالق
وعلى ذلك قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
واما بلى بالخلقة فان خلقة كل منهم بالتاليف والتركيب
تشهد بواحد حي قادر بلا شريك لما في العدد من التدافع
والتمانع الموجب لتعطل المصنوع طلبا للكمال الذي هو

شرط الآلة فلا يتحقق المصنوع حتى يظهر الغالب فإذا تحقق
المصنوع ثبت وحدانية الصانع وهو الله الواحد القهار
قال أبو منصور رحمه الله فإن قيل على ماذا يخرج تأويل
السلف قيل لعلهم وجدوا فيه خبرا ظنوا أن الآية تخرج
عليه فأولوها على ذلك وأما خبر القسمة هؤلاء في
الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فكأنه ورد
لا في حادثة العرنيين وصل بآخر حديث الذر فيظن
أنه ورد فيه ولئن كان في حديث الذر فيحتمل أن
يكون في الآية ذكر إجابة أحد الفريقين قالوا بلى أريد به
البعض الذي قال فيهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي ويحتمل
أنه كان بين الجميع اتفاق في أصل الإقرار بالألوهية
والربوبية وكان الاختلاف فيما وراءه وهذا كما يوجد
في هذا القدر اتفاق بين عامة الكفرة وأهل الإسلام
وإن كان بينهم اختلاف فيما وراءه ويثبت لهم سمة
الكفر لما أنكروا دون ما أقروا به فعلى ذلك في القول

بلى فهذه الوجوه أوجب فقهاء الملة الاعتقاد بحقية
أخذ الميثاق من آدم وذريته وسكتوا عن ذكر كيفية
الأخذ ثم ذكر الطحاوي قولهم في سعة علم الله عز وجل وأزليته
فقالوا وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة
ويدخل النار جملة واحدة فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص
منه وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوا وكل ميسر لما خلق
له والأعمال بالخواتيم والسعيد من سعد بقضاء الله والشقي
من شقي بقضاء الله تعالى ه

أما قولهم وقد علم الله تعالى

فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ويدخل النار جملة واحدة
فإنما قالوا ذلك تأكيدا لما قالوا من أزلية صفات الله تعالى
الذاتية والفعلية بقولهم ما زال صفا قديما قبل خلقه
وبيانا لسعة علم الله تعالى وأن علمه لا يقدر بعلوم الخلائق
وحسما لمادة الشك في القضاء والقدر من الضعفة

ودفعا للتلبيس أوهام القدرية على العوام حيث زعمت كيف
يعذب الله تعالى على ما قضاه وقدره فبين فقهاء الملة رحمهم الله
بقولهم وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة
ويدخل النار جملة واحدة أي علم من يدخل الجنة أنهم يؤمنون
ويطيعون عن اختيار وإيثار وعلم عدد من يدخل النار
أنهم يكفرون ويخالفون أوامره عند الوجود والبلوغ والعقل
عن اختيار منهم لا عن جبر واضطرار فيستوجبون النار
ويستحيل أن لا يعلم ما يكون من يخلق فإنه قبل وجودهم
إذ ذاك جهل والجهل في حق القديم محال لما مر من البراهين
والحجج فثبت سبق علمه في الأزل بما يكون من يخلق فإنه من
صفاته القضاء والقدر والحكم ومحال أن يقضي بخلاف
ما علم إذ في ذلك تجهيل علمه وذلك محال في حقه لما فيه
من بطلان العلم ولزوم الجهل فثبت أنه يقضي بما سبق علمه
في الأزل أنهم يفعلون ما يفعلون عن اختيار وإيثار لا عن جبر
واضطرار فكان ذلك منه عدلا فبطل ما توهمت القدرية

وأما قولهم على نسق ما ذكروا

وكل ميسر لما خلق له فإنما قالوا ذلك لقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعملوا وقاربوا وسددوا فكل ميسر لما خلق له
معناه جدوا في العمل واجتهدوا ولا تدعوا أعمالكم محتجين
بالقضاء فإن الله تعالى دعاكم إلى طاعته وأمركم بالمجاهدة

وأما قولهم والأعمال بالخواتيم

فإنما قالوا ذلك لورود الأخبار كذلك قال أبو حفص
الغزنوي وقد ورد في معنى ذلك أن الرجل قد تدركه الندامة
في آخر عمره فيتوب إلى ربه فيختم له بالخير وقد يدركه
العجب أو ما يحبط عمله فيختم له بالشر وورد أيضا أن
الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى يبقى بينها باع أو ذراع فتدركه
الشقاوة فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل
أهل النار حتى يبقى بينه وبينها باع أو ذراع فتدركه السعادة

فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة

واما قولهم والسعيد من سعد

بقضاء الله تعالى والشقي من شقي بقضاء الله تعالى قال الغزنوي
انما قالوا ذلك لان الله تعالى لا يقضي بسعادة احد الا
بعد علمه بانه يخرج من الكفر الى الايمان ولا يقضي
بشقاوة احد الا بعد علمه بانه يخرج من الايمان الى الكفر
فعلمه بالجاد ثابت سابق لقضيه عليهم ولهم بما سبق علمه
فيهم قبل وجودهم وهو مطلع على السرائر بعد وجودهم
ثم ذكر الطحاوي قولهم في اصل القدر فقالوا واصل القدر
سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب
ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان
وسلم الحرمان ودرجة الطغيان فالحذر كل الحذر من ذلك
نظرا وفكرا ووسوسة فان الله تعالى طوى علم القدر
عن انامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه لا يسئل

عما يفعل وهم يسئلون فمن سئل لم فعل فقد رد حكم الكتاب
ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين

اما قولهم واصل القدر سر الله تعالى

في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل فانما قالوا
ذلك لما ثبت بالنقل عن الوحي انه قال كذلك فنطقوا به
كما ورد مبالغة في الاخبار عن كون علم القدر مكتوما
عن الخلايق اجمع فان الله تعالى قال في كتابه قل لا يعلم من
في السموات والارض الغيب الا الله ثم اخبر عمن يمنحه
بالاظهار على ما يشاء من غيبه بقوله فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فاخبر ان الرسول هو الممنوح
بالاظهار على ما يشاء من غيبه ليكون معجزة له وحجة على من ارسل
اليهم والقدر من الغيب الذي استاثر الله تعالى بعلمه وجعله سرا
مكتوما عن خلقه اجمع كعلم الساعة على ما قال تعالى
لا يجليها لوقتها الا هو ح

وأما قولهم والتعمق والنظر

في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان
فإنما قالوا ذلك لأن التعمق في طلب الوقوف على المكتوم
بعد المعرفة بكونه مكتوما ينشأ عن الإنكار والارتياب
وهما من صفات أهل النفاق والإلحاد ثم المناظرة
في ذلك تفضي إلى المنازعة في أحكام الربوبية فيكون مبدأ
التعمق ذريعة الخذلان والمخذول هو الذي منع بسبب
خلافه عن شمول النصرة والعناية ثم يرتقي سلم الحرمان
باستمراره على الخلاف ثم ينتهي إلى درجة الطغيان
وهو المجاوزة عن الحد المجعول للعبد إلى المنازعة
في أحكام الربوبية فلذلك نبه هذه الأحرف على هذا النسق

وأما قولهم فاحذر من ذلك

نظرا وفكرا ووسوسة فهذا منهم مبالغة في التحذير

عن طلب ما حظر عن العباد علمه ثم أخبروا عن نص النهي
ورد حكمه بقولهم فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه
ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون فمن قال لم فعل فقد رد حكم الكتاب
ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين وإنما قالوا إن
رد ما ثبت بدليل مقطوع به يكون كفرا قال القاضي أبو حفص
الغزنوي وإنما نهى العباد عن الخوض في هذا الباب لأنه
أمر لا سبيل لهم إلى معرفته لأنه مما استأثر الله تعالى بعلمه
دون عباده كما استأثر بعلم الأشياء التي لا سبيل للعباد
إلى العلم بها لأن القول بإحاطة علوم العباد بجميع معلوماته
قول بمضاهاة علومهم بعلمه وذلك محال لأن المحدث
مع القديم لا يستويان قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء
من علمه إلا بما شاء لأن علم الله تعالى أزلي قديم بذاته فهو
دائم بذاته وعلوم الخلق محدثة مستفادة من غيره
فهي قاصرة كسائر صفاتهم ثم ذكر الطحاوي قولهم على

نسق ما تقدم فهذا جملة ما يحتاج اليه من هو منور قلبه
من اولياء الله تعالى قال ابو حفص الغزنوي كانهم ارادوا
بقولهم فهذا جملة ما يحتاج اليه من هو منور قلبه من اولياء
الله تعالى اي انما يدري هذا ويقف عليه من نور الله
قلبه بكمال اليقين على ما قال تعالى يهدي الله لنوره
من يشاء وان كان كل مكلف محتاجا اليه احتياج الوجوب
واللزوم لا بد له من تحصيله والقيام به وهذا كما قال
تعالى في حق القرآن انه هدى للمتقين وان كان هو
هدى للكل لكن من آمن به واتبعه كان هدى له ونورا
يستضيء به وحجة له وتبصرة ومن اعرض عنه ولم يؤمن به
كان حجة عليه كما قال تعالى وهو عليهم عمى ثم ذكر
الطحاوي تعليلهم لما ذكروا فقالوا لان العلم علمان علم
في الخلق موجود وعلم في الخلق مفقود فانكار العلم الموجود
كفر وادعاء العلم المفقود كفر ولا يثبت الايمان الا بقبول
العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود قال القاضي الامام

وهي درجة الراسخين في العلم

ابو حفص الغزنوي فالعلم الموجود في الخلق ما يوقف عليه
بدلالة ظاهرة كالعلم بالصانع بما نصب في العالم من دلائل
وحدانيته وقدمه وكمال علمه وقدرته وحكمته وبرائه
من سمات النقص وامارات الحدث ونحو العلم بنبوة الانبياء
بمعجزاتهم وبراهينهم ونحو علم البعث بعد الموت بدلالة
ذهاب الليل والنهار بعد وجودهما وعودهما بعد
ذهابهما وتلاشيهما وبدلالة تعاقب النوم واليقظة
فان في ذلك دلالة على انهم كما ينامون يموتون وكما يستيقظون
يبعثون وكما في تكرر النبات والازهار في كل سنة
وجودا وانعداما ثم عودا على ما كان بعد الانعدام دلالة
على البعث ونحو علم الاوامر والنواهي والاحكام الثابتة بالكتب
السماوية والاخبار النبوية بنقل الجماعة فهذا كله موجود
في الخلق فانكار هذا العلم كفر والعلم المفقود نحو ما اخفى
الله تعالى من علم الاشياء التي اخفاها عن خلقه فادعاء هذا
النوع كفر لانه دعوى المشاركة مع الله تعالى فيما استاثر به

علم

ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في أمر اللوح وما كتب فيه
فقالوا ونؤمن باللوح والقلم وجميع ما فيه قد رقم ولو
اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه انه كائن
ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا كلهم
على ما لم يكتبه الله فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه
جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وما اخطأ العبد
لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطئه وعلى العبد ان
يعلم ان الله تعالى سبق علمه في كل كائن من خلقه
فقدره ذلك بمشيئته تقديرا محكما مبرما ليس فيه
ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص
ولا زايد في سمواته وارضه وذلك من عقد الايمان واصول
المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته كما قال
الله تعالى في كتابه وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال
تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا فويل لمن صار لله في
القدر خصيما واحضر للنظر فيه قلبا سقيما لقد التمس

في فحص الغيب سرا كتيما وعاد بما قال فيه افاكا اثيما

اما قولهم ونؤمن باللوح والقلم

فانما اثبتوا اللوح لقول الله تعالى بل هو قرآن مجيد
في لوح محفوظ واما القلم فلما ثبت بالنقل الصحيح
قول صاحب الوحي جف القلم بما انت لاق وكذي
ثبت القول بما هو كائن الى يوم القيامة وعلى ذلك اجماع اهل الحق

واما قولهم وجميع ما فيه قد رقم

ومعناه ونؤمن بجميع ما قد كتب فالكتب السماوية كلها
مكتوبة في اللوح المحفوظ وكذي جميع ما يكون الى يوم
القيامة مكتوب فيه قال الله تعالى وكل شيء احصيناه
في امام مبين قالوا هو اللوح المحفوظ وقال تعالى وكل صغير وكبير مستطر

واما قولهم فلو اجتمع الخلق

كلهم على شيء كتبه الله فيه انه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا
عليه ولو اجتمعوا كلهم على ما لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه
كائنا لم يقدروا عليه جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة
وما اخطأ العبد لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطيه
قال القاضي ابو حفص الغزنوي هذه الالفاظ التي ذكروها
كلها مروية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضها
بعينها وصيغتها وبعضها مروية بالمعنى ويشهد العقل
بصحتها لما مر من البراهين العقلية التي قامت على ازلية علم
الله تعالى بما يكون ابدا فوجب الاعتقاد بمضمون جميع ما ذكروا

واما قولهم وعلى العبد ان يعلم

ان الله تعالى سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك
ذلك مشيئة تقديرا محكما مبرما ليس له ناقض ولا معقب
ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا ناقص ولا زايد من خلقه
في سمواته وارضه فهذا منهم تصريح باثبات ازلية علم الله

تعالى ومشيئته وباثبات القضاء بما يكون من خلقه وتقدير
كل شيء على ما تقتضي الحكمة البالغة من كون كل شيء على ما هو
به من حسن او قبح طاعة او معصية

واما قولهم فقدر ذلك بمشيئته

تقديرا محكما مبرما ليس له ناقض ولا معقب الى قولهم في
سمواته وارضه فهذا منهم اثبات الوحدانية والربوبية
لله عز وجل في السموات والارضين ونفي التدبير والحكم
عمن سواه وقد مر ذكر البراهين القاطعة على تحقيق ذلك
ومر ايضا ذكر من خالف في ذلك من الثنوية والقدرية
وابطال اقاويلهم وهدم قواعدهم

واما قولهم وذلك من عقد الايمان

واصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته
فانما قالوا ذلك لما مر من البراهين القطعية والحجج السمعية

في فصول التوحيد والصفات أن ترك الاعتراف بأزلية العلم
لله عز وجل إثبات الجهل فيكون قولاً بإبطال الألوهية لأن الجاهل
لا يصلح أن يكون إلهاً وكذي ترك الاعتراف باتصافه بالمشيئة
وسائر صفات المدح والكمال قول بتعطيل الألوهية والتحاق
بأهل الطبع وكذي ترك الاعتراف بسبق القضاء والقدر على
مقتضى حكمة الصانع القديم إثبات الخلل في سلطانه والوهيته
وكذي من أثبت لغيره تخليق الأفعال فقد أبطل توحيد صانع العالم
والتحق بالثنوية فلهذه الأدلة قالوا وذلك من عقد الإيمان
وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته
وإدخال الخلل في العقد فسخ نعوذ بالله من الخذلان

وأما قولهم كما قال في كتابه وخلق

كل شيء فقدره تقديرا وقال تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا
فهذا منهم احتجاج بأن لا خالق لشيء من العالم سوى الله تعالى
وتعميم منهم لكل شيء يدخل تحت التخليق من أقسام العالم

من الأجسام والجواهر والأعراض أن يكون كل ذلك مخلوقا
لله عز وجل وقد مر ذكر خلاف المعتزلة لأهل الحق في
تعميم هذه الآية فإن عندهم جميع الأفعال الاختيارية
مخلوق لغير الله تعالى فيكون كل فاعل مختار من ملك وجن
وجن وإنس وكل ما دب ودرج حتى كل كلب وخنزير
يكون خالقا لفعله ومنعوا دخول أفعال الخلق تحت قدرة
الله تعالى ومحال أن لا يقدر الله تعالى على تخليق ما يقدر
على تخليفه كل ما دب ودرج ومعلوم قطعا أن العالم
بكونه مخلوقا دليل على ألوهية الخالق تعالى وبذلك
احتج الله تعالى على كونه خالق العالم ونفي الألوهية
عمن سواه بعدم التخليق فقال تعالى وما كان معه من إله
إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض وقال تعالى
أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم وقال
تعالى قل الله خالق كل شيء وقال واعلم أن الله على كل شيء قدير
فمحال أن لا يقدر الله تعالى على شيء يقدر عليه كل ما دب

وَدَرَجَ فَبَطَلَ قَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ فِي تَعْجِيزِهِمْ اللهَ تَعَالَى عَمَّا يَقْدِرُ
عَلَيْهِ مَخْلُوقُهُ وَمَصْنُوعُهُ وَبَطَلَ إِثْبَاتُهُمْ خَالِقًا غَيْرَ اللهِ تَعَالَى
لِشَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ وَقَدْ مَضَى إِبْطَالُ شُبَهِهِمْ فِيمَا مَضَى

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلَّهِ

فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا لَقَدِ الْتَمَسَ
بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا وَعَادَ بِمَا قَالَ أَفَّاكًا أَثِيمًا فَهَذَا
مِنْهُمْ تَصْرِيحٌ بِذَمِّ مَنْ أَنْكَرَ الْقَدَرَ وَسَمَّوْهُ خَصِيمًا لِمَا سَبَقَ
بَيَانُهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْمُبِينَةِ لِانْتِحَالِ مُنْكِرِ الْقَدَرِ بِالثَّنَوِيَّةِ
وَالْمَجُوسِ وَإِنَّمَا سَمَّوْهُ سَقِيمَ الْقَلْبِ لِارْتِيَابِهِ فِيمَا ثَبَتَ بِالْأَدِلَّةِ
الْقَاطِعَةِ وَلِطَلَبِهِ الْوُقُوفَ عَلَى مَضْمُونِ السِّرِّ الْمَكْتُومِ وَصَرَّحُوا
بِكَوْنِهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا وَالْأَفَّاكُ هُوَ الْكَذَّابُ وَالْأَثِيمُ هُوَ الْفَاجِرُ
الْآثِمُ فَسَمَّوْهُ بِذَلِكَ كَتَكْذِيبِهِ مُوجِبَ الْأَدِلَّةِ الثَّابِتَةِ
ثُمَّ ذَكَرَ الطَّحَاوِيُّ قَوْلَهُمْ فِي الْعَرْشِ فَقَالُوا وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ
حَقٌّ كَمَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ

خَلْقِهِ
وَمَا دُونَهُ مُحِيطٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ وَقَدْ أَعْجَزَ الْإِحَاطَةَ

أَمَّا قَوْلُهُمْ وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ

حَقٌّ كَمَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَقَدْ أَقَرُّوا بِحَقِّيَّةِ الْعَرْشِ
الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ كَمَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِذِكْرِ
مَا بَيْنَهُمَا فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ الْكُرْسِيَّ وَلَمْ يُبَيِّنْ مَا بَيَّنَهُ سِوَى
أَنْ قَالَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ
التَّأْوِيلِ إِلَى أَنَّ الْكُرْسِيَّ كِنَايَةٌ عَنِ الْعِلْمِ وَبَعْضُهُمْ قَالُوا إِنَّ الْكُرْسِيَّ
غَيْرُ الْعَرْشِ وَأَمَّا الْعَرْشُ فَقَدْ ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ مُقَيَّدًا بِالْحَمْلِ
يَحْتَفُّ بِهِ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُ وَذُكِرَ مُطْلَقًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
وَقَالَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ فَالْعَرْشُ الْمُقَيَّدُ بِالْحَمْلِ قَالُوا هُوَ
السَّرِيرُ الْمَحْمُولُ الْمَحْفُوظُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَرْشَ
الْمَذْكُورَ مُطْلَقًا يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمُلْكُ وَالْمَذْهَبُ عِنْدَ
أَصْحَابِنَا رَحِمَهُمُ اللهُ أَنَّ كُلَّ مَا ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْوَاضِحَةِ

وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْعَمَلُ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ الْاِشْتِغَالُ بِتَأْوِيلِهِ بَلْ يَجِبُ
الْاِعْتِقَادُ بِثُبُوتِهِ وَحَقِيقَةِ الْمُرَادِ بِذِكْرِهِ وَوُرُودِهِ

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْ شَيْءٍ

وَمَا دُونَهُ فَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ نَفْيًا لِإِثْبَاتِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّمَكُّنِ
وَالتَّحَيُّزِ فِي الْجِهَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ سِمَاتِ الْحُدُوثِ وَذَلِكَ لِمَا مَرَّ
مِنَ الْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَلِمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنَ النُّصُوصِ
الْمُحْكَمَةِ الْمُوجِبَةِ لِلْعِلْمِ قَطْعًا بِإِثْبَاتِ تَعَالِيهِ عَنِ الْحَاجَاتِ
وَعَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ
أَثْبَتَ الْفَقْرَ وَالْحَاجَةَ لِعِبَادِهِ وَنَفَى ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ وَاللَّهُ
الْغَنِيُّ وَكَذَا أَثْبَتَ كَمَالَ الْاِسْتِغْنَاءِ لِنَفْسِهِ عَنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ
بِقَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ وَهَذَا نَصٌّ مُحْكَمٌ فِي إِثْبَاتِ
الْاِسْتِغْنَاءِ لِنَفْسِهِ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ إِذِ الْعَرْشُ مِنْ جُمْلَةِ
الْعَالَمِ وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الْيَهُودِ وَمُجَسِّمَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ وَصَفُوهُ
بِالْجِسْمِ وَالْاِسْتِقْرَارِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْاِنْتِقَالِ وَالنُّزُولِ بِالذَّاتِ

مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَنَفَى عَنْ نَفْسِهِ مُشَابَهَةَ الْعَالَمِ وَمُمَاثَلَتَهُمْ
بِقَوْلِهِ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَبِقَوْلِهِ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يُسَاوِيَهُ شَيْءٌ أَوْ يُضَاهِيَهُ
أَوْ يُمَاثِلَهُ

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَهُوَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ

أَرَادُوا بِهِ الْإِحَاطَةَ بِكُلِّ شَيْءٍ بِالْعِلْمِ وَالْغَلَبَةِ وَالسُّلْطَانِ إِذْ
تَعَالَى عَنِ الْوَصْفِ بِالْإِحَاطَةِ بِالْعَالَمِ كَإِحَاطَةِ الْحُقَّةِ
بِاللُّؤْلُؤَةِ لِأَنَّ ذَلِكَ وَصْفٌ بِالْجَوْفِ وَالْمَكَانِ وَالْحُلُولِ
وَكُلُّ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ الْقَدِيمِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ مُحِيطٌ
بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ أَرَادُوا بِقَوْلِهِمْ وَفَوْقَهُ أَيْ كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ عِلْمِهِ
وَقُدْرَتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَجَائِزٌ
أَنْ يَعْنُوا بِقَوْلِهِمْ وَفَوْقَهُ أَيْ مُتَعَالٍ وَمُرْتَفِعٌ عَنْ صِفَاتِ
الْمُحْدَثِينَ بِصِفَاتِ الْمَجْدِ وَالْكَمَالِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى
سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَقَوْلِهِ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ
عُلُوًّا كَبِيرًا وَلِأَنَّ الْعَالَمَ مُحْدَثٌ وَصِفَاتُهُمْ مُحْدَثَةٌ وَالْجِهَاتُ

البتة صفات للعالم وقد كانت معدومة قبل وجود
العالم وصانع العالم وهو الله تعالى قديم لم يزل فيستحيل
ان يصايفه العالم حين وجد ويطابقه فيصير القديم
المتعالي عن التناهي والحدود في حيز والعالم في حيز
لان ذلك قول بتغير القديم عما كان في الازل وذلك
مستحيل في حقه بل هو تعالى كما وصف نفسه بقوله
تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو
بكل شيء عليم وبقوله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد ثم ذكر الطحاوي
عقيدتهم في خلة ابرهيم ومكالمة موسى فقالوا واتخذ
الله ابرهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما ايمانا وتصديقا
وتسليما قال القاضي ابو حفص الغزنوي رحمه الله
انما نصوا على ايجاد الله عز وجل ابرهيم خليلا لخفاء
وجه ذلك على بعض الناس وهم النصارى حيث قاسوا
تسميتهم عيسى بالولدية على اتخاذ ابرهيم خليلا فكان

جواب

جواب اهل الحق عن ذلك ان قالوا ان اتخاذ الولد يوجب
المجانسة اذ الولد قط لا يكون الا من جنس الوالد والله
عز وجل تعالى عن ذلك فاما اتخاذ الخليل فلا يوجب
المجانسة بل يوجب القرب والكرامة حتى تكون الخلة
بين المختلفين في الجنس كما كان يقال جبريل خليل الرسول
حتى ذكر في بعض الاحاديث المعراج ان نبينا صلوات
الله عليه حين تجاوز عن مقام جبريل عليه السلام
خاطبه الرسول باسم الخلة بان قال اني بمثل هذا الموضع يفارق
الخليل خليله وذكر عن بعض العرب قال سيفي خليلي ولان
الولاد يوجب البعضية والجزوية فيكون الولد جزءا
من الوالد وهذا محال في حق القديم واتخاذ الخليل
لا يوجب شيئا من ذلك ولان في الشاهد لا يتخذ
السيد عبده ابنا لعدم المساواة بينهما مع تحقق المجانسة
وذلك مستحيل في حق الغائب ولان من اراد ذلك في الشاهد
يعتق عبده حتى يتحقق المساواة بينهما في الحرية والمالكية

وهذا لا يتصور بين العبد والرب لان العبد عبد بخلقه
فيستحيل ارتفاع الحدثية عنه فلا يتصور اتخاذ الولد
حقيقة ولا معنى ولان اتخاذ الولد في الشاهد يكون
لحصال منها حاجة الاستيناس ودفع الوحشة ومنها
الاستنصار على الاعداء ومنها حاجة الاستخلاف
في ملكه ليحيي ذكره به وهذه الوجوه كلها منتفية في حق
القديم تعالى فبطل القول بجواز اتخاذ الولد من جميع
الوجوه بخلاف الخلة فانها من باب الكرامة وقرب
المنزلة والعبد اهل لنيلها ببذل مجهوده في مباشرة الطاعات
والعبادات

واما قولهم وكلم الله موسى

تكليما قال القاضي ابو حفص اكده بالمصدر
كما نطق به الكتاب وهو قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما
ليعلم ان الكلام صفة له تعالى حقيقة فاكده بالمصدر
لان ما يراد به المجاز لا يؤكد كقولهم قال بيده وقال براسه

اذا اشار به ولا يؤكد بالمصدر بان يقال قال بيده قولا فلذلك
قالوا وكلم الله موسى تكليما ايمانا وتصديقا وتسليما لينتبوا
ان الكلام صفة لله تعالى حقيقة ثم ذكر الطحاوي
عقيدتهم في الملائكة والانبياء والكتب السماوية فقالوا
ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين
ونشهد انهم كانوا على الحق المبين وانما قالوا ذلك لما قامت
الادلة القاطعة على وجوب الايمان بجميع ما ذكروا
ومن الدلائل السمعية قول الله تعالى ولكن البر من امن
بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين ومنها قوله
تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل
امن بالله وملائكته ورسله لا نفرق بين احد من رسله
قال القاضي ابو حفص الغزنوي فالايمان بالملائكة
ان نؤمن بانهم اشخاص روحانية لطيفة في تركيب الحيوان
بين لون ويصعدون باذن الله ولبسوا بجوم مسخرة ولا
بانفس كما ذهبت اليه طائفة من اهل الزيغ وانما وقع

الايمان على هذا الوجه لما تواترت الاخبار ولاستحالة
العقل تركيب كل جوهر باي تركيب كان وخلق الحيوة فيهم
اشخاص مكرمون اوجدهم الجنة لا لحاجته واوقفهم
لخدمته لا لمعونته وامتحنهم بانواع المحن عبودية لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون مواظبون على ما تعبدهم الله تعالى لا يسامون
امتحن بعضا منهم بالنزول بالرسالة الى البشر وبعضا بالقطر
والمطر وبعضهم بكتبة اعمال بني ادم وبعضهم بقبض الارواح
واما الايمان بالنبيين فهو ان نومن بان الله تعالى ارتضاهم
بالنبوة واصطفاهم لتبليغ رسالته واكرمهم بالسفارة
بينه وبين عباده بما يوحي اليهم ويدركون ذلك ويطيقون
بما ركب الله تعالى فيهم من القوة على ذلك وليست النبوة
بمكتسبة بل كانت عطية وخصيصة من الله تعالى وموهبة
جعلها الله تعالى فيمن شاء من عباده على ما قال تعالى الله
اعلم حيث يجعل رسالاته وهم معصومون عن التحريف

والتبديل والفسق والضلال وعن جميع ما يوجب
العزل فهذا هو الايمان بالانبياء واما الايمان بالكتب
السماوية فهو ان نومن بانها حقائق من الله تعالى
اما سماعا من الله تعالى بلا كيف او بلاغا من الملك
المنزل للتبليغ وانه ليس للملك ولا للنبي تصرف من النظم
والمعنى ولكنهما يبلغان عن الله تعالى كما بلغ اليهما
وحيا وتنزيلا او سماعا منه بلا كيف كما في موسى

واما قولهم ونشهد انهم كانوا

على الحق المبين فانما قالوا نشهد انهم كانوا على الحق
المبين والشهادة عبارة عن العلم بالمشهود قطعا بلا
تمثيل واحتمال بوجوه كل وجه يوجب العلم قطعا
منها شهادة البراهين العقلية على حقية ما دعوا
اليه فانهم دعوا الى القول بحدث العالم ووحدانية
الصانع وقدمه وكمال صفاته وبرائته عن العيوب

وعبادته بلا اشراك والايمان بما جاء منه وبالبعث بعد
الموت للجزا في دار البقا وهذا كله مما توجبه الحكمة
والعقول السليمة ومنها شهادة المعجزات الخارجة
عن وسع الخلايق التي قامت على ايديهم على ما تقدم
بيان انواعها في صدر الكتاب في تفاصيل الحجج وفي
فصل رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه وهي توجب
العلم قطعا لمن عاينها ولم يعاندها ولمن غاب عنها بالنقل
المتواتر على السنة قوم لا يتصور منهم التواطي على الكذب
ومنها شهادة الكتاب المعجز للخلايق بنظمه عن
الاتيان بمثل سورة منه وباخباره عما كان وعما سيكون
فهذه الدلايل القاطعة شهدت انهم كانوا على الحق
المبين فيما ادعوا من الرسالة وفيما دعوا اليه من الدين
الحق فلهذه الدلايل قال فقهاء الملة ونشهد انهم كانوا على
الحق المبين ومما نطق الكتاب به قول الله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون

والنصرة العصمة من الخذلان ودوام الحجة الغالبة معهم
وكون عاقبة الامر لهم ولمن استقام على ما جاؤوا به ثم
ذكر الطحاوي قولهم في اهل القبلة ومواظبتهم على
لزوم السنة والجماعة فقالوا ونسمي اهل قبلتنا مسلمين
مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين
وله بكل ما قال واخبر مصدقين ولا نخوض في الله عز وجل
ولا نماري في الدين ولا نجادل في القران ونعلم انه كلام
رب العالمين نزل به الروح الامين فعلمه محمدا سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم وكلام الله لا يساويه
شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف
جماعة المسلمين ولا نكفر احدا من اهل القبلة
بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الايمان ذنب
من عمله ونرجو للمحسنين من المؤمنين ولا نامن عليهم
ولا نقنطهم والامن والاياس ينقلان عن الملة وسبيل
الحق بينهما لاهل القبلة ولا يخرج العبد من الايمان

الا بجحود ما ادخله فيه

اما قولهم ونسمي اهل قبلتنا مسلمين

مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين
وله بكل ما قال واخبر مصدقين انما قالوا ذلك
لانا نعرف منهم الاعتراف بما جاء به النبي صلى الله عليه من
الدين والشرع ونسمع انهم يعتقدون التوحيد والدين
الحق ونشاهدهم متمسكين بكتاب الله تعالى وبشرايعه
فنراعي ظواهرهم ونكل ضمايرهم الى الله تعالى وبذلك
ورد النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال
بعثت انولي الظواهر والله تعالى يتولى السرايرو قال
الله تعالى اذا جاءك المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن
الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار فامر المؤمنين بامتحانهن لان محل الايمان هو
القلب وذلك باطن لا سبيل للخلق على الوقوف على ما فيه

وانما يعرف بما يظهر وهو الاستبصاف فاذا وصف الله
بالالوهية والوحدانية والنبي بالرسالة وجب الحكم
بالايمان بناء على ما ظهر وقد سمى ذلك علما بقوله فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولم يوجب عليهم فيه
الاستثناء لوقوع الامتحان لاظهار ما في قلب غيرهم ولو
استثنين لم يجب الحكم بايمانهن لحصول الشك على ان
الاستثناء انما يكون فيما يتوهم وجوده في المستقبل فدلت
الاية على بطلان قول من يستثني في ايمان نفسه وكذي
روي عن النبي صلى الله عليه انه امتحن امة سوداء عند سوال
من اراد عتق رقبة مؤمنة فسماها عن الله تعالى فلما
وصف الله تعالى بالالوهية والنبي بالرسالة قال للمعتق
اعتقها فانها مؤمنة وكذي كانت الصحابة والتابعون
الذين هم الاصول في الاجماع وفي نقل الشريعة يسمون
انفسهم ومن امن بعدهم مؤمنين ومسلمين مطلقا عن
الاستثناء وذلك حجة بينة في ابطال قول من يشترط الاستثناء

فيجب على الرجل اذا كان في قلبه الايمان بالله وبما جاء به
محمد من عند الله ان يخبر بانه مؤمن من غير شك واستثناء
فان كان صادقا فليجزن على صدقه وان كان
كاذبا في اخباره فما دخل عليه من الكفر اعظم من كذبه
فيما اخبر وذكر نصر بن يحيى عن ابي مطيع الحكم بن عبد الله
في كتاب الفقه الاكبر قال سألت ابا حنيفة
عن حديث صاحب معاذ بن جبل مع ابن مسعود فقال
نعم حدثني حماد يعني بن ابي سليمان ان حارث بن مالك
كان مع معاذ بن جبل الانصاري فلما حضره الموت
بكى قال معاذ ما يبكيك يا حارث قال ما يبكيني
موتك قد علمت ان الآخرة خير لك من الاولى لكن
من المعلم بعدك قال مهلا وعليك بعبد الله بن مسعود
فقلت له اوصني فاوصى ما شاء الله ثم قال له
احذر زلة العالم قال فمات معاذ وقدم الحارث الكوفة
الى اصحاب عبد الله بن مسعود فنودي بالصلوة فقال

كتاب الفقه الاكبر الذي رواه ابو مطيع البلخي عن الامام الاعظم

الحارث قوموا الى هذه الدعوة حقا لكل مؤمن سمعه
ان يجيبه فنظروا اليه وقالوا له انك مؤمن قال نعم اني
مؤمن فتعاموا به فلما خرج عبد الله قيل له ذلك
فقال للحارث مثل قولهم فنكس الحارث راسه وبكا
وقال رحم الله معاذا فاخبر به ابن مسعود فقال له
انك لمؤمن قال نعم اني لمؤمن قال فتقول انك من اهل
الجنة قال رحم الله معاذا فانه اوصاني ان احذر
زلة العالم ولا اخذ بحكم المنافق قال فهل
من زلة رايت قال نشدتك بالله عز وجل هل كان في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم والناس يومئذ على ثلث
فرق مؤمن في السر والعلانية وكافر في السر والعلانية
ومنافق في السر فمن اي الثلاثة انت قال اما انا فاذ نشدتني
بالله عز وجل فاني مؤمن في السر والعلانية قال
الحارث فلم لمتني حيث قلت اني لمؤمن قال اجل هذه زلتي
فادفنوها علي فرحم الله معاذا وروي عن سهل بن مزاحم

أنه قال جاء رجل ممن يشك يعني في الإيمان الى أبي حنيفة
فقال له أبو حنيفة رحمه الله إذا ادخلت حفرتك
فجاء منكر ونكير يسألانك ما دينك هل تشك سامعنيذ
قال فبكى الرجل قال أبو حنيفة ما رحمت احدا ما رحمت
هذا وروي عن أبي يوسف أنه قال قدم فتادة الكوفة
فجعلوا يسألونه ويجيبهم فأتاه أبو حنيفة رحمه الله
فقال له أمؤمن أنت قال نعم ان شاء الله فقال أبو حنيفة
ارغبت عن ملة ابرهيم وقد قال الله عز وجل ومن
يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه وقد قال الله
عز وجل لابراهيم صلوات الله عليه أولم تؤمن قال بلى
ولم يقل ان شاء الله ه

وأما قولهم ما دامو بما جاء به النبي

صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قال واخبر
مصدقين قال القاضي أبو حفص انما قالوا

ذلك ليعلم ان مجرد التوجه الى قبلتنا لا يدل على
حقيقة الايمان بالنبي صلى الله عليه فان كثيرا من الناس
يتوجهون الى قبلتنا ويلبسوا على ديننا كالغلاة حيث
يدعون نبوة علي رضي الله عنه وكمن يدعي منهم انه اله
وكالقدرية بن عمون وجود كثير من الاشياء من
غير مشيئة الله تعالى وكمن يدعي منهم الخالقية لكل
فاعل مختار ممن دب ودرج وكمن يزعم ان صانع العالم
جسم على صورة البشر وكمن يدعي من الناس ان المحنة
تزيل التكليف وكمن يقول ان لله عز وجل حلولا
واتحادا بالانفس ونحو هذا من اقاويل اهل الضلالة والالحاد

وأما قولهم ولا نخوض في الله

عز وجل ولا نماري في الدين معناه ولا نتكلم في ذات
الله عز وجل وصفاته من غير بصيرة وانما نتبع في ذلك
ما دعانا اليه كتاب الله تعالى والسنة المتواترة

عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَالْمَشْهُورُ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا
الْعُلَمَاءُ مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ فَنَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَلَا نَذْهَبُ فِي
ذَلِكَ إِلَى الْمَقَايِيسِ النَّاشِيَةِ مِنْ هَوَى النُّفُوسِ مِنْ غَيْرِ
بُرْهَانٍ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمْ خُلَفَاءُ
الرَّسُولِ وَنَقَلَةُ شَرِيعَتِهِ لِاسْتِحَالَةِ دُخُولِ الْقَدِيمِ
تَحْتَ الْقِيَاسِ وَالْمِقْدَارِ وَلَا نَبْنِي الْعَقَائِدَ عَلَى أَخْبَارِ
الْآحَادِ لِأَنَّهَا لَا تُوجِبُ الْعِلْمَ يَقِينًا وَالْأَصْلُ
فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ التَّوْقِيفُ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ
اقْتَدِهْ وَقَالَ تَعَالَى لَهُ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ
عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي أَيْ عَلَى حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ وَلَمَّا كَثُرَتِ
الْأَحَادِيثُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَدَّتْ
عِنَايَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ بِحِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ وَعَرَضُوا
الْأَحَادِيثَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَأُصُولِ
الشَّرِيعَةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ وَزَيَّفُوا مَا خَالَفَ الْأُصُولَ

ولما كثرت الاحاديث بعد رسول الله ع م

حَتَّى وَضَعَ الْحُفَّاظُ كُتُبًا فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ حَتَّى
قَالَ بَعْضُهُمْ وَضَعَتِ الزَّنَادِقَةُ وَالْكَذَّابُونَ عَلَى رَسُولِ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذِبَ كَذِبِ أَلْفَ حَدِيثٍ
وَذَكَرَ الْقَاضِي أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِ الْاعْتِقَادِ
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
سَيَكُونُ فِي آخِرِ النَّاسِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا
لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَذَكَرَ الْقَاضِي
أَبُو الْعَلَاءِ فَقَالَ وَرُوِيَ عَنْ عِرْبَاضِ ابْنِ سَارِيَةَ قَالَ
صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ
وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللهِ
كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا فَقَالَ أُوصِيكُمْ
بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا
فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ
بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا

وعضوا عليها بالنواجذ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وروى القاضي
أبو يوسف عن النبي عليه السلام أنه قال إذا روي لكم
عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق فاقبلوه
وما خالف فردوه وذكر أبو زيد الدبوسي في كتاب تخليد
أدلة الشرع في فصل أقسام الخبر وانتقاده هذا الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإيجاب عرض أخبار
الآحاد على الكتاب والسنة المشهورة وهو حديث
صحيح عند أئمة الفقه لأن القرآن أصل الحجج وبه ثبتت
الرسالة وقامت الحجة على الضلالة وهو المهيمن على
الكتب السماوية وبه يميز الحق من الباطل وبه عرف
تحريف أهل الكتاب ما حرفوا وبدلوا من الكتب
المنزلة وقد أمر الله تعالى برد المنازع إليه وإلى رسوله
فقال تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول
فقال أئمة التحقيق الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى

اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه ع

الكتاب والرد إلى الرسول هو الرد إلى السنة المتواترة
وقد كان رسول الله صلى الله عليه حيا وجبريل صلوات
الله عليه ينزل عليه بكرة وعشيا وقد كان أهل النفاق
ومن يطلب شين الدين من مردة أهل الكتاب وغيرهم
يأتونه ويسمعون منه ثم يخرجون من عنده ويغيرون
ما سمعوا منه على ما قال الله تعالى فإذا خرجوا من عندك
بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله أعلم ما يبيتون
حتى صار الأخبار عنهم بذلك آية من آيات رسالته
فكيف نؤمن غائلة الزنادقة والوضاعين بعد انقطاع
الوحي وامتداد الزمان وحتى أخبر النبي صلى الله عليه
وسلم بالوضاعين عليه بعد موته طلبا لشين دينه
وافتتان أمته وهو ما روي في المشاهير سيبعث
دجالون كذابون ومن ذلك ما ذكره أبو العلاء صاعد
رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه

وأما قولهم ولا نماري في الدين

قال القاضي ابو حفص الغزنوي معناه لا تخاصم اهل الحق
بالتشبهات اهل الهوا عليهم التماسا لامتزاجهم وميلهم
لانه في معنا الدعا الى الباطل وتلبيس الحق وقد صح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج على اصحابه وهم
يتمارون فقال انما اهلك من كان قبلكم
المتنطعون يعني المتعمقين في الكلام وعنه عليه السلام
انما هلك من قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم
وتفسير هذا ونحوه ما روي في المشاهير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطب يوما فاكثروا عليه في السوال
فقال رجل اين انا يا رسول الله فقال في النار وقال
اخر من ابي فقال فلان ثم غضب فقال لا تسالوني عن شي
في مقامي هذا الا انبانكم فجثى عمر على ركبتيه وقال يا رسول الله
اعف عنا يعف الله عنك ومن ذلك سوالهم اياه عن
الساعة وعن القدر ونحو ذلك قال ائمة الهدى رحمه الله
ولا يجوز حمل نهيه عن السوال عن احكام الدين وعما يجب

اعتقاده والعمل به فانه بعث لاجل ذلك الا ترى الى ما روي
ان قوما من بني تميم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا ثم اتاه
اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم
فقالوا قبلنا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ولنسالك
عن اول هذا الامر ما كان فقال عليه السلام كان الله ولم يكن
شي غيره فاخبروا انهم جاؤه ليتفقهوا في الدين ثم سالوا عن
المحدث والقديم فاخبرهم انه كان الله ولم يكن شي
غيره وهو اخبار عن قدم الله عز وجل وازليته وحدث
ما سواه من الجهات الست والعرش وسائر اقسام العالم
ولم ينههم عن ذلك بل اجابهم بما هو الفرض المتعين على كل
مكلف عقلا وشرعا وقال تعالى فاسالوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون وقد تضمن هذا النص الامر بسوال اهل
الذكر وقال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين الاية وهذا النص تضمن الامر بالتفقه

في الدين والتفقه في الدين يكون بالطلب والسؤال
قال القاضي ابو حفص العزنوي الا ان من ابتلي بالمماراة
اي بالمناظرة ذبا عن حريم الدين فانه يعذر فيه ان كان
متمسكا بالسنة ولا يخرجه ذلك عن السنة والجماعة
كمن يكون مع امام اهل العدل على قتال اهل البغي والخوارج
واحتج امام الهدى ابو منصور الماتريدي لجواز المناظرة
لاظهار الحق ودحض الباطل ودفع شبهات المبطلين
بقوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم الى قوله خبرا
قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت الى قوله فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر
فاخبر ان ابرهيم حاج ذلك اللعين حتى قطعه قال ابو منصور
فدل ذلك على جواز المناظرة لاظهار الحق ودفع شبهات
الباطل وما سبق ذكره من النهي المروي عن المماراة فهو عن
نحو ما تقدم بيانه وبالله العصمة

واما قولهم ولا تجادل في القرآن

قال القاضي ابو حفص قيل اراد وا بهذا اي لا تشتغل في القرآن
بتاويل اهل الزيغ ابتغاء الفتنة حملا على التشبيه والتمثيل
والقول بالجارحة وقيل اراد وا به اي لا تجادل في وجوه
القرآن الثابتة بل تقراه بكل ما ثبت فينصرف معنى
قولهم الى نحو ما روي عن حذيفة بن اليمان وكان في غزو
الباب فراى امداد اهل البصرة يقراون قراءة يضيفونها
الى ابي موسى الاشعري وراى امداد الشام يقراون قراءة
ويضيفونها الى ابي الدرداء وراى امداد الكوفة يقراون
قراءة ويضيفونها الى ابن مسعود وتجري بينهم في ذلك
مماراة وجدال حتى صار بعضهم يقول لبعض قراءتي خير
من قراءتك فانكر ذلك عليهم حذيفة انكارا شديدا
وقال لاشكونكم الى امير المومنين عثمان رضي الله عنه وقال
ان اهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا ثم رحل وقدم المدينة
وقال يا امير المومنين ادرك الناس ثم اخبره بما راى فجمع
عثمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه واخبرهم بذلك فاجتمعوا

كلهم على كتبة القرآن في المصاحف على الأحرف السبعة المنزلة
وبعثوا إلى كل مصر مصحفا وقالوا هذا كتاب ربكم فيجمل
قول أصحابنا رحمهم الله ولا تجادل في القرآن على هذين الوجهين

وأما قولهم ونعلم أنه كلام رب

العالمين نزل به الروح الأمين قال القاضي أبو حفص
الغزنوي إنما قالوا هذا حسما لفساد قول القرامطة أن القرآن
وجد بإلهام غريزي طبيعي والدليل على بطلان ذلك قول الله
تعالى تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين وقوله
تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه هذا أيضا
يبطل قول الملحدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوره
في نفسه فيلفظه قرآنا وقد تواترت الأخبار أن جبريل عليه
الله عليه كان يتمثل في صورة إنسان فيكلمه بالقرآن
ويتلوه عليه ويبلغه إليه ثم هو صلى الله عليه يقرأه على الناس

وأما قولهم فعلمه محمد أسيد المرسلين

صرحوا بتعليم جبريل إياه إبطالا لتوهم القرامطة أنه يصوره
في نفسه إلهاما إذ التعليم والتلقين من الملك يكون إسماعا
ظاهرا ولا سبيل له على جعله غريزيا طبيعيا وأما وجه
سيادته وتقدمه عليهم في الشرف والرتبة فقد تقدم
ذكره فيما مضى وقد ورد أنه كان أولهم مذكورا ثم صار آخرهم
مبعوثا فصار مقدما ومصدقا وفي ذلك دلالة على كونه أفضلهم
ولأنه بعث إلى الإنس والجن جميعا فقام بنصرة المرسلين
وإحياء سننهم ونشر محاسنهم وذب عنهم ما لا يليق من أقاويل
المبطلين كقوله تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر على ما ذكر أهل التأويل في سبب
نزوله إن اليهود كانوا ينسبون إلى سليمان صلوات الله عليه
السحر فبرأه الله تعالى عن ذلك بكتابه على لسان رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم وهذا كله من خصال السيادة إذ قيل
السيد من يقوم بأمور من يسود عليهم

وأما قولهم وكلام الله لا يساويه

شيء من كلام المخلوقين فإنما قالوا ذلك لما سبق بيان
كون كلام الله أزليًا قائمًا بذات الله تعالى إذ هو تعالى حي متكلم
فكان الكلام صفته كالحيوة والعلم فلا يتساويه شيء من
كلام المخلوقين إذ كلامهم محدث ولا مساواة بين الأزلي والمحدث

وأما قولهم ولا نقول بخلقه

فإنما قالوا ذلك لما قام من البراهين القاطعة على كونه أزليًا
قائمًا بذاته تعالى وأما قولهم ولا نخالف جماعة المسلمين لأنهم
أجمعوا على أن كلام الله عز وجل غير مخلوق وخلاف إجماع
المسلمين باطل وضلال وهذا تصريح من فقهاء الملة أن
من خالف المسلمين فيما يجب اعتقاده لا يكون في الحقيقة
منهم إذ الإسلام هو الانقياد والتسليم لله عز وجل في كل
ما قام الدليل الموجب وهذا كما ذكر القاضي أبو زيد في كتاب
تحديد أدلة الشرع أن صاحب الهوى لا يعتبر خلافه
فيما نسب به إلى الهوى لخلافه دليلًا يوجب العلم وإجماع

المسلمين حجة موجبة

وأما قولهم ولا نكفر أحدًا من أهل

القبلة بذنب ما لم يستحله فإنما أرادوا بأهل القبلة بلام
التعريف ما قدموا بيان نعتهم بقولهم ونسمي أهل قبلتنا مسلمين
مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه معترفين إذ أهل
القبلة في التحقيق هم الذين جمعوا بين استقبال القبلة والتصديق
بما جاء به النبي محمد صلى الله عليه لا الفرق الذي استقبلت
قبلتنا ولم يدينوا بديننا على ما مر بيان أنواعهم فيكون معنى
قولهم ذلك أي لا نكفر أحدًا من أهل الإيمان والإسلام بذنب
ما لم يستحله وإنما شرطوا استحلال الذنب دون ارتكابه من
غير استحلال لأنه إذا استحل صار رادًا لحكم الله تعالى إذ
ليس لأحد دونه تحليل شيء ولا تحريمه على الحقيقة فإذا
استحل ما حرمه الله تعالى يكون منازعًا فيما تفرد الله تعالى به
فيكون ذلك منازعة في الربوبية فيكفر بذلك ولأن حرمة

لأن التحليل والتحريم حق الله تعالى

الذنب ثبتت بدليل العقل والسمع والحكمة فينتظم استحلاله
الذنب الرد والتخطيه ككفر ابليس حيث انتظم تخطية الله
تعالى فيما صنع والرد لحكمه وامره واما امتناعهم عن تكفيره
اذ لم يستحل فلانه متمسك بالايمان ومحله القلب وباشر
المعصية بجوارحه والمعصية ضد الطاعة لا ضد الايمان
وانما ضد الايمان هو الكفر ومحلها القلب فاذا وجد
احدهما بطل الآخر لاستحالة اجتماع الضدين في محل واحد
في وقت واحد واما المعصية والطاعة فمحلهما الجوارح
فلا تتعدى المعصية عن المحل المباشر لها الى محل الايمان
بدون اعتقاد الحل واما تعلق الخوارج والمعتزلة بقوله
تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
فلا تعلق للخوارج في التكفير بالذنب ولا للمعتزلة في تخليد
صاحب الكبيرة في النار على التابيد لان الآية محمولة
على الخلود الذي هو طول المكث فيكون الخلود المذكور
كناية عن مكثهم في العذاب مدة مديدة ولان الله تعالى

لم يقتل فيجازيه بل قال فجزاؤه فلا يكون العفو خلفا وعن
ابن عباس رضي الله عنه قال انها نزلت فيمن قتل مؤمنا وارتد
فيكون المعنى ومن يقتل مؤمنا متعمدا لايمانه والقاتل متعمدا
لاجل ايمانه يكون مرتدا فيستحق الخلود المؤبد.

واما قولهم ولا نقول لا يضر مع

الايمان ذنب من عمله فانما قالوا ذلك ردا على المرجئة
الخبيثة حيث زعموا لا يضر المؤمن ذنب من عمله وهو
خلاف النصوص السمعية فقد ورد الكتاب بوعيد
اصحاب الكبائر وردت الاخبار المستفيضة في تعذيب اصحاب
الكبائر وشفاعتهم وعلى ذلك اجماع اهل السنة والجماعة

واما قولهم ونرجو للمحسنين

من المؤمنين فانما قالوا ذلك لقوله تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان ولقوله تعالى جزاء وفاقا والجزاء الوفاق

هو المجازات على الاحسان بالاحسان وعلى الاساءة بالاساءة
فان قيل ان النص يدل على تعين الاحسان بالاحسان اذ حرف
الاستفهام من الله تعالى على التقدير والايجاب لانه يستحيل
ان يستفهم لانه لم يزل عالما فلم قالوا ترجوا قيل المجازاة بالاحسان
على التقدير والايجاب كما ذكرت لكن بشرط الاتيان به الى
دار الجزاء وهو قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها وقال ايضا ومن يأته مؤمنا الاية ولا يتيقن من كل
محسن الاتيان باحسانه فاستعملوا الرجاء لظاهر احسانهم
في الحال لا على تحقق الاتيان في المآل

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ

قال القاضي ابو حفص العزنوي لم يريدوا بهذا
لا نأمن على زوال الايمان بكبيرة توجد منهم وانما ارادوا
به اي لا نأمن عليهم ان يندرس واحد منهم ما يحبط
عمله من كفر او نفاق او ما يحبط ثوابه من عجب او من

او كبيرة فيعاقب عليها

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ

فانما قالوا ذلك لما امر المسلمون بالاستغفار بعضهم
لبعض ولما امرت الملائكة والانبياء عليهم السلام بالاستغفار
للمؤمنين فوجب الاقتداء بهم

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَنَخَافُ عَلَيْهِ اي

نخاف عليهم كما نخاف على انفسنا فنستغفر لانفسنا اذ المؤمنون
كالجسد الواحد بحكم الايمان والتوحيد وعلى ذلك
ورد الخبر المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه تداعى
باقيه بالسهر

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَلَا نُقَنِّطُهُمْ

فانما قالوا ذلك لانهم على التوحيد والهدى والقنوط
من اوصاف الضالين كقوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه

الا الضالون **وأما قولهم والأيأس** والأمن
ينقلان عن الملة لأن الله تعالى وعد وأوعد وهو قادر
عليهما ففي الأمن عما أوعد ظن العجز عن العقوبة وفي الا
يأس عن الرحمة ظن العجز عن العفو والمغفرة وكل واحد
منهما ناقل عن الملة **وأما قولهم وسبيل الحق بينهما لأهل**
القبلة يعتون بالسبيل بينهما الوقوف بين الخوف والرجاء
اذ هو حقيقة العبودية قال الله تعالى يدعون ربهم
خوفا وطمعا وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا
وقال تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه وقال
يدعوننا رغبا ورهبا

وأما قولهم ولا نخرج العبد

من الايمان الا بجحود ما ادخله فيه فمعناه انهم بالتصديق
والقبول دخلوا في الايمان فالخروج منه نعوذ بالله العظيم

يكون بالرد والتكذيب والأصل في هذا ان الدخول
في الاسلام يكون بايمان الجملة وهو التصديق بوحدانية
الله تعالى وبما جاء به محمد من عند الله وجميع ما يجب اعتقاده
فقد دخل تحت هذه الجملة فالعبد مؤمن بايمان الجملة
ولا يخرج منه الا بجحود كله او بجحود شيء منه عند
التفصيل اذ رد بعضه كرد كله وذكر القاضي ابو حفص
الغزنوي في هذا معنا جامعا فقال ينظر كل ما يتفق
بانه ردة فانه يحكم بها وكل ما يشك في كونه ردة لا يحكم
بها لان الاسلام الثابت لا يزول بالشك فيعتمد الحاكم
والمفتي التثبت فيما ينهى اليهما في هذا الباب وهذا كما ذكر
عن بعض مشايخنا انه قال ان رسول الله امر ان يقاتل الناس
بالسيف حتى يقولوا لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فلا
تخرجهم انت بلسانك اي لا تفت بردة احد الا بما تتيقن
انه ردة ثم ذكر الطحاوي قولهم في ايمان الجملة فقالوا
الايمان هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان وان جميع

ما انزل الله في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع
والبيان كله حق والايمان واحد واهله في اصله سواء والتفاضل
بينهم بالحقيقة والتقى ومخالفة الهوى وملازمة
الاولى والمؤمنون كلهم اولياء الرحمن واكرمهم عند الله
اطوعهم له واتبعهم للقرآن

واما قولهم والايمان هو الاقرار

باللسان والتصديق بالجنان قال القاضي ابو حفص ارادوا
بهذا ظاهر الايمان الذي يوقف عليه ويتعلق به
احكام الايمان يدل عليه قولهم والتصديق بالجنان
اذ مجرد الاقرار لا يكون ايمانا بدليل قوله تعالى وما هم
بمؤمنين وقد كانوا يقولون امنا بالسنتهم فلم يكن ذلك
ايمانا حيث نفى الله عنهم الايمان واخبر ان محل الايمان
هو القلوب فقال تعالى يقولون بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
وكانوا يعترفون بالسنتهم دون التصديق بقلوبهم فلم
يكن مجرد اقرارهم ايمانا وقال تعالى ولما يدخل الايمان
في قلوبكم فثبت ان الايمان هو التصديق بالقلب وان
الاقرار باللسان لتعليق الاحكام ولا اطلاع على ما في
القلوب الا رب العالمين

واما قولهم وان جميع ما انزل

الله تعالى في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من
الشرع والبيان كله حق قال القاضي ابو حفص الغزنوي
انما ذكروا هذا الفصل تاكيدا او مبالغة في المواظبة
على الايمان بطريق الاجمال ليكون ايمانه محتويا على كل
ما يجب ان يؤمن به جملة ولهذا قال المحققون من
علماء الاصول ان الايمان في تحقيق التحصيل هو الايمان
بالله وبجميع ما جاء به محمد من عند الله وقد احتوى قول
فقهاء الملة وان جميع ما انزل الله تعالى في القرآن على
الايمان على الايمان بحدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته

وقدمه وكمال صفاته وتعاليه عن سمات الحدث والايمان
بكتبه المنزلة على رسله ووعده ووعيده وما انزل من
المثلات بمكذبي انبيائه ورسله وجميع ما ذكر في القرآن
فذلك كله حق يجب التصديق والاعتقاد بحقيته وكذلك
جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل
المتواتر من جميع احكام الشرع وجميع ما صح عنه من
بيان مصالح الدارين فذلك كله حق يجب اعتقاد
حقيته اذ قامت البراهين العقلية والمعجزات القاهرة
والحجج الواضحة من الكتب السالفة على كونه رسول
رب العالمين وعلى عصمته عن الخطأ والزلل في كل ما يخبر
ويقول وانه لا ينطق عن الهوى في كل ما يبين ويشرع الا
عن وحي يوحى

واما قولهم والايمان

واحد فانما قالوا ذلك لان الاصل في الايمان هو الايمان
بالله تعالى وجميع ما يجب ان يؤمن به من الملائكة

والكتب والرسل واليوم الآخر وغير ذلك فهو كله داخل
تحت الايمان بالله تعالى اذ هو رب العالمين وما سواه
فهو محدث مملوك له ملك ايجاد وتخليق فهذا معنى
قولهم الايمان واحد والاصل في ذلك قوله تعالى فمن
يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى هي الوكادة التامة فصار الايمان بالله جامعا
لكل ما يجب ان يؤمن به اذ كل ذلك له ومنه فلا نزول
الوكادة التامة الثابتة بشهادة هذا النص الا بجحود
شيء مما تضمنه ايمان الجملة

واما قولهم واهله في اصله سواء

قال القاضي ابو حفص الغزنوي ارادوا بهذا ان اهل السماء
واهل الارض في اصل الايمان على السواء اذ ايمان اهل السماء واهل
الارض واحد وكذا ايمان الاولين والآخرين واحد وهو التصديق
بوحدانية الله تعالى وبكل ما يجب الايمان به جملة لقوله تعالى

فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى وأهل الإيمان في هذا الأصل سواء من حيث التبري من
الكفر والدخول في الإيمان ومن حيث أداء الإيمان فلا يكون
إيمان الأولين غير إيمان الآخرين إذ كلهم آمنوا بألوهية الله
تعالى ووحدانيته وقدمه وقدرته وما جاء من عنده وهكذا
فسر أبو حنيفة قدس الله روحه في كتاب العالم والمتعلم فقال
إن إيماننا مثل إيمان الملائكة لأنا آمنا من وحدانية الله تعالى
وربوبيته وقدرته وما جاء من عند الله عز وجل بمثل
ما أقرت به الملائكة وصدقت به الأنبياء والرسل فمن
ههنا إيماننا مثل إيمانهم لأنا آمنا بكل شيء آمنت به الملائكة
مما عاينته من عجائب آيات الله تعالى ولم نعاينه نحن
وكذلك آمنا بكل شيء آمنت به الأنبياء والرسل ولهم بعد ذلك
علينا فضائل في الثواب على الإيمان وجميع العبادات لأن
الله تعالى كما فضلهم بالنبوة على الناس كذلك فضل كلامهم
وصلاتهم وبيوتهم وجميع أمورهم لأنهم القادة وهم

كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة

آمنا الرحمن ولا يدانيهم أحد من الناس في عبادتهم وخوفهم
وخشوعهم وتحملهم المؤونات في ذات الله تعالى ولأن
من أدرك من الناس بإذن الله تعالى الفضل فإنما أدرك
بهم فلهم مثل أجور من يدخل الجنة بدعائهم هذا كله
من كلام أبي حنيفة رحمه الله في كتاب العالم والمتعلم

وأما قولهم والتفاضل بينهم

بالحقيقة ومخالفة الهوى وملازمة الأولى قال
أبو حفص الغزنوي عنوا بالتفاضل التفاوت في أوصاف
الإيمان من الثقل والاستنارة والضياء كما ورد لو وزن
إيمان أبي بكر وإيمان أمتي لرجح عليهم وكما ورد في الخبر
يخرج من النار من كان في قلبه وزن كذا من إيمان ثم
يخرج من النار من كان في قلبه وزن كذا من إيمان وهذا كله
بيان لثبوت التفاوت في ثواب الإيمان وأما قوله تعالى
ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم فقد روي عن ابن عباس

انه قال في تاويل هذه الاية انهم آمنوا بما انزل الله تعالى
اولا ثم انزل الله فريضة اخرى او حكما آخر فامنوا زيادة
على ما آمنوا به قال ابو حنيفة رحمه الله فيكون الايمان عند
الشرح والتفصيل على ما تقدم منهم من ايمان الجملة زيادة
تصديق على تصديق وكذي ذكر علماء التحقيق في قوله
تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فقالوا ان تكرار الايمان
في كل وقت وساعة يكون زيادة ايمان على ايمانهم فيكون
ايمان ابن ثلثين سنة ازيد ايمانا من ايمان ابن عشرين سنة
كذي ذكره سيف الحق ابو المعين النسفي في كتاب تبصير الادلة

واما قولهم والمومنون كلهم اولياء

الرحمن واكرمهم عند الله اطوعهم له واتبعهم للقرآن
فانما قالوا هم اولياء الرحمن لقوله تعالى الله ولي الذين امنوا
ولقوله ذلك بان الله مولى الذين امنوا واما قولهم واكرمهم
عند الله اتقاهم فانما قالوا ذلك لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله

اتقاكم ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على اسود الا بالتقوى
وهذا منهم اخبار بان التفاضل والتفاوت بين المومنين
في الدرجات انما يكون في الطواعية لله تعالى واتباع
القرآن ثم ذكر الطحاوي قولهم في ايمان الشرح والتفصيل
فقالوا على نسق ما تقدم ذكره وان الايمان هو الايمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر
خيره وشره من الله تعالى ونحن مومنون بذلك كله
لا نفرق بين احد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤا به
قال القاضي ابو حفص وغيره وانما قالوا هذا
الفصل تفصيلا لايمان الجملة وذلك لقوله تعالى
والمومنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله الى قوله والبك المصير وهذا هو اليوم
الآخر ولقوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط

وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به
فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق ولما روي
في الخبر المشهور المتواتر بعبارات فيها تقديم وتاخير
ومعانيها متفقة فروى نصر بن يحيى عن ابي مطيع
الحكم بن عبد الله في كتاب الفقه الاكبر قال ابو مطيع
قلت لابي حنيفة رضي الله عنه اخبرني عن الايمان
قال فذكر حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن يعمر
قال قلت لابن عمر اخبرني عن الدين ما هو قال فاخذ
بيدي فانطلق بي الى شيخ فاقعدني الى جنبه وكان
ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال بن عمر لقد كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا الشيخ معي اذ دخل علينا رجل حسن اللمة
منعما نحسبه من رجال البادية فحظا رقاب الناس
فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

كتاب الفقه الاكبر

يا رسول الله ما الايمان فقال شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله وتؤمن بملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى فقال
صدقت فعجبنا لتصديقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع جهل اهل البادية ثم قال يا رسول الله
ما شرائع الاسلام فقال اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
وصوم شهر رمضان وحج البيت والاغتسال من الجنابة
فقال صدقت لقوله بتصديقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانه يعلمه ثم قال يا رسول الله وما الاحسان
قال ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
فقال صدقت ثم قال يا رسول الله متى الساعة فقال
ما المسئول عنها باعلم من السائل ثم وقفا فلما توسط
الناس لم ير فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا
جبريل اتاكم ليعلمكم معالم دينكم قال ابو مطيع
قلت لابي حنيفة رحمه الله فاذا استيقن بهذا واقر به

فهو مؤمن فقال نعم قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين
ايده الله وفي بعض طرق هذا الحديث ان السائل قال اخبرني
عن الايمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر
خيره وشره من الله تعالى قال صدقت ثم قال اخبرني
عن الاسلام فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا الحديث الى اخره
وفي رواية محمد بن الحسن قال حدثنا ابو حنيفة قال
حدثنا علقمة بن مرثد الحضرمي عن يحيى بن يعمر قال بينا
نحن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رايت عمر
قاعدا في جانبه فقلت لصاحبي هل لك ان ناتي بن عمر نساله
عن القدر قال نعم قلت دعوني حتى اكون انا الذي اساله
فاني ارفق به منكم فاتيناه فقعدنا اليه فقلت يا ابا عبد الرحمن
انا قوم نتقلب في هذه الارض فربما قدمنا البلد به قوم يقولون

لا قدر قال ابلغوهم اني بريء منهم واني لو اجد اعوانا لجاهدتهم
قال ثم انشا يحدثنا قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه
في الناس من الصحابة اذ اقبل شاب جميل حسن اللمة طيب الريح
عليه ثياب بياض فقال السلام عليكم يا رسول الله فرد النبي
صلى الله عليه وسلم وردنا ثم قال ادنوا يا رسول الله قال
ادنه فدنى دنوة او دنوتين ثم قام موقرا له فقال
ادنوا يا رسول الله فقال ادنه فدنى حتى جلس فالصق
ركبته بركبته رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اخبرني
عن الايمان ما هو قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره من الله قال
صدقت فعجبنا لقوله صدقت كانه اعلم به قال فاخبرني
عن شرايع الاسلام ما هي قال اقام الصلوة وايتاء الزكوة
وصوم رمضان وحج البيت والاغتسال من الجنابة قال
صدقت قال فعجبنا لقوله صدقت كانه يعلم قال فاخبرني
عن الاحسان ما هو قال ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه

فانه يراك قال صدقت فتعجبنا لقوله صدقت كانه يعلم
قال فاخبرني عن قيام الساعة متى هي قال ما المسؤول عنها باعلم
من السائل قال صدقت قال فتعجبنا لقوله صدقت فانصرف
ونحن نراه فقال النبي صلى الله عليه وسلم علي بالرجل فسبرنا
في اثره فما ندري اين توجه ولا رأينا شيئا فذكرنا ذلك للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال هذا جبريل اتاكم يعلمكم معالم
دينكم ما اتاني في صورة قط الا انا اعرفه فيها قبل هذه الصورة
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده الله هذا
حديث صحيح مشهور قبله الحفاظ وعلماء الاصول
وقد تضمن المسائل الاعتقادية واصول شرايع الاسلام
وفيه دلالة من دلائل الرسالة وهو ظهور جبريل عليه
السلام في صورة رجل من اهل البادية ثم انتصب سائلا
عن معالم الدين ثم تغيب عنهم وهم ينظرون اليه ثم اخبر
عن كونه جبريل من شهدت المعجزات برسالته وعصمته
فكان السائل جبريل الامين والمفتي رسول رب العالمين

وفيه ان الايمان بالقدر من معالم الدين وترك الايمان بالقدر
مما يوجب التبري منه ولذلك تبرى ابن عمر ممن نفى القدر
وفيه دليل ان الايمان هو الاقرار والتصديق وان العمل شرايعه
وفي رواية احمد بن حنبل في مسنده ان السائل قال في فصل
الايمان فاذا قلت هذا فانا مؤمن فقال النبي صلى الله عليه
وسلم نعم ولم يقل ان شاء الله ثم ذكر الطحاوي قولهم
في اصحاب الكبائر فقالوا واهل الكبائر في النار لا يخلدون
اذا ماتوا وهم موحدون وان لم يكونوا تائبين بعد ان
لقوا الله تعالى عارفين وهم في مشيئته وحكمه ان شاء
غفر لهم وعفى عنهم كما ذكر عز وجل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان شاء عذبهم
في النار بقدر جنايتهم بعدله ثم يخرجهم منها برحمته
وشفاعة الشافعين من اهل طاعته ويبعثهم الى جنته
ذلك بان الله تعالى مولى اهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين
كاهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته

اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالإسلام حتى نلقاك به
أما قولهم وأهل الكبائر لا يخلدون في النار إذا ماتوا
وهم موحدون فقد احتجوا لذلك بقوله تعالى إن الله
لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال
الشيخ أبو منصور رحمه الله وجميع علماء أهل السنة
والجماعة هذه الآية حجة لنا على الخوارج والمعتزلة
أما على الخوارج فإن بعضهم يقولون إن الذنوب كلها أشراك
بالله تعالى فمن ارتكب ذنبا صغيرا أو كبيرا فإنه يكفر
وبعضهم يقولون إن الكبائر منها شرك وكفر دون
الصغائر أما وجه الحجة على الفريق الأول من الخوارج
فلأن الله تعالى فصل بين الشرك وبين ما دونه وأخبر
أن الشرك غير مغفور وأطمع في مغفرة ما دونه حيث
علق غفرانها بالمشيئة وجائز الوجود يعلق بالمشيئة دون
الممتنع وجوده ولو كان الكل أشراكا لم يكن للتفصيل
والقسمة معنى وكان يكون خلفا في خبر الله تعالى عن ذلك

وأما الحجة على الفريق الثاني من الخوارج فكذلك لأنهم إنما
جعلوا الكبيرة شركا بمعنى وذلك المعنى موجود في الصغيرة
وهو قولهم إنه نقض ما عاهد الله أن لا يعصيه ولا يخالف
أمره والذنب سواء قل أو كثر فهو عصيان فأما أن يلزمهم
القول بالإشراك بسبب الصغيرة بهذا المعنى فتكون
الآية حجة عليهم أو يلزمهم أن يمتنعوا عن إطلاق اسم الشرك
على الكبيرة بهذا المعنى كما في الصغيرة فتدخل الكبيرة
تحت قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتكون الآية
حجة عليهم ٭ وأما على المعتزلة فإنهم قالوا إن صاحب
الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وإذا
لم يدخل صاحب الكبيرة تحت قوله إن الله لا يغفر أن
يشرك به يجب أن يدخل تحت قوله ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء لأن قوله ما دون ذلك عام مطلق فيجب العمل
بعمومه وإطلاقه وأنه يقتضي أن ما دون الكفر من
الذنوب جائز المغفرة فإنه تعالى أطمع في مغفرتها

حتى علقها بالمشيئة وما لا يجوز غفرانه في العقل لا يجوز
ورود القول به وتعلقت المعتزلة بقوله تعالى ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا
فيها فدل أن أصحاب الكبائر لا يدخلون تحت المشيئة
فيحتمل أن يدخل تحت المشيئة أصحاب الصغائر وقد
عرفنا دخولهم تحتها بقوله تعالى إن تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قلنا لهم قوله لمن
يشاء وعد من الله تعالى المغفرة والصغائر عندكم
مغفورة بالحكمة عند اجتناب الكبائر فتعلم
أن مغفرة الصغائر بالعقل وقد ثبت أن الكفر
لا يدخل تحت مشيئة المغفرة والصغائر مغفورة
بالعقل ولا يجوز مواخذتها فإذا لم تدخل الكبائر
تحت هذا النص يؤدي إلى الخلف في خبر الله تعالى
وذلك محال فثبت أن الكبائر هي الداخلة تحت
النص وأما قولهم وإن لم يكونوا تائبين بعد أن آمنوا الله

عالم بهم وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وإن شاء
عذبهم وهو مذهب أهل السنة والجماعة أن الكبائر
والصغائر كلها في مشيئة الله تعالى إن شاء عذب عليها
بعدله وإن شاء عفى عنهم وكفرها بما معه من الإيمان
وقالت المعتزلة إن الكبائر لا يجوز غفرانها بغير
توبة ولنا قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك
وقرنه بالمشيئة ولقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وهذا نص
صريح فهم منه أهل الحق كبائر الذنوب

وأما قولهم وإن شاء عذبهم

في النار بقدر جنايتهم بعدله فإنما قالوا هذا ردا
على المرجئة الخبيثة حيث يزعمون أن المؤمن لا يدخل
النار وقد دلت نصوص الوعيد من الكتاب والسنة

على جواز تعذيب صاحب الكبيرة بقدر ذنبه وبه
قال أهل الحق

وأما قولهم ثم نخرجهم منها

برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته فإنما
قالوا ذلك بدلالة نصوص الشفاعة من الكتاب
والسنة المشهورة وفيها خروج صاحب الكبيرة
من النار فيكون ردا على المعتزلة

وأما قولهم بأن الله مولى أهل

معرفته ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته فإنما
قالوا ذلك لما دلت الدلائل العقلية والسمعية
على انتفاء التسوية بين المؤمن والكافر منها قوله
تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
سآء ما يحكمون أخبر أنه لا يستوي بين الفريقين ثم صرح أن
أحدهما هم الذين آمنوا فكان الفريق الآخر هم الذين كفروا
وقد نفى التسوية بينهما في المحيا والممات وصاحب الكبيرة
ممن آمن وعمل الصالحات ولقول النبي صلى الله عليه حين نادى
منادي المشركين يوم أحد فقال لنا هبل ولا هبل لكم ألا
تجيبونه فقال ما نقول فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى للكافرين معناه الله
معيننا وناصرنا ومتولي أمورنا قال الشيخ الإمام
العالم نجم الملة والدين أيده الله وفي قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله مولانا ولا مولى للكافرين دلالة من
دلائل الرسالة فإنه أمرهم بأن يقولوا في حال الضعف
والخوف وقد كان ابتلي المسلمون بالهزيمة بسبب خلاف
ومنازعة كانت من بعضهم وفيه إخبار بأن عاقبة الأمر
للمسلمين وأن الله تعالى ناصرهم ثم حقق الله تعالى لهم
حسن العاقبة وفتح عليهم مكة فدخلها رسول الله صلى الله عليه

في عشرة آلاف مقاتل بعدما اضطر الى الخروج منها
مهاجرا مع صاحبه ابي بكر وجندا فريدا ولان الحكمة
توجب تفضيل اهل المعرفة على اهل النكرة فلو خلدهما
جميعا في النار بطلت التفرقة وثبتت التسوية فثبتت التفرقة
بين اهل المعرفة والنكرة بدلالة السمع والحكمة

واما قولهم اللهم يا ولي الاسلام

واهله مسكنا بالاسلام حتى نلقاك به فانهما طلبوا الثبات
على الاسلام الى الموت لان السعادة الابدية تحصل به
وخلقت هذه الدار مطية اليها ولزمت التكاليف
لاجلها فوجب طلب الثبات على ما به يتوصل اليها وهو
لقاء الله تعالى بالاسلام وكذلك طلب ذلك جبار الخليقة
قال يوسف صلوات الله عليه حين استقر في الملك
واجتمع بالاحبة رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل
الاحاديث فاطر السموات والارض الى قوله توفني مسلما

وكذبني غيره ولان المؤمن بين الخوف والرجا الى الموت على
على ملة الاسلام فوجب الاهتمام بسؤال الموافاة بالاسلام
ثم ذكر الطحاوي قوله في معاملة اهل القبلة في حياتهم
ومماتهم فقال ونرى الصلوة خلف كل بر وفاجر من
اهل القبلة وعلى من مات منهم ولا ننزل احدا منهم جنة
ولا نارا ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم
يظهر منهم شي من ذلك وندر سرائرهم الى الله تعالى
ولا نرى السيف على احد من امة محمد صلى الله عليه الا
من وجب عليه السيف — اما قولهم بجواز الصلوة
خلف كل بر وفاجر من اهل القبلة فانما قالوا ذلك لان
الامتناع من الصلوة خلف اهل القبلة بورثه تهمة البدعة
والقول بكفار اهل الكبائر وقد قام الدليل على فساد
ذلك ولان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
يصلون خلف الجبابرة من بني امية وعن ابن عمر رضي الله عنه
قال اذا دعونا الى الرحمن اجبناهم واذا دعونا الى الشيطان تركناهم

وأما قولهم وعلى من مات منهم

فإنما قالوا ذلك لا تأدبا إلى الاستغفار لأهل القبلة
والصلوة على الميت استغفار له وشفاعة وقد أمر رسول
الله صلى الله عليه بالصلوة على ماعز وأما قطاع الطريق
وأهل البغي إذا قتلوا في حال المحاربة لم يصلى عليهم فلأنهم
من أهل اللعن والصلوة ضد اللعن ولأنهم باينوا المسلمين
بالحرب والدار فألحقوا بهم بترك الصلوة عليهم عقوبة
وأما من يقتل الناس غيلة لأخذ أموالهم فهو ساع في الأرض
بالفساد كقطاع الطريق فألحق بهم بترك الصلوة عليه

وأما قولهم ولا ينزل أحدا منهم

جنة ولا نارا فلأن ذلك إخبار عن الغيب وذلك لا يكون
إلا بطريق الوحي ولا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه
ولأن تبدل الأحوال في حق غير الأنبياء عليهم السلام في الحال

المحسنين أو المسيئين جائز على ما يكون سبق في علم الله تعالى
وذلك غيب عنا فيكون إنزال المحسنين بظاهر حاله الجنة
قولا بما لا علم له وذلك لا يجوز وكذا إنزال المسيء بظاهر
حاله النار يكون تألينا على الله تعالى وذلك باطل محظور
وعن علي رضي الله عنه أنه قال لا تنزلوا العارفين المحسنين
الجنة ولا المسيئين النار حتى يكون الله تعالى هو الذي ينزلهم

وأما قولهم ولا نشهد عليهم

بكفر ولا بشرك ولا نفاق فإنما قالوا ذلك لأن الطعن
بذلك من غير ظهور ذلك يكون ظنا واتباع الظن محظور
قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولأنه
تتبع لما خفي علمه وذلك حرام قال الله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم وقال بعض أئمة التحقيق إذا سئل عن المؤمن
المحسن بعينه أين هو فالجواب أن يقال إن مات على
الإيمان وأداء الفرائض والواجبات تائبا من الكبائر

مستغفرا من الصغائر فهو في الجنة واذا سئل عن جماعة
المسلمين ان هم فالجواب ان يقال هم في الجنة لقوله تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها
الانهار واذا سئل عن الكافر مشار اليه يقول ان مات
على كفره فهو في النار واذا سئل عن جملة الكافرين
فالجواب ان يقول هم في النار لقوله تعالى ان الفجار لفي جحيم

واما قولهم ونذر سرائرهم الى الله

تعالى فلانه هو المطلع عليها دون العباد فوجب تفويض
ذلك اليه واما قولهم ولا نرى السيف على احد من امة محمد
صلى الله عليه الا من وجب عليه السيف فانما قالوا ذلك
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها ومعنى قوله بحقها الردة والقصاص
واذا اجتمع جماعة على قتال اهل العدل وبدؤا بالقتال

او اجتمع اهل بلدة او قبيلة على ترك فريضة من فرائض
الله تعالى كما فعلت ذلك قبائل العرب بمنع الزكوة
حتى قاتلهم ابو بكر واصحابه ثم ذكر الطحاوي قولهم
في طاعة اولي الامر فقالوا ولا نرى الخروج على ائمتنا
واولات امورنا وان جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع
يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله تعالى فريضة

واما قولهم ولا نرى الخروج

على ائمتنا واولات امورنا وان جاروا فانما قالوا ذلك
لان فساد الخروج عليهم اشد واعظم من جواز الخروج
عليهم لما في ذلك من كثرة سفك الدماء وسبي الذراري
والنساء وانما خصوا الائمة والولاة تمييزا بينهم وبين
المتغلبين الذين لم ينعقد لهم بيعة من اهل الحل والعقد
واما قولهم ولا ندعوا عليهم فانما امنعوا من الدعاء عليهم
لانا لا نعرف المصلحة في ذلك وقد روي عن انس بن مالك

انهم شكوا اليه ما لقوا من الحجاج ابن يوسف وقالوا الا
تدعوا الله لنا فقال لهم اصبروا فوالذي نفسي بيده
للذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم
فان ثبت هذا فان الحجاج كان يحج بالناس ويقتدي في
اتيان المناسك بالصحابة ويخطب بنفسه في الجمع ويصلي
بالناس مع ما اشتهر من فساده وكثرة سفك الدماء ثم
كثر الجهل في الولاة من بعده مع التزي بزي الاعاجم
من لبس الذهب والحرير المصمت والتلهي بلهو الاكاسرة
وترك الخطب والوعظ بعرفات وايام الجمع ؟

واما قولهم ولا ننزع يدا من طاعتهم

فانما منعوا من ذلك لانهم لو جوزوا ذلك افضى الى نزع
الكل عن الطاعة فيؤدي الى فساد عريض من كسر
شوكة المسلمين وشق عصاهم واطماع العدو فيهم
واما قولهم ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة فانما ارادوا

بذلك اذا دعوا الرعية الى طاعة الله عز وجل وما فيه
مصلحة العامة واما اذا دعوا الى المعصية فلا طاعة
وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق ثم ذكر الطحاوي قولهم في كون الصبر
والدعاء للولاة بالصلاح افضل فقالوا وندعوا لهم بالصلاح
والمعافاة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ
والخلاف والفرقة ونحب اهل العدل والامانة ونبغض
اهل الجور والخيانة ونقول الله اعلم فيما اشتبه علينا علمه

واما قولهم وندعو لهم بالصلاح

والمعافاة فهذا منهم بيان ان الدعاء لهم بالصلاح اصلح من
الدعاء عليهم فانما قالوا ذلك لما في الدعاء لهم بالصلاح
من المصالح المتنوعة من رجاء الاجابة وفيها عموم الصلاح
للوالي والرعية والتالف لقلوبهم والتسكين لما بهم من
الفساد واما قولهم والمعافاة اي وندعو لهم بالمعافاة

وهي شاملة بمصالح الأديان والأبدان ففي صلاح
دينهم صلاح دين الرعية لأنهم اذا صلحوا في دينهم حملوا
الرعية على أوامر الشريعة فحازوا جزيل الثواب وجميل
الذكر على مدى الأعقاب واذا صلحوا في أبدانهم قدروا
على القيام بما حملوا من أمانة الله عز وجل فيما استرعاهم
فقد صح عن النبي صلى الله عليه أنه قال السلطان راع
على الناس وهو مسئول عنهم وعنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فارفق به ومن
شق عليهم فاشق عليه

وأما قولهم ونتبع السنة والجماعة

فانما قالوا ذلك لأن السنة طريقة الرسول وهي المفضية
الى الجنة وحسن العاقبة فمن سلكها أفضت به الى
النجاة من العقوبة والفوز بالجنة اذ هي طريقة من
قامت الآيات والبراهين على كونه رسول الله وانما بعث

ليقتدى به قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
فيجب سلوك طريقته واتباعها وكذلك يجب اتباع الجماعة
الداعية الى الطريقة الرسول وهم الصحابة رضوان
الله عليهم ثم الذين اتبعوهم باحسان فاتباعهم هدى
وخلافهم بدعة وضلال

وأما قولهم ونجتنب الشذوذ

والخلاف والفرقة فانما قالوا ذلك لما سبق بيانه غير
مرة ان اجماع الأمة الهادية وهم الصحابة والتابعون
ومن سلك سبيلهم حجة من حجج الله تعالى موجبة للعلم
قطعا بالدلائل المذكورة في صدر الكتاب في فصل الاجماع
وقد توعد الله تعالى من تولى عن اتباع سبيل المؤمنين
بجهنم وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وسبيلهم اجماعهم وقد توعد بالنار على ترك سبيل المؤمنين

كما توعد بها على مشاقة الرسول وقد تواتر الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجتمع امتي على ضلال ابدا وقال
صلى الله عليه من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه فثبت بالدليل القاطع ان خلاف السنة والجماعة
بدعة وضلال لان السنة اذا تواتر ورودها صارت كالمسموع
من الرسول واجماع السلف الصالح فقد ثبت كونه حجة
بدليل قطعي وعقلهم في اصابة الحق قد تايد بالدليل القاطع
فعصموا عن الخطا في اجتهادهم وعقل من خالفهم من بعدهم
لم يتايد بالدليل القاطع فلذلك زاغ عن الحق والهدى
من خالف اجماعهم فعلا كان او قولا وبالله التوفيق والعصمة

واما قولهم ونحب اهل العدل

والامانة قال القاضي ابو حفص اراد وا باهل العدل والامانة
اهل السنة والصيانة من المسلمين والمتمسكين بالعدل من
ولاة الامور واراد وا باهل الجور والخيانة اهل الخلاف

والعصيان منهم والجابرين من ولاتهم واراد وا بالحب والبغض
حب افعالهم وبغض افعالهم لا ذواتهم كما قال تعالى والله
لا يحب الفساد وقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
اي يحب التوابين لاجل التوبة لانه يحب التوبة من عباده
وكذي قوله ويحب المتطهرين اي لاجل تطهرهم لانه يحب الطهارة
واما قولهم ونقول الله اعلم فيما اشتبه علينا علمه وانما ذكروا
هذا تاكيدا لما سبق بيانه لئلا يتشكك العبد عند ما يشتبه
عليه لان حل جميع المشكلات غير ممكن فيجب التفويض
الى الله تعالى ويعتقد الحقية في كل ما ثبت عن الله تعالى
وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ويعرف يقينا ان عقول
الخلق قاصرة عن الحكم البشرية فكيف تدرك جميع الحكم
الربوبية وكان امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
يقول ايها الناس اتهموا ارائكم واحسنوا الظن برسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما يروي لكم عنه ومعناه ما ذكرنا وقال
الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ربي اعلم بعدتهم واخبر

عن اولئك الخواص بقوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم قالوا ذلك حين
اشتبه عليهم مدة لبثهم ثم ذكر الطحاوي قولهم في شدة
الاعتماد على ما ثبت بالنقل اذا كان متواترا او مشهورا حتى
الحقوه بالعقائد فقالوا وترى المسح على الخفين في السفر
والحضر كما جاء في الاثر قال القاضي ابو حفص الغزنوي
وانما ذكروا هذا مع كونه من احكام الفقه لتواتر الاخبار
بذلك ولعمل الصحابة والتابعين بها حتى روي عن الحسن
انه قال اخبرني سبعون رجلا من البدريين انهم رأوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على خفيه ولان رسول
الله صلى الله عليه وسلم داوم على المسح خفيه حتى قبض
وعن ابي الحسن الكرخي انه قال اني لاخشى الكفر على من لا يرى
المسح على الخفين وقد قرئ قوله تعالى وامسحوا برؤسكم
وارجلكم بقراءتين بنصب اللام عطفا على المغسول وبخفضها
عطفا على الممسوح والاية اذا قرئت بقراءتين تصير كايتين فان

امكن العمل بهما جميعا معا عمل بهما ولا يمكن الجمع بين
الغسل والمسح في حالة واحدة والعمل بهما في الحالين
ممكن فلما تواترت الاخبار بان رسول الله صلى الله عليه
وسلم داوم على مسح خفيه حالة التخفف حتى قبض وداوم
على غسل رجليه حالة عدم التخفف زال الاشكال وتبين
حكم القراءتين وقد امتنع بعض المبتدعة عن ذلك فخرج
الحكم بتواتر الاخبار واجماع السلف عن حيز المجتهدات
والتحق بالاصول فلذلك ذكره فقهاء الملة ابو حنيفة وابو يوسف
ومحمد في فصول العقائد ثم ذكر الطحاوي قولهم في الحج والجهاد
لانهما من شعائر الاسلام وليس لهما وقت معين فقالوا
والحج والجهاد ماضيان مع اولي الامر من ائمة المسلمين
بارهم وفاجرهم الى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما
اما قولهم في الحج والجهاد انهما ماضيان فهذا منهم بيان
بان الحج وان كان فرضا على كل مكلف في عمره مرة واحدة
لكنه شرع بجهاد بالمال والبدن عند القدرة وهو من شعائر الاسلام

فكان كجهاد العدو حتى قال بعض مشايخنا في تصنيف له
ان الكافر اذا احرم من الميقات ووقف مع المسلمين
بعرفات وقضى المناسك فانه يحكم باسلامه لكون الحج من
شعائر الاسلام فيستدل بذلك على تبدل ما كان
يعتقده من الكفر لان الاسلام في الحقيقة اعتقاد
دين الحق وكذى الكفر اعتقاد دين الباطل وانما يوقف
عليهما بالدليل اذ الاقرار بالتوحيد دليل على وجوده
في القلب وكذلك قال مشايخنا اذا قال الحربي لو شئت
انا مسلم يقبل منه ويجعل ذلك منه اسلاما بخلاف
الكافر الكتابي لان الاول يعتقد مطلق الكفر والثاني
كافر برسالة بعض الرسل متشبثا باليهودية او بالنصرانية
فما لم يوجد منه الايمان برسالة من كفر به مع التبري
من دينه الباطل لا يحكم باسلامه فكان الحج كالجهاد
واما الجهاد فهو من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو دعاء
الى دين الله عز وجل وتوحيده قال الله تعالى وقاتلوهم

حتى لا تكون فتنة قال المفسرون معناه حتى لا يكون شرك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجهاد ماض منذ بعثني
الله تعالى حتى يقاتل آخر امتي الدجال

واما قولهم مع ائمة المسلمين

فانما قالوا ذلك لان الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر
فلا بد من سائس ضابط فيهما يسوس الناس ويقاوم العدو
واما قولهم مع بارهم وفاجرهم فانما قالوا ذلك لان العصمة
غير شرط في الامارة لانه مكلف بالجري على شريعة
معصومة ثبتت بالحجج والبراهين فلا يقع بفجوره الناس
وروي عن علي رضي الله عنه قال لا بد من الامارة برا كان
او فاجرا فان كان برا اقيمت به الحدود ونفذت
به الاحكام وان كان فاجرا تؤمن به السبل وتحسم به مادة
السراق وعلى ذلك اجماع اهل السنة والجماعة واما قولهم
ماضيان الى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما فهذا منهم

بيان أن كثرة المؤنة وبعد الشقة والخوف الناشئ من الإرجاف
لا يكون عذرا مسقطا فرضيتهما فيبطل ما ذكر عن بعض المتأخرين
في الحج أنه يسقط بالخوف من قطاع الطريق ونحوه فلهذه
الوجوه المذكورة في شأنهما ألحقوهما بفصول العقائد
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الحفظة وفي ملك الموت وفي
عذاب القبر ونعيمه وفي سؤال منكر ونكير للميت
فقالوا ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله تعالى جعلهم علينا حافظين
ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين وبعذاب
القبر ونعيمه لمن كان له أهلا وسؤال منكر ونكير للميت
في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم
والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران

أما قولهم ونؤمن بالكرام الكاتبين

فإنما قالوا ذلك لقوله تعالى ولما ثبت بالنقل المتواتر عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أما النص فهو قوله تعالى
وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
فهذا نص صريح في إثبات الحفظة وكتبة أعمال بني آدم
وهو في حق الحفظة بحتة امتحنهم الله تعالى بها كما امتحن
بعضهم بالكون مع السحاب وبعضا منهم جعلهم رسلا
إلى العباد فهذه محن تعبدهم بها إذ الله تعالى عالم لم يزل
قادر لم يزل غني بذاته لم يزل وقد كتب الله تعالى في اللوح
المحفوظ جميع ما يكون وجميع ما تفعل العباد قبل خلقهم
ثم إن النقل قد ثبت بأن الحفظة إذا صعدوا أبقوا بلون
ما كتبوا بما في اللوح المحفوظ فلا يزداد ولا ينتقص عما
في اللوح المحفوظ فيكون ذلك من إبانة علمه الأزلي
عليهم ثم يثبت ما فيه الثواب والعقاب ويمحا ما ليس
فيه ثواب ولا عقاب وأما وضع الحفظة فيما يرجع
إلى العباد فمن الحكمة في ذلك الزيادة في ترغيبهم في الخيرات
وتحذيرهم عن ارتكاب السيئات إذ جميع ما تكتب الحفظة

من خير وشر عملوه فانهم يقرؤنه يوم القيمة ويجازون
عليه فبعثه ذلك في الدنيا على الازدياد من الخير والكف
عن الشر ولان في الشاهد من علم ان عليه رقيبا وحافظا
يحفظ عليه افعاله ويراقب احواله كان احذر في التنبه
والتيقظ واما الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكثيرة متواترة

واما قولهم ونؤمن بملك الموت

الموكل بقبض ارواح العالمين فانما قالوا ذلك لثبوته بالكتاب
والخبر المتواتر اما الكتاب فقوله تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم فقد صرح الله تعالى بتوكيله ملك
الموت على قبض ارواح الخلق كما صرح بجعل الملائكة
حافظين علينا فوجب الاعتقاد بحقيتهما واما الاخبار
في كون ملك الموت موكلا بقبض الارواح وله اعوان يجعلون
معه فقد وردت متواترة مستفيضة واما قولهم

ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك اهلا فانما قالوا
ذلك لانه دل عليه قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وقال ايضا مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا ومن انكر
عذاب القبر تعلق بقوله تعالى قالوا من بعثنا من مرقدنا والجواب
عن تعلقهم به قال اهل التاويل هو رقودهم بين النفختين
وقد تواترت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في ثبوت
عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك اهلا وهو مذهب
اهل السنة والجماعة فيجب الاعتقاد بثبوت ذلك

واما قولهم بسؤال منكر ونكير للميت

في قبره عن ربه ودينه ونبيه وقولهم بان القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فانما قالوا ذلك لما
تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
كله ولاتفاق الصحابة رضي الله عنهم على ثبوته وقد جاء في
تفسيره قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت

في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ان ذلك في سوال منكر ونكير
في القبر وهذه الفصول من باب الخبر فاذا تواتر الخبر
عمن يخبر عن الوحي وجب قبوله والاعتقاد بنبوته
ولا يتكلم في كيفيتهما اذ ليس للعقل وقوف على كيفية
التعذيب والتنعيم في القبر وكيفية السوال للميت
وان كان العقل يستجيز تركيب باطن لا يتسارع اليه الفساد
مع وجود تركيب ظاهر يتسارع اليه الفساد فانه يستخرج
النار من الشجر الاخضر ويستخرج منه الماء بالعلاج وهما
ضدان حار وبارد مجاورا في جوهر واحد وكذي النار كامنة
في الحجر ولو سحق الحجر اجزا لم يوقف على النار المكمونة
فيه ويرى خروج النار من ذلك الحجر عيانا بالقدح ومن
هذا القبيل كان داود عليه السلام يسمع تسبيح الجبال وان
كان غيره لا يسمع ذلك والجبل موات جامد وزعمت المعتزلة
ان التسبيح المضاف الى الجبال تسبيح الخلقة يعنون ان خلقة
الجبال تسبح بتنزيه صانعها فقال اهل الحق هذا منهم

ابطال لتخصيص داود عليه السلام تسبيح الجبال فان الله تعالى
قال للجبال اوبي معه وقال تعالى والجبال يسبحن معه
وعلى قول المعتزلة لا تخصيص لداود عليه السلام بذلك
اذ الجبال تسبح بخلقتها عند داود وعند كل احد وبطل
تخصيص داود به والقول بذلك محال ثم لا بد من اثبات
سرية ونوع حيوة فيها عند اهل الحق كذي ذكر في كتاب
التاويلات فكانت تسبح بتلك الحيوة والسرية فكان داود
عليه السلام يسمع من دون غيره وكذلك تسبيح الحصا
في كف نبينا صلوات الله عليه حتى سمع من حوله ذلك
وكذلك حنين الجذع اليابس اية من ايات رسالة نبينا صلوات الله عليه
حتى سمع صياح تلك الخشبة اليابسة اهل المسجد
وصح في الاخبار عن الصحابة رضي الله عنهم انهم كانوا
في بدو الاسلام يرون النور في الليلة الظلماء ويسمعون
تسبيح الطعام وهو يوكل وذلك اية لحقية الدين الذي
دعاهم اليه نبيهم صلى الله عليه وسلم فيجب الايمان بكل

بالكتاب او بالسنة المتواترة وان لم يوقف على كيفية ذلك
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في الامور الكائنة في العالم
الثاني فقالوا ونؤمن بالبعث وجزاء الاعمال يوم القيمة
والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب
والصراط والميزان ۞ واما قولهم ونؤمن بالبعث بعد الموت
فالاصل في هذا ان خلق العالم المشاهد من السماوات والارضين
وما فيهن انما كان حقا وحكمة مع تحقق الفناء فيه بوجود
العالم الثاني بعد فناء العالم الاول على ما تقدم البيان
غير مرة في فصول حدث العالم وثبوت الصانع ووحدانيته
وحكمة ايجاد اهلها للاستعباد فقالوا ونؤمن بالبعث
بعد الموت بالبراهين العقلية وللاخبار الصادرة عن
الصدق وهي الكتب السماوية والرسل الذين قامت على
حقيتهم الايات المعجزة لكافة الخليقة والحجج التي هي
حكمة الصانع القديم فنطقت الكتب السماوية كلها
بقيام الساعة وبعث اهلها بعد موتهم وفنائهم وكذلك

نطقت الرسل والانبياء كلهم جميعا بالبعث بعد الموت
ودلت الحكمة على تحقق ذلك وانه لولا البعث لكان خلق
السموات والارض للبعث اذ كان يكون الايجاد للاعدام
والبناء للهدم بلا عاقبة وذلك سفه وتعالى الصانع الذي
ملأ كل شيء دلالة وحكمة ان يكون صنعه سفها قال الله
تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
ضير خلق الخلق اذ لم يكن لهم رجوع اليه عبثا ثم نزه عز وجل
ذاته القديم عن ان يكون صنعه عبثا بقوله فتعالى الله
الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم

واما قولهم وجزاء الاعمال يوم القيمة

اي نؤمن بجزاء الاعمال وانما قالوا ذلك لقوله تعالى
انما تجزون ما كنتم تعملون وقوله جزاء بما كانوا يعملون
واما قولهم يوم القيمة فانما قالوا ذلك لان الدنيا لا تصلح لجزاء
ان تكون دار الجزاء لانها جعلت دار العمل والاخرة جعلت دار

وانما قلنا ان الدنيا لا تصلح دار الجزاء لان الاصل في محنة
اهلها بالاوامر والنواهي هو الايمان بوحدانية الصانع
بالغيب بشهادة الآيات والدلائل والانتهاء عن الكفر
والخلاف عن اختيار في الاتيان والترك وخلق الحيوة
والموت ليبلوهم ايهم احسن عملا لاظهار ما علم في
الازل من وجود شاكر وكافر كما قال هو الذي خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن وكما قال فاما شاكرا واما كفورا ودلت
الدلائل ان يكون الايمان واجبا على التابيد وان يكون الكفر
حراما على التابيد فجعلت الحيوة الدنيا للعمل الى الموت
وجعل الموت للنقل الى الآخرة التي فيها يبعثون جميعا
للجزاء الوفاق ولو كان وقوع ابتداء الجزاء المؤبد في الدنيا
بطلت المحنة عن اختيار وكان الايمان اضطرارا بالمعاينة
العذاب وقد قام الدليل القطعي ان الايمان لا ينفع عند
معاينة البأس فجعل الجزاء في دار البقاء ولذلك سمي يوم
القيامة يوم الجزاء قال الله تعالى مالك يوم الدين قالوا

ولذلت الدلائل ان يكون الايمان واجبا على التابيد وان يكون الكفر حراما على التابيد

يوم الجزاء واما قولهم والعرض اي نؤمن بالعرض على اسرع
الحاسبين وانما قالوا ذلك لقوله تعالى وعرضوا على ربك
صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم الاية وقوله تعالى يومئذ
تعرضون لا تخفى منكم خافية وقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين واما ايمانهم بالحساب فلقوله تعالى وان
كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
واما ايمانهم بقراءة الكتاب فلقوله تعالى وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه ونخرج له كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك
كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا واما ايمانهم بالثواب
والعقاب فقد قدموه في قولهم وجزاء الاعمال وانما اعادوه
تاكيدا ومبالغة اذ خلق السموات والارض وما فيهما كان
للاستعباد بالاوامر والنواهي لاثبات الثواب والعقاب
وقال تعالى جزاء وفاقا فيكون جزاء التوحيد ثوابا مؤبدا
وجزاء الكفر عقابا مؤبدا اذ الدين يعتقد للابد واما
ايمانهم بالصراط فلما ذكر اهل التفسير في قوله تعالى وان منكم

الاوارد هافقالوا يضرب الصراط على متن جهنم وله
استواء ونزول وصعود قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر الظالمين فيها جثيا وقد تواترت الاخبار في
صفة الصراط انه جسر ممدود على متن جهنم احد
من السيف وادق من الشعر ومرور الناس عليه باعمالهم
فمنهم من يمر كالبرق وكالريح ومنهم من يمر كاجاويد
الخيل والركاب وكاشد العدو وعلى الرجل تجري بهم اعمالهم
ومنهم من يتهافت فيها وليس في العقل انكار شيء من ذلك
اذا تامل حق التامل فان العقل من حجج الله تعالى وحججه
لا تتناقض فمن استوفى شرايط الاستدلال وجدها
متوافقة ومن قصر في ذلك او مال الى هوى نفسه
وجدها مختلفة وذلك ان من تامل بعقله في خلقته من ماء
مهين في ظلمات ثلث عرف ان صانعه قادر على كل شيء
وكذلك من تامل في كون السماء قايمة في الهوى بلا عمد وكذلك
من تامل في السحاب الثقال وعليه يجوز الماء وهو يسير

تارة ويقف تارة بين السماء والارض على متن الهوا ومن
شان الثقيل الانحدار والنزول والهوا لا يصلح قرارا
للجسم الكثيف ولذلك قال الله تعالى والسحاب المسخر بين السماء
والارض لايات لقوم يعقلون فمن تامل بعقله عرف ان من مسك
السماء في الهوا بلا علاقة ولا عمد وسخر السحاب الثقال
وعليه يجوز الما بين السماء والارض بلا علاقة من فوق ولا
عمد من تحت قادر على امتساء العباد على الصراط المذكور
وعلى غيره وانه لا يعجزه شيء فوجب الايمان بكل ما جا به
الكتاب والسنة المتواترة واما ايمانهم بالميزان والوزن
فلقوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ولما ورد
به الاخبار واما الكلام في ماهية الميزان وكيفية الوزن
فلم يتعرضوا لذلك لما وجدوا النصوص مطلقة واختلف
اهل التاويل في الماهية والكيفية اذ مذهبهم في كل ما لا يجب
العمل به ويجب الاعتقاد اقتصروا فيه على اثباته واعتقاد
حقيقة المراد به ثم ذكر الطحاوي قولهم في الجنة والنار

فقالوا الجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان ابدا فان الله
تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما اهلا فمن
شاء منهم للجنة فضلا منه ومن شاء للنار عدلا منه وكل يعمل
لما قد فرغ منه وصائر الى ما خلق له اما قولهم بدوام
الجنة ونعيمها ودوام النار وعقابها فانما قالوا ذلك
لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم
خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا ولقوله تعالى لا مقطوعة ولا
ممنوعة ولان الجنة اعدت للمتقين لايمانهم على التابيد
والنار اعدت للكافرين جزاء لكفرهم على التابيد وقال
تعالى جزاء وفاقا وقد صرح الله تعالى بذكر الخلود والابد
في جزاء الكافرين والمؤمنين فوجب القول ببقائهما على
الابد وقد ارتفع الانقطاع عن نعيم الجنة وارتفع ابتغاء
التحول عنها بقوله تعالى لا يبغون عنها حولا فوجب الاعتقاد
ببقائهما على الدوام وعليه اجماع اهل الحق وخالف جهم بن

صفوان وبعض المعتزلة بقاء الجنة والنار وقولهم باطل بالكتاب
الصريح والسنة الواضحة واجماع الامة ومن السنة الواضحة
قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة لا يموتون ولا
يهرمون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم

واما قولهم فان الله تعالى خلق الجنة

والنار قبل الخلق فهذا تصريح منهم بانها مخلوقة موجودة
اذ صرحوا بخلقهما قبل الخلق وانما قالوا ذلك لقوله تعالى
سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين وقوله اعدت للذين امنوا بالله ورسله
وقال في النار اتقوا النار التي اعدت للكافرين ذكر
الاعداد والمعد هي المهيات الموجودة وقد تواتر الخبر
ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى الجنة والنار وما اعد
لاهلها واما قولهم وخلق لهما اهلا فمن شاء منهم للجنة
فضلا منه ومن شاء للنار عدلا منه فانما قالوا ذلك لقوله تعالى

سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للذين امنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
فذكر في الثواب الفضل ولقول النبي صلى الله عليه لا يدخل احد
الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمته وقال تعالى والله ذو فضل
عظيم والله ذو فضل على العالمين وبطل بهذه النصوص
الصريحة قول المعتزلة انه يجب على الله تعالى ان يفعل
بالعباد ما هو الاصلح لهم في الدين وقال بعضهم يجب
عليه فعل ما هو صالح لهم في الدين فعلى قول مذهبهم لا
يكون الله تعالى منانا ولا وهابا ولا منعما ولا متفضلا لان
من فعل ما هو واجب عليه لا يكون وهابا ولا منانا ولا منعما
ولا متفضلا وانما يكون قاضيا حقا واجبا عليه وقد سمى
الله تعالى نفسه بهذه الاسماء على الحقيقة فبطل قولهم ولانه
لا موجب في الحقيقة الا الله تعالى اذ الايجاب صفة
الاله على الحقيقة ولا اله غير الله تعالى فبطل قولهم بالايجاب

على الله تعالى ولان ما سواه عباده ومما لكه وملكه ملك
تخليق وايجاد وفي الشاهد لا يجب للعبد على سيده جزاء
ما اعمله لان منافعه على ملكه ومعلوم ان العبد في الشاهد
ملك لسيده مجازا لا حقيقة والاشياء كلها ملك الله
تعالى حقيقة ملك تخليق ولذلك قال النبي صلى الله عليه لا يدخل
احد الجنة الا برحمة الله واما قوله تعالى جزاء بما كنتم
تعملون ونحوه من النصوص فانما جعل الله تعالى الثواب
جزاء العمل كرما وفضلا وجودا ورحمة واما قولهم ومن شاء
للنار عدلا منه لانه سبق في علمه في الازل من يكفر به ويخالف
امره اذا وجد وبلغ التكليف عن اختيار لا مضطرا فخلقه
لما علم وحكم له بالنار عدلا منه فيظهر ما علم على ما علم
لئلا يجوز ان يظهر على خلاف ما علم في الازل اذ يكون
في ذلك انقلاب علمه جهلا وذلك محال في حق الله
تعالى واما قولهم عدلا منه فانما قالوا ذلك لان الظلم
وضع الشيء في غير موضعه وهو تعالى وضع التصرف في ملكه

ولم يضع في ملك غيره وكذي يعذب على ترك الامر وارتكاب
النهي فكان فعله عدلا وحكمة وانما الظلم والسفه هو ان
يأمر الامر بالشيء ثم يعذب المامور اذا ائتمر او ينهى عن شيء
ثم يعاقبه اذا انتهى عما نهاه وتعالى الله عن ذلك كله
ثم ذكر الطحاوي قولهم في الخير والشر مرة اخرى فقال
والخير والشر مقدران وانما اعادوه تاكيدا ومبالغة
في اثبات القضاء والقدر فان قيل كيف يحسن تخليق
الشر وتقديره قيل له الصنع اذا كان له عاقبة حميدة يكون
حكمة ولا يكون سفها ولا قبيحا وفي تخليق الشر وجوه من
الحكمة منها كمال القدرة اذ القادر على ايجاد الضدين
يكون موصوفا بكمال القدرة وكمال القدرة من شرط
الالوهية ومنها الدلالة على انه ما اوجد العالم لمنافعه
اذ لو لم يوجد الا الخير لكان ربما يتوهم متوهم انه خلق
العالم لمنافعه ومنها انه لا يتضرر بالاشرار والعصاة لان
من علم ان مفعوله يضره لا يفعله فكان في خلقه الشر دلالة

انه لا يتضرر بالعصاة ولا ينتفع بالاولياء ثم ذكر الطحاوي
قولهم في الاستطاعة فقالوا والاستطاعة ضربان احدهما
الاستطاعة التي يوجد بها الفعل من نحو التوفيق الذي
لا يجوز ان يوصف المخلوق به فهي مع الفعل واما الاستطاعة
من جهة الصحة والوسع والتمكين وصحة الآلات
فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب كما قال الله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها وافعال العباد خلق الله تعالى وكسب
من العباد ولم يكلفهم الله الا ما يطيقون ولا يطيقون الا
ما كلفهم به وهو تفسير لا حول ولا قوة الا بالله نقول
لا حيلة لاحد ولا تحول لاحد ولا حركة لاحد على اقامة
طاعة الله تعالى والثبات عليها الا بتوفيق الله تعالى
وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره
غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها
يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم ابدا تقدس عن كل سوء
وحيف ونزه عن كل عيب وشين اما قولهم والاستطاعة

ضربان قائما فسموا الاستطاعة على هذين القسمين لان المامور
بالفعل لابد له من القدرة على الفعل ثم الاستطاعة
والقدرة في وصف العبد شيء واحد يقال يستطيع
ويقدر بمعنى واحد ثم القدرة باطنة وظاهرة فالاستطاعة
الباطنة هي التي يوجدها الفعل يحدثها الله تعالى
مقرونة بالفعل ففي الطاعات يسمى توفيقا وفي المعاصي
يسمى خذلانا لا لا بوصف المخلوق به فهذه الاستطاعة
تكون مع الفعل ليكون العبد مفتقرا الى توفيق الله تعالى
ومشيته وتاييده في كل لمحة ولحظة وهي حقيقة
العبودية قال الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله
والله هو الغني الحميد وقال ان الله لغني عن العالمين وهو مذهب
اهل السنة والجماعة واما الاستطاعة الثانية فهي القدرة
الظاهرة وهي من جهة الوسع والتمكين وصحة الالات
وهي متقدمة على الفعل فالقدرة التي يوجدها الفعل
هي باطنة لا تتعلق احكام الشرع بها لانها باطنة قبل وجودها

هي معدومة وتعلق الاحكام بالمعدوم يفضي الى اهدارها
والله تعالى شرع الاحكام للالزام لا للاهدار وبعد وجودها
هي خفية لا يقف العبد عليها ولا يبقى زمانين لانها عرض
فالقول بتعلق الاحكام بها قول بما ليس في وسع العبد
ولذلك احتجوا بقول الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فقالوا بثبوت هذه القدرة مع الفعل لاظهار حقيقة
العبودية باقتقار العبد الى الله تعالى في كل لمحة ولحظة
الى تخليق قدرة الفعل وهو مذهب اهل الحق وقالت
المعتزلة بتقديم هذه القدرة على الفعل وهو فاسد
من وجوه احدها ان في القول بتقديم قدرة الفعل على
الفعل قولا بالاستغناء عن الله تعالى وذلك محال والثاني
في القول بذلك اهدار احكام الشرع لان الامر اما ان يرد قبل وجود
هذه القدرة فيكون تكليفا قبل وجود القدرة والقول به
فاسد لما يكون تكليف العاجز او يرد حالة وجودها وهي
لا تبقى الا زمان الفعل لكونها عرضا فيبقى الحكم متعلقا بغير قدرة

وهو مثل الاول او يرد الامر بعد وجودهما فيصير واردا
حيث لا قدرة وهو فاسد فيبقى حكم الامر هدرا على ما بيّنا
فهذا معنى قولنا ان الله تعالى ما شرع الاحكام لاهدارها
بل شرع لتحقيقها فثبت صحة قول اهل السنة والجماعة
وظهر بطلان قول المعتزلة بما ذكرنا من الادلة ووجب
القول بتعليق الاحكام بالاستطاعة الظاهرة وهي القدرة
من جهة الوسع والتمكين وصحة الآلات وهو كما قال الله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وكقوله ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا وصح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه فسر السبيل بالزاد والراحلة وعليه الاجماع
واما قولهم وافعال العباد خلق الله وكسب للعباد ومعنى
قولهم خلق الله تعالى اي مخلوقة لله تعالى وهي كسب من العباد
وقالت المعتزلة هي مخلوقة لفاعليها ومنعوا قدرة الله تعالى
عنها حتى جعلوا كل فاعل مخترعا لافعاله وهو اثبات
خالق غير الله تعالى وقد مر ذكر البراهين العقلية والحجج

السمعية لابطال قول المعتزلة في هذه المسئلة مع ابطال
قول الثنوية في مسئلة الاعيان ومر ابطال قول الجبرية
في زعمهم ان لا فعل للعباد على الحقيقة وانما تضاف اليهم
مجازا كما يقال جرى النهر واسود الشعر وطال الغلام وذكرنا
ضروب الادلة في كل من ذلك على الايجاز والايضاح
فيما تقدم ومما نذكره هاهنا من حجج اهل الحق قول الله
تعالى بديع السموات والارض الى قوله وخلق كل شيء
وقوله ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه
وهو على كل شيء وكيل فكما لا يجوز تخصيص قوله وهو على
كل شيء وكيل لا يجوز تخصيص قوله خالق كل شيء ومنها
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خالق
كل صانع وصنعته ومنها قوله تعالى والله خلقكم وما
تعملون دخل تحت النص عملهم ودخل معمولهم بدلالته ولا يصح
تاويل المبتدعة تحملهم على ذوات الاحجار والخشب
التي اتخذوها اصناما لان ذواتها ليست من اعمال الكفرة

بالاجماع وانما عملهم اتخاذهم اياها الهة وما عبدوها ولا
سموها الا بعد ايقاع النحت على ذوات الخشب وايقاع
النحت على الاحجار وقبل ذلك هي احجار وخشب لا تسمى
اصناما ولا يسمونها الهة ولا يعبدونها قبل ايقاع عملهم
عليها فصاروا عابدين عملهم فلذلك احتج عليهم افتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وقد تناول النص
عملهم وكان عملهم مخلوقا لله تعالى فكان حجة على المعتزلة
ومن الحجج العقول فان العالم اعيان واعراض فالاعيان متركبة
وهي الاجسام وغير متركبة وهي الجواهر واما الاعراض
فمنها الحركات والسكنات والاقوال والافعال
والارادات والاعتقادات فالجسم الواحد من الفاعلين
المختارين يتصف بهذه الاعراض الكثيرة فصار على قول
المعتزلة اكثر العالم مخلوقا لغير الله تعالى وهو قول
الثنوية بل الثنوية اقرب حالا منهم لان الثنوية اثبتوا
اثنين للعالم خالقين اثنين والمعتزلة اثبتوا خالقين لا يحصون

كثرة حتى قالوا ان كل فاعل مختار ممن خلت رتبته كالملك
والبشر او صغرت جثته كالبق والبعوض او انحطت رتبته
كالكلب والخنزير فهو خالق لافعاله في قولهم وقالوا
في قوله تعالى قل الله خالق كل شيء ان معناه خالق كل شيء
هو فعله ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الخبر المتواتر القدرية مجوس هذه الامة حيث اثبتوا
لانفسهم قدرة تخليق الافعال والعجب من وقاحة المعتزلة
مع هذا يسمون انفسهم اهل عدل وتوحيد وقد مر بيان
هذا فيما مضى ومن غباوتهم وضلالتهم انهم اخرجوا
من الدخول تحت قدرة الله تعالى ما لا يستحيل دخوله تحت
قدرة مخلوقه ومقدوره فسلبوا عموم قوله تعالى
قل الله خالق كل شيء وعموم قوله واعلم ان الله على كل شيء قدير
وبعض هذه الادلة كافي في ابطال قولهم واما الجبرية فقد
ذكر سيف الحق ابو المعين في كتابه انهم طائفة ولم يبق لهم
مناظر يحتاج عن نحلتهم فلا ندعوا الحاجة الى الاستدلال

(ما هو فعل غيره فهو مختار او ملهم كالحيوان
مختار من فاعل او بشر او بجماد فهو خالق
الاشي فهو فعله)

لمناظرتهم وقد دلت نصوص الاجزية ونصوص الوعيد على
بطلان قولهم ومذهبهم كقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون
وقوله ذلك بما كسبت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد
وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ومما يبطل قولهم فاننا نتحقق في افعال العباد اختيارا
يبعثهم على الفعل لا على طريق الاجبار والاضطرار فان من
يقصد تحريك يده يجد لنفسه ويتحقق اختيارا في الفعل
وتركه وكذي في جميع الافعال بخلاف المضطر فان تحريك
يده يوجد منه اضطرارا حتى لو اراد ترك التحريك لم يقدر
على ذلك وهذا مما لا ينكره العاقل ومما يبطل قولهم
ايضا ان الفعل الذي يوجد جبرا واضطرارا يكون الفعل
لمن اجبره واضطره وترتفع عنه الملامة والمذمة وقد دلت
نصوص الكتاب والسنة والاجماع على ثبوت الاجزية للعباد
بفعلهم وكسبهم عن اختيار فبطل قول الجبرية واما قولهم ولم
يكلفهم الله الا ما يطيقون ولا يطيقون الا ما كلفهم وهو

تفسير لا حول ولا قوة الا بالله فانما قالوا ذلك لان
ما حصل من الافعال باستعمال الالة والاستطاعة ليس مما
تفرد العبد بها لانه لا يقع شيء منها على ما يقصده العبد على
الاستقلال فلم يكن خالقا لما بيناه من الادلة بل كان كاسبا
لها وله في كسبه اختيار على ما بيناه وقولهم وهو تفسير لا حول
ولا قوة الا بالله معناه لا حول لاحد ولا حيلة لاحد ولا
تحول لاحد عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة لاحد
على طاعة الله الا بمعونة الله وهذا هو حقيقة العبودية
ان يكون العبد مفتقرا الى الله تعالى في العصمة عن المعاصي
والتوفيق للطاعات ولذلك سمى رسول الله صلى الله عليه في
الخبر الصحيح هذه الكلمة كنزا من كنوز الجنة فانه قال
لابي موسى الاشعري الا ادلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة
فقال بلى يا رسول الله فقال لا حول ولا قوة الا بالله
واجمعت الامة على كونها من فصول العقائد وهي كقوله
تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين وكقوله ولو اننا

نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل
شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وكقوله ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن
اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
ولكن الله يفعل ما يريد واما قولهم وكل شيء يجري بمشيئة الله
تعالى وعلمه وقضائه وقدره غلبت مشيئته المشيئات
كلها وغلبت قضاؤه الحيل كلها يفعل الله ما يشاء وهو غير
ظالم ابدا لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانما قالوا
هذا الفصل كله تاكيدا لما سبق من كلماتهم فيما مضى
وقد مر ذكر الادلة على كل حرف منها بما فيه كفاية
وبلاغ وفي قولهم غلبت مشيئته المشيئات كلها وغلب قضاؤه
الحيل كلها اثبات التوحيد ونفاذ الارادة لله تعالى وهو
ماخوذ من قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومن
قوله تعالى وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض ومن قوله فعال لما يريد ومن قوله

ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقد سبق البيان فيما مضى ان المعتزلة لا يمكنهم
الاحتجاج بادلة المانع فان من عقد مذهبهم ان الله تعالى
شاء من كل كافر الايمان وشاء الكافر من نفسه الكفر
فكان ما شاء الكافر ولم يكن ما شاء الله فنفذت مشيئة الكافر
ولم ينفذ مشيئة الله واي تعجيز يكون ابلغ من هذا • ثم ذكر
الطحاوي قولهم في دعاء الاحياء للاموات فقالوا وفي
دعاء الاحياء وصدقتهم منفعة للاموات والله تعالى
يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا
يملكه شيء ولا غنى عنه طرفة عين ومن يستغني عن الله
طرفة عين كفر وكان من اهل الحين • اما قولهم وفي دعاء
الاحياء وصدقتهم منفعة للاموات فهذا منهم تصريح باثبات
المنفعة للاموات من قبل دعاء الاحياء وصدقتهم وانما قالوا
ذلك بدلالة النصوص الواردة بالدعاء كقوله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وقوله فبايعهن واستغفر لهن الله

وقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولان المؤمنين صاروا اخوة بسبب
الايمان فصار بعضهم من بعض لاتحادهم في المعنى الجامع بينهم
وهو التوحيد والمعرفة ولذلك وجبت صلاة الميت
على الاحياء وقد وعد الله تعالى الاجابة بقوله تعالى ادعوني
استجب لكم فكان من الواجب علينا ان نعلم ان الدعاء
ينفع حيث امرنا بالدعاء والاستغفار للاحياء والاموات
اذ لا يامر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه الا بما ينفع
واما قولهم وفي صدقتهم اي وفي صدقتهم ايضا منفعة للاموات
وانما قالوا ذلك لما ثبت عندهم ان التصدق لاجل المؤمن
الميت كالدعاء وقد روي في الخبر تصدقوا عن موتاكم
وقد روي ان النبي صلى الله عليه حضرت بين يديه جنازة
فسال هل عليه دين فقيل نعم فقال هل ترك وفا فقيل لا
فقال صلوا عليه فقال ابو قتادة صل عليه يا رسول الله نية
وعلي دينه فصلى عليه ثم سال له هل قضى عنه مرتين فقال نعم في الثالثة

اي في الثالثة فقال عليه السلام الآن بردت مضجعه
وهذا نص في وصول منفعة صدقة الحي الى الميت
واما قولهم والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات
ويملك كل شيء ولا يملكه شيء فانما قالوا ذلك لما سبق
بيانه من النصوص الواردة بالدعاء وبالاجابة عند اجتماع
شرائط الاجابة كقوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وكقوله اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي وروي يستجاب للعبد ما لم يستعجل قيل
يا رسول الله وما يستعجل قال يقول دعوت فلم يستجب
لي فيترك الدعاء وروي انه يستجاب للعبد للحال وقد
يستجاب له ويتاخر الى وقته كما روي ان موسى عليه
السلام دعا على فرعون وامن هارون فجاءه الوحي
قد اجيبت دعوتكما فاستقيما وتاخر الى وقت بلوغ الاجل
واما قولهم ويقضي الحاجات ويملك كل شيء ولا يملكه
شيء فانما قالوا ذلك ابانة لنفع الدعاء وتصريحا بان المسؤل

يملك كل شيء ولا يملكه شيء فلا يتعذر عليه شيء لأنه
يقول للشيء كن فيكون وهو كريم وهاب يعطي المسألات
ويجيب الدعوات جواد قادر على قضاء الحاجات وأما
قولهم ولا غنى عنه طرفة عين فإنما قالوا ذلك لأن ما سوى
الله تعالى عاجز عن ذلك ما يريد مقهور بقهر الربوبية
مذلل بعز الألوهية مفتقر بلزوم نقص الحاجة ولا
ينفك عن الحوائج قال الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله
والله هو الغني الحميد فذكروا هذا حثا على الدعاء وتحقيقا
لافتقار العباد إلى الله تعالى وقد عرف كل من تأمل في
نفسه أن كونه بالله عز وجل وقيامه به وبقاءه به إذ كل
نفس يتنفسه العبد وكل لمحة ولحظة توجد منه فإنما تحدث
له بإنشاء الله تعالى فيلازمه الافتقار إليه في كل طرفة عين
وأما قولهم ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر قال القاضي
أبو حفص العزنوي معناه من رأى نفسه مستغنيا عن الله طرفة
عين فقد كفر لأن الافتقار صفة لازمة للعبد كالحدثية والاستغناء

صفة ربوبية فإذا ظن العبد أنه مستغن عن الرب جل جلاله
صار جاهلا بالله تعالى مشاركا في صفة الربوبية فيكون كافرا
وكان من أهل الحين بفتح الحاء أي صار من أهل الهلاك
ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم في وصف الله تعالى بالغضب والرضا
فقالوا والله عز وجل يغضب ويرضى لا كأحد من الورى وإنما قالوا
ذلك لقول الله تعالى غير المغضوب عليهم قال المفسرون
غير المغضوب عليهم هم الذين أنعم عليهم بالكون على الصراط
المستقيم والمغضوب عليهم هم اليهود وكذا كل
من كفر بالله وعاند آياته وقال تعالى وغضب الله
عليهم وقال تعالى في وصف نفسه بالرضا لقد رضي الله
عن المؤمنين إذ يبايعونك وقال في وصف نفسه بالمحبة
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال إن الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فدلت هذه الآيات على ثبوت
هذه الصفات له تعالى ولكنها ليست على ما هي صفات
لنا لأنها فينا صفات على تغير أحوالنا فإن الغضب في الخلق

عبارة عن حمي القلب وتوقده فيحمر عنده الوجه
وتنتفخ الاوداج والرضا تظهر عنده نضارة في الوجه
وسرور في النفس والمحبة ميلان الطبع وغليان القلب
والله جل جلاله يتعالى عن التغير وتبدل الصفات
فنقول انها صفات لله تعالى على ما ورد الكتاب والسنة
المتواترة لا كصفات المخلوقين وقد مر القول في
الصفات من نصوص الكتاب والسنة واجماع اهل
الحق بذكر براهينها وحججها وذكر المخالفين بتشبيهها
وتعطيلها ثم ذكر الطحاوي قولهم في الصحابة رضي
الله عنهم فقالوا ونحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا نفرط في حب احد منهم ولا نتبرأ من احد
منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ولا نذكرهم
الا بخير وحبهم دين وايمان واحسان وبغضهم كفر
ونفاق وطغيان اما قولهم ونحب اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما قالوا ذلك لانهم بذلوا مجهودهم

نحب الصحابة رضي الله عنهم

في اظهار دين الله عز وجل في حيوة رسول الله صلى الله عليه
في اول الامر بتحمل الايمة من الاقارب والاباعد ثم تحملوا تعذيب
الجبابرة والفراعنة اياهم حتى لحقوا بقلل الجبال والتجوا
الى الكهوف والغيران وهجروا العشائر والاوطان واكلوا
ماكول البهائم اشفاقا على دينهم ثم لما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم هاجروا اليه وتركوا ديارهم واموالهم
واما الصحابة من الانصار فانهم اووا ونصروا ثم كلهم جاهدوا
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا جميع الاعداء
في ذات الله تعالى لاعلاء كلمته واظهار دينه ثم خلفوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجاهدوا القبائل المرتدة حتى ادخلوهم
في الاسلام بعد ما خرجوا منه ثم جاهدوا كفرة اهل الكتاب
حتى ابطلوا عبادة الصلبان في ديار الشام ثم جاهدوا والروم
الاعاجم حتى ابطلوا عبادة النيران واجمعوا كلهم على نقل
الكتاب السماوي وهو القرآن بالاحرف السبعة المنزلة
ونقلوا احكام الشريعة العزيزة المؤسسة على الوحي السماوي

تقاموا في جهاد أعداء الله عز وجل وتبليغ شريعته مقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت نصيحتهم لله عز وجل
ولرسوله صلى الله عليه وسلم فوجبت متابعتهم ومحبتهم ولأن
الله تعالى أثنى عليهم في التوراة والإنجيل وفي القرآن لما علم أنهم
يقومون مقام الرسل ويحسنون خلافتهم ونيابتهم في إظهار
دين الله عز وجل والشفقة على خلق الله تعالى قال الله تعالى
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم
في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الإنجيل إلى قوله ليغيظ بهم الكفار وقال تعالى وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وقال تعالى يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن

أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم
فكأنما آذاني ومن آذاني فكأنما آذى الله ومن آذى الله تعالى
كان النار به أولى هذا بعض ما أجمع عليه حفاظ الآثار ونقلة
الأخبار وذكره علماء الأصول وأئمة الفقه والتفسير
وأما قولهم ولا نفرط في حب أحد منهم فإنما قالوا ذلك لأن
الإفراط في الشيء يوجب الفساد ألا ترى أن قوما أفرطوا
في حب علي رضي الله عنه فخذلوا بالوقيعة في أبي بكر وعمر
ورفضوهما مع عظيم فضلهما الثابت بالنصوص المتواترة
وإجماع الصحابة على خلافتهما وبيمن خلافتهما كان ظهور
الإسلام وبالإتيان بوجوب طاعتهما شكرهم الله تعالى بقوله
من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه الآية وبقوله تعالى وسيجزي الله الشاكرين
وببركة طاعتهما نصرهم الله تعالى على المرتدين حتى أدخلوهم
في الإسلام بعد ما خرجوا منه ثم نصرهم على كفرة أهل
الكتاب حتى أبطلوا عبادة الصلبان ثم نصرهم على المجوس

عبدة النيران فمن طعن فيهم فانما يطعن لاجل هذا الجهاد العظيم
في ذات الله تعالى ولاظهارهما دين الله عز وجل وذلك
معلوم عند كل من تامل انه صنيع من ينطوي على عداوة
الاسلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم
الله وجهه بهلك فيك اثنان مبغض مفرط ومحب مفرط
الا ترى ان النصارى افرطوا في حب عيسى صلوات الله عليه
فادعى بعضهم فيه الالوهية وبعضهم الشركة وبعضهم
النبوة والولدية واما قولهم ولا نتبرا من احد منهم فانما
قالوا ذلك لانه لم يوجد منهم ما يوجب البراءة عنهم بل ظهر
وتحقق منهم ما ملؤا الارض تسبيحا وتهليلا وتمجيدا وتكبيرا
واعلنوا الاذان على قلل الجبال وجزائر البحار وعلموا الناس
شريعة خاتم النبيين صلى الله عليه فوجب حبهم والاقتداء بهم
على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم ولان الله تعالى قال لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة الى قوله فعلم ما في قلوبهم فقد اخبر تعالى

انه رضي عنهم وعلم ما في قلوبهم وفي اية اخرى اخبر انه
يستخلفهم ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم واخبر في اية اخرى
من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
فحقق لهم الاستخلاف في الارض والتمكين من اعداء الاسلام
وتبديل خوفهم بالامن ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وارتدت
قبائل العرب وثبتت اهل الحرمين اهل مكة واهل المدينة ونفر
يسير كانوا عمال النبي صلى الله عليه وسلم بالبادية فاتى الله
تعالى بابي بكر والصحابة فجاهدوهم في الله عز وجل وقتلوا
مسيلمة الكذاب وادخلوهم في الاسلام فوجب علينا
تعظيمهم واتباعهم فمن طعن فيهم ولم يرض عنهم فذلك لتمكن
النفاق في قلبه وبغضه للدين الحق واما قولهم ونبغض
من يبغضهم ويغير الحق بذكرهم وانما قالوا ذلك لان حبهم يقتضي
حب الدين لما بذلوا مهجهم واموالهم حبا لله تعالى ونصرة لدينه
فمن ابغضهم فان ذلك لبغضه الدين واما قولهم وحبهم دين
وايمان فانما قالوا ذلك تاكيدا لما تقدم من قولهم ليعلم ان

حبهم ليس بطبعي كما يحب أحدنا ماله وولده وإنما يحبهم لهذا الدين
المرضي الذي ارتضاه الله تعالى دينًا لهم بقوله ورضيت لكم
الإسلام دينًا وبقوله إن الدين عند الله الإسلام وقد
وصفهم الله تعالى بقوله أذلة على المؤمنين أعزة على
الكافرين يجاهدون في سبيل الله فهم ما أحبوا أحدًا
إلا لهذا الدين وما أبغضوا أحدًا إلا من خالف هذا الدين
فمن أحبهم فحب الدين أحبهم ومن أبغضهم فبغضه الدين
أبغضهم فيكون بغضهم كفرًا ونفاقًا وطغيانًا وحبهم إيمانًا
ودينًا كما ورد حب الأنصار آية الدين إذ كانت سائر
الأسباب الطبيعية والدنيوية منقطعة بينهم وبين
من بعدهم ولهذا قال علماء الأصول إن من قتل آخر قصدًا
لإيمانه يصير مرتدًا وقال الله تعالى في وصف الصحابة
ليغيظ بهم الكفار قالوا من غاظه أصحاب رسول الله
صلى الله عليه فهو كافر لأن الله تعالى أخبر أنه يغيظ بهم
الكفار وذلك لأن من لم يعتقد حقية هذا الدين

يبغضهم لما سبق من عظيم عنايتهم بأمر الدين حتى بذلوا مهجهم
في نصرة الدين وإعزازه فكان بغض من يبغضهم نتيجة النفاق
وخبث الاعتقاد فتكون عداوتهم عداوة لدين الإسلام
وذلك كفر وطغيان ونفاق ثم ذكر الطحاوي عقيدتهم
في الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
وتثبت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولًا
لأبي بكر الصديق تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة
وإنما قالوا ذلك لأن الصحابة أجمعوا على إمامته وبايعوه
وإجماعهم كآية من كتاب الله تعالى وقد مر في فصل الإجماع
أن إجماعهم صار حجة موجبة للعلم قطعًا بنصوص سمعية
من الكتاب والأخبار المتواترة أما نصوص الكتاب
فنحو قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا
شهداء على الناس والوسط العدل المرضي وإجماع العدول
حق وأثبت الله تعالى لهم الخيرية بقوله كنتم خير أمة أخرجت
للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فلو لم تكن إمامته

حقًّا كان منكرًا ولم يتصور منهم المطابقة على اثبات امامته
ومبايعته فمن طعن في امامته فقد طعن في اجماعهم
وصيرهم مبطلين فيكون ذلك طعنًا في خبر الله تعالى
حيث اخبر انهم خير امة وانهم يأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويكون ذلك منه طعنًا في وصف الله تعالى اياهم
بالعدالة ويكون طعنًا في النقل المتواتر عن صاحب الوحي
وهو قوله لا تجتمع امتي على ضلال ويكون طعنًا في خبر الله
تعالى بقوله لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة فعلم ما في قلوبهم وكان ابو بكر وعمر ممن بايعا تحت
الشجرة ثبت ذلك بالنقل المتواتر وقد اجمع المهاجرون
والانصار على امامته وفيهم اصحاب بيعة الرضوان فلا
يتصور اجتماع الصحابة على خلافته وتقديمهم اياه
على غيره الا لكونه افضلهم حتى قال علي كرم الله وجهه رضيك
رسول الله لديننا افلا نرضاك لدنيانا وقال له قدمك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نؤخرك اراد بذلك امر

رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلافه اياه على الصلوة
في مرض موته وليس شيء اهم من امور الدين ولا ركن بعد
التوحيد اعظم من الصلوة فكان استخلافه عليها وامره
ان يصلي بالناس دلالة ظاهرة على خلافته واما ما يروى
عن علي رضي الله عنه انه توقف في بيعته فان ثبت لا يقدح
في خلافته لانه لو لم يستحق الخلافة لما بايعه بعد ذلك
وعلى انه روي انه بايع في اليوم الاول وروي انه بايعه
بعد اربعين ليلة وروي انه بايعه بعد ستة اشهر حين
قبضت فاطمة رضي الله عنها وتصديق الرواة واجب فيما
لا يخالف الكتاب والسنة الواضحة والاجماع لانهم امناء
الدين فيحمل ذلك على الاعادة مرارًا بايع في اليوم الاول
وبعد اربعين ليلة وبعد ستة اشهر للتاكيد والاحكام
وحسمًا لمادة الاوهام لانه قد تواترت الروايات على
بيعته ولا يظن به مع جلالته وعلو مرتبته في العلم انه عرف
الحق في الابتداء ويميل الى الباطل في الانتهاء بل يجب تصحيح

الروايات كلها فابتع مرارا تاكيدا وتنبيها للاوهام خصوصا
لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يهلك فيه
اثنان محب مفرط ومبغض مفرط ثم ذكروا قولهم في
خلافة عمر فقالوا ثم لعمر بن الخطاب معناه ثم تثبت
الخلافة لعمر بن الخطاب وانما قالوا ذلك لانه قد ثبت
بالادلة الموجبة للعلم حقية خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقد اوصى بها لعمر رضي الله عنه واتفقت
الصحابة على بيعته ثم ذكروا قولهم في خلافة عثمان
فقالوا ثم لعثمان بن عفان معناه ثم تثبت الخلافة لعثمان
بن عفان لان عمر رضي الله عنه جعل الامر شورا بين
ستة نفر من الصحابة كلهم مشهود له بالجنة فاتفق
رايهم على عثمان رضي الله عنه واتفقت الصحابة على مبايعته
ثم ذكروا قولهم في خلافة علي رضي الله عنه فقالوا ثم
لعلي ابن ابي طالب معناه ثم تثبت الخلافة لعلي بن
ابي طالب رضي الله عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخلافة بعدي ثلثون سنة وكان تمام ذلك في خلافة علي
رضوان الله عليه ثم قالوا وهم الخلفاء الراشدون والائمة
المهديون اراد وا ان هولاء سار وا بسيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يعدلوا عن طريقته في شيء ثم ذكروا
قولهم في العشرة المشهود لهم بالجنة فقالوا وان العشرة الذين
سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة نشهد
لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله الحق وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف وابو عبيدة ابن الجراح وهم امناء هذه الامة
رضوان الله عليهم اما تسميتهم للعشرة المذكورين باسمائهم
فانما صرحوا بذكرهم باسمائهم فلما تواترت الاخبار
بذلك والخبر المتواتر موجب للعلم كالمسموع من رسول الله
صلى الله عليه اياه من وجهين احدهما تقديم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياه على المبشرين بالجنة بالذكر اذ هو

اخبار عن الوحي السماوي وهو صلوات الله عليه يخبر
على الوجه الذي يوحى اليه والثاني ذكره اياه بالكنية
وهو دليل على الاكرام والتفخيم وذكر من بعده باسمائهم
من غير تكنية وفيه دلالة على ورود الوحي في حقه
بالكنية وعلى ذلك وردت الاخبار في خطاب
الرسول عليه السلام اياه ودعائه بحرف الندا يا ابا بكر
وعند ذكره على المعاينة كان يذكره بالكنية وورد
في اخبار اعلام النبوة ان رجلا كان ينما هو يحرث الارض
فلما فرغ من عمله ركب بقرته وسار فضربها فتكلمت
البقرة وقالت انا خلقنا لحراثة الارض تركبني وتضربني
فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انا اومن بهذا وابو بكر وعمر وما هما هناك
واما قولهم ونشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله الحق فانما صرحوا بلفظ
الشهادة لهم بالجنة لثبوت العلم بذلك بالنقل المتواتر

اذ المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم كالمسموع منه
مشافهة وذلك يوجب العلم قطعا والشهادة عبارة
عن علم العيان على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه نظر الى الشمس فقال لرجل من اصحابه على مثلها فاشهد
واما قولهم وقوله الحق فلانه رسول الله صلى الله عليه
لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اي انه قال ذلك
بالوحي تبليغا واما قولهم وهم امنا هذه الامة رضوان
الله عليهم انما وصفوهم بالامانة وانهم امنا هذه الامة
لشهادة الرسول صلوات الله عليه لهم بالجنة تعيينا
باسمائهم بالوحي السماوي لعظيم امانتهم وشريف مناقبهم
المذكورة في الكتب المنزلة ولعظيم جهادهم في حراسة
الامة ونصرة الملة افتتحوا الفتوحات الواسعة قلعوا
القياصرة عن ممالك الشام ونكسوا التيجان عن رؤس
الاكاسرة وانفقوا كنوزهما في سبيل الله تعالى وتجنبوا
عما هو دأب طلاب الدول ثم ذكروا قولهم في سائر

الصحابة والصحابيات فقالوا ومن احسن القول في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه وذرياته فقد بري
من النفاق وانما قالوا ذلك لان احسان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نصرة الدين الحق ونصيحة الخلق
قد طبق العالم شرقا وغربا وكذلك ازواج رسول الله صلى الله
وسلم هن امهات المومنين واحسن في صحبة خاتم النبيين
صلوات الله عليه ونقلن علوم الدين فهن حرمة الامهات
واما ذرياته عليه السلام فهم المطهرون من الادناس وهم
عيون الناس فوجب الاحسان في موالاتهم ومبايعتهم
فان ذلك اية الايمان وعلامة البراءة من النفاق لان اساءة
القول في اصحاب رسول الله وازواجه الطاهرات المقدسات
وذرياته المقدسين المباميين انما يكون لخبث الباطن وسوء
الاعتقاد وقد قال تعالى في وصفهم ليغيظ بهم الكفار فمن
غاظه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما ينبعث
غيظه منهم بسبب نصرتهم للدين الحق وقد تقدم بيان الحكم

في ذلك فنعوذ بالله من الخذلان وذكر القاضي ابو العلاء
صاعد بن محمد في كتاب الاعتقاد فقال روي عن
ابي حمزة السكري قال ما رايت احدا قط من العلماء احسن
قولا في اصحاب ابي حنيفة قدس الله روحه وكان يعطي
كل ذي حق حقه من الفضل وما ذكر واحدا منهم بالنقص
حتى مضى لسبيله رحمه الله قال وروي عن ابي يوسف
عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال افضل الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ثم نكف
عن جميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بذكر
الجميل وروي عن ابي يوسف انه قال سمعت ابا حنيفة
رحمه الله يقول علي بن ابي طالب حجتنا يوم القيامة ولولا
علي ما علمنا كيف قتال اهل القبلة ومعنى ذلك ان ابا بكر
رضي الله عنه قاتل اهل الردة وقاتل كفرة اهل الكتاب وعمر
قاتل اهل فارس وكذلك عثمان قاتل الكفرة وسرت جيوشه
نحو المغرب ونحو الصين وغزت وراء الباب ولم يقاتل احد منهم

عند الله تعالى

رسول الله صلى الله عليه وسلم

مع اهل القبلة ولا اشكال في قتال اهل الكفر لان جهاد
الكفرة من خصائص نبينا محمد صلوات الله عليه اذ هو
دعا الى دين الاسلام وبه جاءت الرسل وعلى وجوبه قامت
الحجج والبراهين واما امير المؤمنين علي بن ابي طالب فكانت
حروبه مع البغاة تارة ومع الخوارج اخرى اما مع البغاة
فقد كان السبب في ذلك الاجتهاد في طلب القصاص
والقصاص فرض ثبت بالكتاب عند القدرة على استيفائه
وكانت الفتنة عامة شديدة الشوكة ثم اجتمعوا على
ترك الطلب اذا كان الطلب يفضي الى هيجان الفتنة ونصب
المحاربة ثم كان قتاله مع الخوارج ولم يكن لشبهتهم اصل
نستند اليه فكانت فيه مارقة فقال ابو حنيفة علي بن
ابي طالب حجتنا عند الله تعالى يوم القيامة اذ عرفنا به احكام
القتال مع البغاة ومع الخوارج فانه قاتلهم ولم يسب لهم
ذرية ولا جعل اموالهم غنيمة تقسم وقال في البغاة اخواننا
بغوا علينا فقاتلناهم واما في الخوارج فقاتلهم على مروقهم

وكان معه علامة من النبي صلى الله عليه وسلم يكون اولئك
مارقة ثم ذكروا قولهم في العلما السلف فقالوا وعلما
السلف من السابقين والتابعين ومن بعدهم من الاثر والخبر
واهل الفقه والنظر لا يذكرون الا بالجميل ومن ذكرهم
بسوء فهو على غير السبيل قال القاضي ابو حفص الغزنوي
نوي رحمه الله وانما قالوا ذلك لان هولاء وتوقيرهم من
تعظيم الدين وهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم في
تبليغ الشريعة الى الناس فوجب توقيرهم وتعظيمهم
واتباعهم ولان الله تعالى ندبنا الى الدعاء والاستغفار
لهم بقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين آمنوا الاية فهذا هو سبيل المؤمنين بقضية الايمان
فمن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل اذ سبيل المؤمنين ان يوالي
بعضهم بعضا بحق الايمان الذي جمعهم وقد قال الله تعالى
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فمن ذكرهم بسوء

فقد عدل عن سبيل الموالاة الدينية وذلك من علامات
النفاق ثم ذكروا قولهم في رتبة الولاية والنبوة فقالوا
ولا نفضل احدا من الاولياء على احد من الانبياء عليهم السلام
ونقول نبي واحد افضل من جميع الاولياء ونؤمن بما جاء من
كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم قال القاضي
ابو حفص الغزنوي وانما قالوا هذا ردا وابطالا لقول
بعض المتصوفة ان من بلغ اقصى درجة اهل الولاية والمعرفة
كان افضل خلق الله تعالى وردا لقول بعض الغلاة في تفضيلهم
واحدا من الائمة على الانبياء صلوات الله عليهم وهذا
باطل لان الولي انما يستحق الولاية باتباعه النبي واقتدائه
به في طاعة الله تعالى على شريعته فيستحيل ان يكون
افضل منه او مثله ولان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ
درجة امن من السقوط عنها بالرسالة والعصمة اياه
وقد قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته فيستحيل
ان يوازيه في الفضل من لا يبلغ تلك الدرجة واما قولهم

مطلب الى

مهمات

ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم
قال الغزنوي وهذا منهم اثبات لكرامات الاولياء والمعتزلة
انكرت كرامات الاولياء وزعموا انها تشبه معجزات الانبياء
صلوات الله عليهم فيقع الالتباس بين النبي والولي وهذا
منهم خلاف لادلة الكتاب والاخبار فان كرامات
اصحاب الكهف من تحولهم ثلثمائة سنين وزيادة تسع
نينا اما لقوله تعالى تحسبهم ايقاظا وهم رقود من غير
اكل ولا شرب والبشر لا يبقى بلا طعام ولا شراب في العادة
اياما كثيرة فضلا من ان يبقى مدة مديدة وكذلك لم تبل
ثيابهم في تلك المدة المذكورة ولم تطل اظافيرهم ولم تبل
شبابهم في ثلثمائة سنة والهرم يستولي على الانسان
فيما دون تمام مائة سنة وهذه الكرامات كلها كانت لاصحاب
الكهف في تلك المدة المذكورة في الكتاب ومنها قوله تعالى
قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك وثبت بالكتاب انه راه مستقرا عنده قبل ارتداد الطرف

وهو عرش بلقيس قال المفسرون وهو آصف بن برخيا
ولم يكن نبيا بل هو رجل من اصحاب سليمان صلوات الله
عليه وقصة مريم وهزها الجذع اليابس حتى تساقط منها
رطبا جنيا وقد ثبت ذلك بالكتاب وكانت صديقة ولم
تكن نبية والاخبار في كرامات الاولياء اكثر من ان تحصى
وفي الصحاح ان رجلين من الصحابة خرجا من عند النبي صلى الله
عليه وسلم في ليلة مظلمة فاضاءت عصا احدهما فمشيا
في ضوئها فلما افترقا اضاءت عصى الآخر فمضى كل واحد منهما
الى بيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخا بين ابي الدرداء
وسلمان الفارسي ثم انهما جلسا على فصعة ياكلان منها
فسبحت الفصعة فجعلا ياكلان منها وهما يسمعان تسبيحها
وروى اصحاب المغازي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه بعث
جيشا الى قتال المرتدين بالبحرين وامّر عليهم العلاء ابن
الحضرمي فعبر بجيشه البحر الى قتال اهل دارين مسيرة يومين
للسفينة البحرية وهم يمشون على الماء بالصاهل والجامل

بيان كرامات ابي الدرداء وسلمان الفارسي

والناهق وفي كتاب دلائل النبوة لابي نعيم الاصفهاني وفي
كتاب المغازي ايضا ان سعد بن ابي وقاص اقتحم بجيشه على
دجلة وهي تطفح بالزبد في ايام الزيادة فعبروها الى ايوان
كسرى ومنها سماع سارية بن زنيم وجيشه نداء عمر بن
الخطاب من المدينة وهو يقول يا سارية الجبل الجبل وكانوا
في ضائقة عظيمة من المشركين فلجأوا الى الجبل فنصروا
منهم ما كشف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر
يوم الجمعة عن جيشه بنهاوند فنادى باعلى صوته على
مسيرة فرسخين خمس مائة فرسخ كذي ذكره سيف الحق
ابو المعين في باب اثبات كرامات الاولياء قال ايمة الاصول
وانما انكرت المعتزلة كرامات الاولياء لفساد عقائدهم
من نحو اثباتهم قدرة التخليق لغير الله تعالى وتعطيلهم
عن الله تعالى صفات الذات والفعل فلم يثبتوا لله تعالى
صفة الحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر ولا صفة
الفعل كالتخليق والتكوين والاحياء والاماتة ونحو انكارهم

الرؤية الموعودة لاهل الجنة وغيرها من عقائدهم الفاسدة
التي حذلوا بها عن موافقة اهل السنة والجماعة حتى لم يوهل
احد منهم للكرامة فيؤمن بها لوجودها في نفسه وقولهم ان
اثباتها للولي يوجب الالتباس بين النبي والولي قول فاسد
بل ظهور الكرامة للولي يؤكد معجزة الرسول لان كرامة
الولي في الحقيقة معجزة لنبيه الذي هو ينتمي اليه لان الولي
يدعوا الى متابعة شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ولان
الفرق بين الولي وبين النبي ظاهر لان النبي صلى الله عليه وسلم
يدعي المعجزة والكرامة ويتحدى بها الخلق فيقول ان اية
رسالتي ونبوتي كذا وكذا والولي لا يدعي الكرامة وانما
تظهر على يده من غير تحدي ودعوى ومتى ادعاها سقط
من رتبة الولاية وصار فاسقا كذا ذكر علما الاصول
منهم سيف الحق ابو المعين ثم ذكروا عقيدتهم في اشراط
الساعة فقالوا ونؤمن بخروج الدجال ونزول عيسى
بن مريم من السما ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج

وخروج دابة الارض من موضعها قال القاضي ابو حفص
الغزنوي وانما قالوا بهذه الامور وهي من الاخبار السمعية
وقد تواتر نقلها نقلا يوجب العلم بها لاتصاله بنا
عن صاحب الوحي فيجب الاعتقاد بوجودها في المستقبل
على ما تواتر النقل بها لانها تواترت عمن شهدت له المعجزات
بالرسالة والعصمة عن الباطل فيتحقق وجودها لاوفائها
كما تحقق وجود سائر الاخبار السمعية من نحو قوله تعالى
الم غلبت الروم الى قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون الى
بضع سنين تحقق مخبره بعد الهجرة عند تمام المدة المذكورة
وقوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزل بمكة ووجد
يوم بدر وكقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله وقوله واورثكم ارضهم وديارهم
واموالهم وارضا لم تطئوها وقوله وعدكم الله مغانم كثيرة
تاخذونها وكقوله من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين

يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وكقوله وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
الآية فكما أذعن لها العقول الصحيحة قبل وقوعها وصدق
بحقيتها أولوا الألباب فكذلك تذعن لهذه الأمور المذكورة
العقول الصحيحة وكما تحقق وجود ما قبلها من الوعود
فكذلك يتحقق هذه الأمور بلا شك ولا ريب فوجب
الاعتقاد بحقيتها قال الشيخ الامام العالم
نجم الملة والدين أيده الله قد ذكر علماء الأصول بأن الأخبار
التي تكون من آيات النبوة ودلائل الرسالة على أنواع
نوع منها أخبار عما كان في الماضي ونوع منها في الحال
ونوع في المستقبل في زمن النبي ونوع منها في المستقبل
بعد زمن النبي عليه السلام ونوع منها في المستقبل يوجد
في زمن من صحب النبي عليه السلام ونوع منها أخبار
عما سيوجد إلى آخر الدهر وكان لنبينا صلوات الله عليه
جميع الأنواع أما النوع الأول فهو الإخبار عما كان

منها

في الماضي وهو غيب عن كل من لم يعاينه ولم يسمعه
من عالم به ولا قرأه في كتاب وهذا كقصص الأنبياء المتقدمة
والأمم الماضية وما نال المصدقون بالتصديق وما حل
بالمكذبين بالتكذيب وكالإخبار عن آيات الرسل وبراهينهم
وهي في الكتب السماوية وعند علماء أهل الكتاب ونبينا
صلوات الله عليه ولد من قوم أميين لا يعرفون الكتب
السماوية ولا يؤمنون بالأنبياء والرسل وكانوا يعبدون
ما ينحتون من الأحجار والخشب ويتعجبون من تحريد
التوحيد ونشأ هو صلوات الله عليه من حين ولد
إلى أن بعث بين ظهراني قومه ولم يختلف إلى أستاذ
ومعلم ولا كان يحسن أن يقرأ كتابا ولا يخط بيمينه ولا قدم
أحد من علماء أهل الكتاب عليه ليلازمه ويعلمه
ولم يفارق عشيرته فأخبر بما في الكتب السماوية
وبما عند علماء تلك الكتب على ما هي عندهم وعلى ما هي
في تلك الكتب ولسان تلك الكتب غير لسانه وهو لا يعرف

لسانهم ولم يقدموا على معارضته والرد في شيء فدل قطعا
انه انما علم جميع ما اخبر بالوحي السماوي من قبل علام الغيوب
وانه رسول الله اختصه لرسالته وجعل كل قصة ونبأ
آية من آيات رسالته كما قال تعالى تلك من انباء الغيب نوحيها
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وكما قال فلا
يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واما النوع
الثاني فهو اخبار عن كائن في الحال لم يقع عليه عيان
ولا ظهر للسمع ولا اتصل بالكتابة وهو ما كان في القلوب
والضمائر وكان لنبينا صلوات الله عليه من هذا النوع كثير
وقد تواترت به الاخبار وكان اكثر ايآته في حق المنافقين الاخبار
عما في قلوبهم وعما اسروه فيما بينهم كقوله تعالى يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم واما النوع الثالث
فهو الاخبار عما يكون في المستقبل مما يوجد في حيوته عليه
السلام فهو كاخباره وهو بمكة ان الروم تغلب فارس
في بضع سنين وكاخباره بفتح مكة وكاخباره بقوله تعالى

سيهزم الجمع ويولون الدبر وهو يومئذ وجند فريد بمكة
فتحقق تخبره بذلك بعد الهجرة واما النوع الرابع فهو الاخبار
عما يكون في المستقبل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في زمن
من صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ايضا كثير جدا تواترت
به الاخبار كقوله صلوات الله عليه لاصحابه تغزون الروم
فيفتحها الله وتغزون فارس فيفتحها الله وكقوله عليه السلام
لاهل مكة ادعوكم الى كلمة تدين لكم بها العرب وتؤدي
اليكم بها العجم الجزية قالوا وما هي قال كلمة لا اله الا الله
وكاخباره بقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض وليمكنن لهم دينهم الذي
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون
بي شيئا وقد تحقق جميع ذلك في زمن اصحابه على ما اخبر
واما النوع الخامس فهو الاخبار عما سيوجد الى آخر الدهر
وهذا النوع يكثر جدا منها اشراط الساعة وهي كخروج الدجال
ونزول عيسى بن مريم وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الارض

مِنْ مَوْضِعِهَا وَخُرُوجِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْرَاطِ
مَا يَكُونُ عِنْدَهَا غَلْقُ بَابِ التَّوْبَةِ فَلَا يُقْبَلُ عِنْدَ وُقُوعِهَا مِنْ
فَاسِقٍ تَوْبَةٌ وَلَا مِنْ كَافِرٍ إِسْلَامٌ وَهِيَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ
مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ دَابَّةٍ تُكَلِّمُ النَّاسَ ثُمَّ ذَكَرُوا قَوْلَهُمْ
فِي الْأَشْيَاءِ الْمُنَافِيَةِ لِلشَّرِيعَةِ فَقَالُوا وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا
عَرَّافًا وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا بِخِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ
الْأُمَّةِ قَالَ الْقَاضِي أَبُو حَفْصٍ الْغَزْنَوِيُّ وَإِنَّمَا قَالُوا بِتَكْذِيبِ
الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ وَكُلِّ مَنْ فِي مَعْنَاهُمَا لِأَنَّ الْإِطِّلَاعَ عَلَى
الْغَيْبِ مُمْكِنٌ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ
عَلَى مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى
مِنْ رَسُولٍ فَيُوحِي بِإِذْنِهِ وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ
عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا
بِخِلَافِ هَذِهِ الْحُجَجِ لَا نَادُ عِينَا إِلَى الْعَمَلِ بِهَذِهِ الْحُجَجِ وَقَدْ قَامَتِ
الْبَرَاهِينُ الْقَطْعِيَّةُ عَلَى كَوْنِهَا حُجَجَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهَا

والصدق كاهنا ولا عرافا

مرتبا كاهنا

فِي أَقْسَامِ الْحُجَجِ الْمُوجِبَةِ لِلْعِلْمِ قَطْعًا وَيَقِينًا فَثَبَتَ بُطْلَانُ
مَا يُخَالِفُهَا لِأَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ تَعَالَى غَالِبَةٌ مُلْزِمَةٌ فَثَبَتَ أَنَّ مَا يُخَالِفُهَا
مَدْحُوضٌ مَغْلُوبٌ فَكُلُّ مَنِ ادَّعَى شَيْئًا بِخِلَافِ هَذِهِ الْحُجَجِ
فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى عَقْدٍ وَدِيَانَةٍ كَانَ هَوِيًّا بَاطِلًا عَلَى مَا مَرَّ بَيَانُ
أَصْنَافِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَكَذَا كُلُّ مَنِ ادَّعَى شَيْئًا فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى
سُعُودٍ وَنُحُوسٍ كَانَ رَجْمًا بِالْغَيْبِ حَدْسًا وَتَخْمِينًا عَلَى
مَا مَرَّ بَيَانُ بُطْلَانِهِ فِي الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ ثُمَّ ذَكَرُوا عَقِيدَتَهُمْ
فِي تَحْقِيقِ الْجَمَاعَةِ وَإِبْطَالِ الْفُرْقَةِ فَقَالُوا وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا
وَصَوَابًا وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا قَالَ الْقَاضِي أَبُو حَفْصٍ أَرَادُوا
بِالْجَمَاعَةِ إِجْمَاعَ الْأُمَّةِ الْهَادِيَةِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ إِجْمَاعِهِمْ ثَبَتَتْ
بِأَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَكَآيَةٍ مِنَ الْكِتَابِ لَا يَجُوزُ
خِلَافُهُ كَمَا لَا يَجُوزُ خِلَافُ آيَةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ أَدِلَّةِ
حَقِيقَةِ الْإِجْمَاعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا
وَعَذَابًا لَمْ نَعْنَاهُ وَنَرَى الْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ
لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ

ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ولقوله تعالى
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فتوعد
تارك سبيل النار وسبيل المؤمنين اجماعهم ولما تواتر
النقل الموجب للعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه
ولقوله عليه السلام يد الله على الجماعة فمن شذ شذ في
النار وذكر القاضي ابو العلاء صاعد بن محمد في كتاب
الاعتقاد عن مسعر بن كدام انه قال ما ادركت من الناس
له عقل كعمرو بن مرة كان اذا صلى الفجر وذلك بعدما
ذهب بصره فقال لاصحابه فيكم غريب فان قالوا نعم سكت
فلم يحدث وان قالوا لا اقبل يحدثهم فانه صلى الفجر يوما فلما
انصرف قال لاصحابه افيكم غريب قالوا نعم فسكت فلم يحدث
فقال الغريب رحمك الله اوعاك الله اني انما جئت مسترشدا
اني رجل دخلت في جميع هذه الاهواء فلم ادخل في هوى منها

قال فهل اختلفوا في القرآن انه كلام الله قال لا

الا القرآن ادخلني فيه ولم اخرج من هوى الا القرآن اخرجني
منه حتى بقيت ليس في يدي شيء فقال عمرو بن مرة الله الذي
لا اله الا هو لقد جئت مسترشدا قال ارأيت ما اختلفوا
فيه هل اختلفوا في ان الله واحد قال لا قال فهل اختلفوا
في ان محمدا رسول الله قال لا قال فهل اختلفوا في دين الله انه
الاسلام قال لا قال فهل اختلفوا في القبلة انها الكعبة
قال لا قال فهل اختلفوا في ان الصلوة خمس قال لا قال فهل
اختلفوا في رمضان انه شهرهم الذي يصومونه قال لا قال
فهل اختلفوا في الحج انه بيت الله الذي يحجونه قال لا قال
فهل اختلفوا في الزكوة انها من مائتي درهم خمسة دراهم
قال لا قال فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة قال لا قال فذكر له
هذا واشباهه ثم قرأ هو الذي انزل عليك الكتاب منه
آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات قال فهل
تدري ما المحكم قال لا قال فالمحكم ما اجتمعوا عليه والمتشابه
ما اختلفوا فيه شدد يدك في المحكم واياك والمتشابه

قال فقال له الرجل الحمد لله الذي ارشدني على يديك فوالله
لقد حببتك واني من اسوأ الناس حالا ثم لقد فتنت من عندك
واني لحسن الحال قال فدعا له واثنى عليه خيرا ثم قام فقال
عمرو بن مرة ان الشيطان دعا اهل الكتاب الى امر فاجابوه
فطرحهم فيما قد علمتم وهو داعيكم كما دعاهم وطارحكم مثل
ما طرحهم فيه فعليكم بالامر الاول ثم فسر لاصحابه الامر الاول
بالذي اجتمعوا عليه وهو ما ذكر من تلك الاصول والفرائض
التي وصفها قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ابده الله
اتفق اقاويل ائمة التحقيق في تفسير الامر الاول انه هو الذي
قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه اصحابه
الى ان تفرق الناس وهو ما تقدم ذكره في صدر هذا الكتاب
بالنقل المتواتر الموجب للعلم انه قال صلى الله عليه ستفترق
امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون في النار
قالوا يا رسول الله ومن الناجية قال من كان على ما انا عليه
واصحابي وذكر القاضي ابو العلاء في كتاب الاعتقاد فقد روي

سنجد في الفرع

عن حماد بن ابي حنيفة رحمه الله انه قال ما الامر الا ما جاء به
القرآن ودعا اليه النبي صلى الله عليه وكان عليه اصحابه رضي الله
عنهم حتى تفرق الناس فاما ما سوى ذلك فمبتدع محدث
ثم ذكروا تفسير الدين والاسلام الذي دانوا الله عز وجل به فقالوا
رحمهم الله واثابهم الجنة ودين الله عز وجل في السماء والارض
واحد وهو الاسلام قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وهو بين الغلو والتقصير
وبين التشبيه والتعطيل وبين الجبر والقدر وبين الامن
والاياس اما قولهم ودين الله عز وجل في السماء والارض واحد
وهو الاسلام فلان الاسلام هو دين الله عز وجل تعبد به
عباده من الاولين والآخرين وارتضاه دينا لاهل السموات
والارضين وبعث للدعوة اليه الانبياء والمرسلين وانزل للامر به
وايجابه الكتب السماوية واقام لالزامه البراهين العقلية والحجج
السمعية وهو في الحقيقة اسلام العبد نفسه مع كليته لله
لله رب العالمين سالمة له تعالى بلا اشراك لغيره في شيء منها

الذي

لا في ملك ولا انشاء ولا حكم ولا تقدير ثم احتجوا لذلك بقول
الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وبقوله ورضيت لكم
الاسلام دينا اخبر الله تعالى ان الدين الذي امر به والزم
عباده ان يدينوه ويعبدوه وانه هو الدين المقبول المرضي
عنده هو الاسلام واخبر ان من اتاه بغيره لا يقبل منه
فقال عز من قائل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الاخرة من الخاسرين وقال تعالى لابرهيم اسلم قال
اسلمت لرب العالمين ثم قال تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه
ويعقوب يا بني وصى بنيهما بملة الاسلام قال تعالى ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من
بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل
واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون واخبر تعالى عن يوسف
قال توفني مسلما واما قولهم وهو بين الغلو والتقصير
واما قالوا ذلك لان الميل الى احد الطرفين خروج عن
الاستقامة فالغلو هو المجاوزة عن الحد المجعول له والتقصير

الاسلام الذي هو دين الله بين الغلو والتقصير

نزول عن الحد المجعول له وكل واحد منهما مذموم وباطل
لخروجهما عن العدل والحق فالدين الحق هو وصف
الله تعالى بما وصف به نفسه بقوله ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير وبما تعبد به عباده بقوله قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وهو الحق
الذي به قامت السموات والارضون وهو الدين العدل الذي
جاءت به الكتب السماوية والرسل الذين هم قادة
الخليقة ثم غلت اليهود بقولهم ان الباري تعالى جسم
متركب على مثال صورة البشر وتبعتهم على ذلك المشبهة
من هذه الامة والقدرية قصرت بنفي قدرة تخليق
الافعال عن الله تعالى واما قولهم وبين التشبيه والتعطيل
اي الاسلام الذي هو دين الله عز وجل هو اثبات الاسماء
والصفات على ما جاءت به الكتب والرسل من غير تشبيه
كما فعلت المشبهة ولا تعطيل كما فعلت المعتزلة حيث
نفوا عنه العلم والقدرة والسمع والبصر والارادة والتخليق

والتكوين ونحوها وأما قولهم وبين الجبر والقدر أي أن
الإسلام الذي هو دين الله عز وجل هو التسليم لأمر الله
تعالى ولما حامته من غير جبر باسقاط فعل الاكتساب
عن العباد ومن غير إثبات قدرة تخليق الأفعال للعباد
وأما قولهم وبين الأمن والإياس أي أن الإسلام الذي هو
دين الله تعالى هو أن يكون العبد بين الخوف والرجاء وهو
حقيقة العبودية إذ في الأمن عما أوعد ظن العجز عن
العقاب وفي الإياس عن رحمته ظن العجز عن العفو وهما
ينقلان عن الملة والإسلام هو الإسلام العبد نفسه
مع جميع الأشياء لله تعالى والتسليم بحكمه والانقياد
لأوامره والاجتناب لنواهيه ثم قالوا رحمهم الله
فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا قال القاضي
أبو حفص العزنوي بينوا بهذا القول وجوب الاعتقاد
بجميع ما ذكروا من أصول الدين والتوحيد وبما ذكروا
من فصول العقائد في الظاهر والباطن إذ المخالفة

بين الظاهر والباطن من أوصاف المنافقين وهم في الدرك
الأسفل واتحاد الظاهر والباطن في اعتقاد الحق
دين الأنبياء والمؤمنين فوجب الاعتقاد بهذه الأشياء
التي قامت بثبوتها وحقيتها البراهين الساطعة والحجج
القاطعة ظاهرا وباطنا ثم قالوا رحمهم الله ونحن
برآء من كل من خالف الذي ذكرنا قال القاضي أبو حفص
العزنوي وإنما قالوا هذا لأن ما ذكروه من أصول
التوحيد وسائر فصول العقائد قامت على حقيتها
حجج الكتاب والسنة الواضحة وإجماع الأمة الهادية
وبراهين العقول المستقيمة وهو دين الله عز وجل
الذي دان به الأنبياء والمرسلون وعباده المؤمنون
ثم قالوا ونسأل الله تعالى أن يثبتنا عليه ويختم لنا به
قال القاضي أبو حفص العزنوي وإنما سألوا الثبات
على دين الإسلام لأن ذلك من أهم أمور الدين وهو دأب الأنبياء
والأخيار قال الله تعالى خبرا عن يوسف رب قد آتيتني

من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض
انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
وقال رسولنا صلوات الله عليه عند موته حين خير بين البقاء
والرحيل اللهم في الرفيق الاعلى وتمام النعمة في التثبيت على الحق
وهو ما امن الله تعالى على عباده المؤمنين بقوله يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وتمموا سوالهم
بطلب العصمة مما يأتي في عقايد اهل الحق فقالوا وان يعصمنا
من الاهوا المختلفة والارا المتفرقة والمذاهب الردية
مثل المشبهة والجهمية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا
الجماعة وحالفوا الضلالة قال القاضي ابو حفص الغزنوي وانما
سالوا العصمة عن هذه الاشيا التي ذكروها لان اصحابها اتبعوا
اهوآهم وخالفوا نصوص الكتاب والسنة واجماع
السلف الصالح وتعلقوا بشبهات بهوى انفسهم والواجب
على كل مكلف اتباع الحجج والسلف الصالح اعتمدوا
الحجج فتايدت عقولهم بالحجج فاهتدوا واهل الاهوا اعرضوا

الحجج فراغوا لان الهوى عدو الحق ومتبع عدو الحق لا يكون
وليا له فوجب التبري مما يوجب عداوة الحق الا ترى
الى قول ابن عمر رضي الله عنهما حين قال له السايل ان عندنا قوما
لا يثبتون القدر فقال ابلغوهم اني بريء منهم وكذبي سالوا
العصمة عن الارا المتفرقة لان المذكورين واشباههم
تفرقوا بارايهم عن الصراط المستقيم على ما من بيان اصنافهم
وارايهم وخلافهم لنصوص الكتاب والسنة واجماع
الامة قال الله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه خط في الارض خطا مستقيما
ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا ثم وضع اصبعه
على راس الخط المستقيم ثم قرا قوله تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ثم اشار الى تلك الخطوط المتعرجة
فقرا ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وهذا
مثل ضربه صلوات الله عليه لسبيل الحق ولسبيل الشيطان

فسبيل الله عز وجل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وقد قال الله تعالى لرسوله عليه السلام
قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني اي
على حجة وبرهان انا ومن اتبعني وقد تواتر الخبر انه قال
ستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقون
في النار قيل من هم يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه واصحابي
وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم وكان اول فرقة
ظهرت وخالفت الجماعة هم الخوارج فقاتلهم الصحابة
والتابعون فالفرقة الخارجة اول فرقة دخلت تحت
هذه الاية ثم لبست فرقة من الفرق اشد كيدا للاسلام
والشريعة من فرقة انتحلت تضليل الصحابة لان الصحابة
هم الذين نقلوا الشريعة ودعوا اليها بعد وفاة نبيهم
صلوات الله عليه فاذا جعلتهم هذه الفرقة ضلالا
لم تبق على زعمهم شريعة يعتمدون عليها وقد قامت الدلائل

القاطعة على بقاء شريعة محمد صلوات الله عليه الى قيام
الساعة اذ قامت الدلائل على كونه خاتم النبيين وقولهم
مثل المشبهة والجهمية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا
الجماعة وخالفوا الضلالة هذا منهم تفسير لما ذكروا من
اهل الاهواء المختلفة والاراء المتفرقة والمذاهب الردية
فبدوا بالمشبهة لما سبق بيانه من اشتمال مذهبهم على تجسيم
الصانع القديم وتشبيههم اياه بالبشر على ابطال التوحيد
وتركهم للنصوص المحكمة والبراهين الظاهرة واتباعهم
المتشابهات بحملهم اياها على التجسيم والحدود والنواحي
ثم ثنوهم بالجهمية لخبث عقايدهم المشتملة على تعطيل
الصانع عز اسمه ونفيهم بقاء الجنة والنار ثم ثلثوهم
بالقدرية المعتزلة لنفيهم عن الله تعالى صفات الذات
والفعل جميعا ولاثباتهم لانفسهم ولكل فاعل مختار مما دب
ودرج قدرة تخليق الافعال ثم الحقوا بهم سائر اهل
الاهواء بقولهم والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا الجماعة

وخالفوا الضلالة فكل من فارق الجماعة في العقايد ولازم
البدعة الحق بمن سبق ذكرهم في استحقاق الوعيد الوارد
في الخبر المتواتر الذي هو دليل من دلايل النبوة حيث اخبر ان
امته ستفترق الى ثلث وسبعين فرقة واحدة في الجنة
وهي التي تكون على ما كان هو عليه واصحابه ثم تحقق وجود
التفرق بعده عليه السلام على ما اخبر نعوذ بالله من الخلاف
والفرقة ثم قالوا رحمهم الله ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال
وارديا قال القاضي الامام ابو حفص الغزنوي وغيره وانما
تبرؤا منهم وسموهم ضلالا وارديا لخلافهم بحجج الكتاب
والسنة المتواترة واجماع الامة الهادية ولدخولهم
تحت الوارد وتحقق نعت الفرق المذكورة في الخبر المتواتر
فيهم بخلافهم الجماعة في العقايد التي دانوا بها وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على ضلال وقال
يد الله على الجماعة فمن شذ شذ في النار وقال من فارق الجماعة
قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه نعوذ بالله

من الخلاف والفرقة ونسأل الله تعالى ان يتوفانا على لزوم
السنة والجماعة

هذا اخر كتاب شرح العقايد الذي رواه ابو جعفر الطحاوي
في ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة ابي حنيفة
النعمان بن ثابت وابي يوسف يعقوب بن ابرهيم وابي عبد الله
محمد بن الحسن الشيباني رحمهم الله وانا بهم الجنة والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين
وعلى آله الطاهرين واصحابه المنتجبين وسلم تسليما كثيرا دايما

فصل

في معنى تسمية ابي جعفر الطحاوي لابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد رحمهم الله فقهاء الملة ذكر الشيخ ابو الحسن القدوري
في صدر شرحه لمختصر ابي الحسن الكرخي فقال ان الله تعالى
ضمن حفظ الشريعة وامر بتعلمها والتفقه فيها واول
من دون الفقه ووضع فيه كتبا ورتبه ابو حنيفة
رحمه الله ويستحيل ان يضمن الله تعالى حفظ الشريعة

ثم يكون المبتدي يتدوينها على غير الحق بل يكون على الحق
والاستقامة ثم قال ولانه وضع هذا المذهب
عن مناظرة اهل الاجتهاد والاستنباط ولم يستبد بوضع
المسائل وانما كان يلقيها على اصحابه مسئلة مسئلة فيعرف
ما عند كل واحد منهم ويقول ما عند نفسه ويناظرهم عليه
حتى يستقيم احد القولين فيثبته ابو يوسف حتى اثبت
الاصول كلها وكان له اصحاب لم يتفق لفقيه تصدى لوضع
المذهب مثلهم منهم ابو يوسف يعقوب بن ابرهيم الانصاري
وزفر بن الهذيل التميمي ومحمد بن الحسن الشيباني والحسن
بن زياد اللولوي وداود الطائي وعافية بن يزيد الاودي
ويوسف بن خالد السمتي والقاسم بن معن المسعودي وحفص
بن غياث ووكيع بن الجراح ومالك بن مغول البجلي قال
ابو الحسين وهؤلاء فيهم علما بالحديث والسنة والسير
والعربية والحساب فاذا كان المذهب وضع على اتفاق
من جماعتهم كان اصح مما يستبد به الواحد بنفسه

ويرجع فيه الى اجتهاده ولان ابا حنيفة قدس الله روحه
اول من تكلم في الشروط وصنفها وقد قال الله تعالى
ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فاخبر ان الله تعالى
هو المعلم للشروط وهو علم لا ينفرد وانما يتفرع على
كل الفقه فصحتها تدل على صحته ولان ابا حنيفة رحمه
الله اول من وضع كتابا في الفرايض وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفرايض نصف العلم وهو اول
علم يرفع من الامة فاذا وفق الله تعالى من ابتدا بوضعها
فالظاهر ان توفقه للصحيح منها ولانه ولد في عصر
الصحابة سنة ثمانين وتفقه في زمن التابعين وافتى
معهم وناظر الشعبي وطاوس وعطا ثم قال ابو الحسين
وقد روى ابو حنيفة رحمه الله عن انس بن مالك
وعبد الله بن جزء الزبيدي وعامر بن الطفيل وغيرهم
وقال يحيى بن معين ان ابا حنيفة صاحب الراي سمع عايشة
بنت عجرد وهي تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يقول اكثر جنود الله في الارض الجراد لا اكله ولا احرمه
قال الشيخ الامام العالم نجم الملة والدين ايده
الله تعالى وما ذكر ابو الحسين القدوري من وضع ابي حنيفة
المذهب عن مناظرة اهل الاجتهاد والاستنباط
فهو الاحكام الفروعية والمسائل الاجتهادية وذلك
لتبحره في علوم الملة وشدة صلابته في حراسة الشريعة
واقتدى في ذلك بابي بكر وعمر رضوان الله عليهما في كثرة
احضارهما اولي الاجتهاد والاستنباط من فقها الصحابة
ورواتهم في كل حادثة تقع وحكومة ترفع واما في المسائل
الاعتقادية فان ابا حنيفة واصحابه رحمهم الله قد سووا
عقائدهم على الدلائل الموجبة للعلم من النصوص المحكمة
والاخبار المتواترة والبراهين العقلية واجماع الامة
الهادية على ما من بيانها في الفصول الاعتقادية الى اخر
الكتاب فلهذه الوجوه المذكورة سماهم ابو جعفر الطحاوي
فقهاء الملة واراد بالملة الاسلام وهي التي كان عليها رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد قامت الحجج والبراهين على كل
عبد ان يكون محياه ومماته عليها ولذلك توارثت الامة
خلفا عن سلف ان يقولوا عند وضع الميت في لحده بسم الله
وعلى ملة رسول الله فلما وقف ابو جعفر الطحاوي على
مذهبهم في الاصول والفروع ووجده موافقا للقرآن
والسنة المشهورة واجماع الصحابة والبراهين العقلية
سماهم فقهاء الملة رحمهم الله واثابهم الجنة بفضله
وقع الفراغ من نسخه يوم الخميس
ثالث عشرين المحرم سنة ثمان
واربعين وستمائة حامدا لله ومصليا
على نبيه صلوات الله عليه وعلى اصحابه
وعترته الطاهرين وسلم

حد العقل عند الاصوليين
هو جوهر نفيس مخصوص يميز به بين الحسن والقبيح

والمتكلمون قالوا
هو ما اذا حصل للمكلف
وجب تكليفه

حد الدين
هو وضع الهي يتلقاه
العقل عن الرسول

شيكون ما هو كائن في وقته واشواق النفس المتعبة محذوف

فعلى ما يفيد ليس بكائن ولعل ما ترجوه سيكون

شبعت مقادير الامور حكمها
فاريح فؤادك ليس لعلك تبلغ

ما قضي بانفسنا اصطبرنا له
ولكلا الامرين الذي لم يقدر

اذا اشتد بك الامر فتفكر في الفرج

عوذ بواحد
٢٩٧